

الدورة الرابعة عشرة

من يوم الاثنين ٢١ من ذى القعدة سنة ١٣٦٦ هـ ، الموافق ٦ من أكتوبر سنة ١٩٤٧ م
إلى يوم الاثنين ٢٢ من رجب سنة ١٣٦٧ هـ : الموافق ٣١ من مايو سنة ١٩٤٨ م

مرسوم

بتعيين رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية

نحن فاروق الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على المرسوم الصادر في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ بإنشاء مجمع (فؤاد الأول) للغة العربية المعدل بالمرسوم الصادر في ٢٨ مايو سنة ١٩٤٠ ،

وعلى المرسومين الصادرين في ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٣ و ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٠ بتعيين أعضاء عاملين في المجمع المذكور ،

وعلى المرسوم الصادر في ٣١ يناير سنة ١٩٣٥ بتعيين رئيس للمجمع ،

وعلى المرسوم الصادر في ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٦ بزيادة أعضاء المجمع العاملين إلى أربعين عضواً .

وعلى محضر جلسة المجمع التي أجري فيها الترشيح لاختيار الرئيس ،

وبناء على ما عرضه علينا وزير المعارف العمومية وموافقة رأى مجلس الوزراء ،

رسمنا بما هو آت :

مادة ١ — يعين أحمد لطفى السيد باشا رئيساً لمجمع فؤاد الأول للغة العربية لمدة ثلاث سنوات تبدأ من ٣١ يناير سنة ١٩٤٨ .

مادة ٢ — على وزير المعارف العمومية تنفيذ هذا المرسوم .

صدر بقصر القبة في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٧ (٢٦ يناير سنة ١٩٤٨)

فاروق

بأمر حضرة صاحب الجلالة

رئيس مجلس الوزراء

(محمود فهمى النقراشى)

وزير المعارف العمومية

(السنهورى)

مرسوم

بتعيين عضوين عاملين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

نحن فاروق الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على المرسوم الصادر في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية المعدل بالمرسوم الصادر في ٢٨ مايو سنة ١٩٤٠ ،
وعلى المرسومين الصادرين في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٠ و ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٢ بتعيين أعضاء عاملين في المجمع المذكور ،
وعلى المرسوم الصادر في ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٦ بزيادة عدد أعضاء المجمع العاملين إلى أربعين عضواً ،

وبناء على ما عرضه علينا وزير المعارف العمومية وموافقة رأى مجلس الوزراء ،

رسمنا بما هو آت :

(المادة الأولى)

يعين الأستاذ على عبد الرازق والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني عضوين عاملين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية في المكانين اللذين خلوا بوفاة المرحومين الدكتور على إبراهيم باشا والشيخ أحمد إبراهيم بك .

(المادة الثانية)

على وزير المعارف العمومية تنفيذ هذا المرسوم ، ويعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية صدر بقصر القبة في ٣٠ من المحرم سنة ١٣٦٧ (١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

فاروق

بأمر حضرة صاحب الجلالة

رئيس مجلس الوزراء
(محمود فهمى النقراشي)

وزير المعارف العمومية
(السنهورى)

قرار وزارى

رقم ٧٨٤٤ بتاريخ ٢٨ / ٤ / ١٩٤٨

وزير المعارف العمومية

بعد الاطلاع على المادة الثامنة من المرسوم الصادر فى ١٣ / ١٢ / ١٩٣٢ المعدل بالمرسوم الملكى الصادر فى ٢٨ / ٥ / ١٩٤٠ الخاص بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية وعلى كتاب المجمع الخاص بمنح بعض العلماء لقب « عضو مراسل » ،

قرر ما يأتى

المادة الأولى

يمنح كل من حضرات الأساتذة الآتية أسماؤهم بعد لقب عضو مراسل وهم :

- ١ - حضرة الأستاذ جبريل (روما)
- ٢ - « « آربرى (لندن)
- ٣ - « « لاوست (ليون)
- ٤ - « « نيبرج (أيسالا)
- ٥ - « « خليل مردم (سوريا)
- ٦ - « « شفيق جبرى (سوريا)
- ٧ - « « محمد بهجة الأثرى (العراق)
- ٨ - الأمير مصطفى الشهابى (سوريا)
- ٩ - حضرة الأستاذ طاهر بن عاشور (تونس)
- ١٠ - حضرة الأستاذ الشيخ محمد الحجوى (مراکش)
- ١١ - حضرة الأستاذ علال الفاسى (مراکش)
- ١٢ - الشيخ محمد نور الحسن (من السودان ومدرس بالأزهر)
- ١٣ - حضرة الأستاذ خير الدين الزركلى (الحجاز)
- ١٤ - حضرة الأستاذ عبد الله عبد الرحمن الأمين (من موظفى المعارف بالسودان سابقا)

المادة الثانية

على سعادة رئيس المجمع تنفيذ هذا القرار .

وزير المعارف

إمضاء (السنهورى)

جلسة افتتاح المؤتمر

ولما حان الموعد أعلن الرئيس افتتاح المؤتمر، وألقى كلمته، ثم وقفت الجلسة دقائق حداداً على المتوفين من أعضاء المجمع خلال العام المنصرم، ولما أعيدت الجلسة دعى حضرة الدكتور عبد الرزاق السنهورى وزير المعارف لإلقاء كلمته، وأعقبه حضرة الدكتور منصور فهمى فألقى كلمته فى أعمال المجمع فى دورته الماضية، وعلى أثره ألقى الأستاذ عباس محمود العقاد بحثه فى موقف الأدب العربى من الآداب الأجنبية فى القديم والحديث وتبعه الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى لإلقاء بحث له فى مهمة المجمع وعملها فى وضع المصطلحات، ثم دعى السيد محمد كرد على فألقى بحثاً له فى عجائب اللهجات، ثم ارتجل الأستاذ جب كلمة أشار فيها إلى ما قام به المستشرقون والأساتذة الإنجليز خلال العامين الماضيين من جهود لتشجيع الدراسات الشرقية والعربية. ولما انتهى من كلمته أعلن الرئيس انفضاض الجلسة العلنية فانصرف المدعوون من غير أعضاء المجمع.

وعقد المؤتمر اجتماعاً قررفيه تعيين يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع لانعقاد جلساته. وانصرف أعضاء المجمع فى الساعة الواحدة بعد الظهر قاصدين قصر عابدين لتسجيل أسمائهم فى سجل التشريفات.

كانت الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين غرة ربيع الأول سنة ١٣٦٧ (الموافق ١٢ من يناير سنة ١٩٤٨) موعداً للجلسة العلنية لافتتاح مؤتمر المجمع، وقبل الموعد توافد على دار المجمع من أعضائه القادمين من الخارج السيد محمد كرد على والشيخ عبد القادر المغربى والأستاذ ماسينيون والأستاذ جب، ومن أعضائه المقيمين بمصر حضرات الأساتذة أحمد لطفى السيد رئيس المجمع والدكتور منصور فهمى كاتب سر المجمع والدكتور عبد الرزاق السنهورى الأستاذ على عبد الرزاق والدكتور عبد الحميد بدوى والدكتور على توفيق شوشة والأستاذ أنطون الجميل والدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين والأستاذ على الجارم والأستاذ أحمد العوامرى والشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور عبد الوهاب غزام والأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور إبراهيم بيومى مذكور والدكتور أحمد زكى والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى والسيد حسن القاياتى وسيادة حاتم ناجوم والأستاذ زكى المهندس والشيخ محمد الخضر حسين والدكتور محمد شرف والأستاذ محمد فريد أبو حديد والشيخ محمود شلتوت والأستاذ مصطفى نظيف. وكذلك حضر المجمع لشهود الاحتفال طائفة من الكبراء ورجال التعليم وأساتذة الجامعة والأدباء ورجال الصحافة ومندوبى الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية.

كلمة حضرة الأستاذ أحمد لطفي السيد

رئيس المجمع

تكون بحكم التطور المدني خيراً من وسائلنا وظروفه أشد مواتاة من ظروفنا . فيستطيع بما نضع له من الأصول وما نقدم له من المقدمات أن يبلغ باللغة ورسم حروفها وتبسيط قواعدها وضبطها إلى ما هو عندنا الآن في حيز الأمانى . من أجل ذلك كان لابد لنا من الصبر على هذا العمل الشاق ، وكان لابد لنا قدي المجمع من تقدير مهمته قدرها حين يتصدون لمحاسنته على أعماله .

وإذ أختتم هذه الكلمة القصيرة لا يفوتني أن أكرر العبارة عما نشعر به جميعاً من الأسف لفقد زملائنا المرحومين الأب أنستاس مارى الكرملى والدكتور على إبراهيم باشا والأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق ، فلقد فجعنا بوفاتهم خلال أسابيع من العام المنصرم تقاربت منايهم فتوالى الحزن عليهم وضوعفت خسارة المجمع بفقدهم .

وكذلك نقف هذه الجلسة حداداً عليهم .

اليوم نفتتح مؤتمر المجمع آخذين فيما أعددنا له من أعمال يحدونا الرجاء أن تكون هذه الدورة عنوان خير وبركة فيتابع المجمع سعيه لخدمة اللغة مبتغياً أحسن الوسائل للنهوض بها وإمدادها بما يتصل بحياتها ونمائها .

وبهذه المناسبة نتوجه بأجل التحية إلى زملائنا الشرقيين والمستشرقين ونرجو لهم بيننا طيب الإقامة .

ونرى في هذا المقام أن ننبه إلى أن سبيلنا لخدمة اللغة يشبه أن يكون لامتناهياً، وما زلنا في بداية هذا السبيل ، وقصارى جهدنا أن نضع المعجم الوسيط الذى ينبغى أن يشمل ألفاظ المعاجم على طريقتنا الجديدة كما يشمل اصطلاحات العلوم والألفاظ الدائرة في الاستعمال اليومي للحياة ، وأن نضع معجماً لألفاظ القرآن، وسوف نتبعه بألفاظ الحديث وأن نضع ما نسميه المعجم التاريخي أو المعجم الكبير . وفي أثناء هذه الجهود نحاول تبسيط تعليم اللغة العربية لتعلمها . ثم نترك كل هذه الثروة إلى خلف نظن أن وسائله سوف

كلمة حضرة الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى

وزير المعارف

ألقاها حضرته بوصفه عضواً في المجمع

يبقى هذا المجمع نبراساً يضيء للبلاد العربية، ويشع عليها هدى ونورا . وإلى لسعيد بهذا الاجتماع . فإنه يتيح لى أن أرى نخبة ممتازة من أعلام اللغة والأدب ، من الشرق والغرب ،

سيدى الرئيس ، زملائي المحترمين . سيداتى ، سادتى ،

أحييكم أحسن تحية . وأسأل الله التوفيق لمؤتمر كم هذا العام كما وفقه في الأعوام السابقة ، حتى

يجتمعون في هذه الدار ليتعاونوا على خدمة اللغة العربية ، وقد انمحت بينهم فروق الدين واللغة والبلد ، فليست لهم إلا دار واحدة هي هذه الدار ، وإلا لغة واحدة هي اللغة العربية . وإن العالم العربي ليرقب جهودكم الموفقة . جزاكم الله أحسن الجزاء عما أسديتم للغة العربية من أياد بيضاء ، وما قدمتم لها من خدمات جليلة !

وقد تشرقت منذ عام بالتحدث إليكم حديث الزميل . ويطيب لي هذا العام أيضا أن أتحدث إليكم بهذا اللسان نفسه ، فإن زمالة المجمع هي التي أعز بها وأفخر ومستكون كلمتي اليوم - كما كانت كلمتي بالأمس - موجزة أستعرض فيها خواطر تجول بالبال ، دون أن يتبأ إلى الوقت الكافي للاستقصاء والتحصيل والتعمق .

ولا أحب أن أثقل عليكم بحديث مطول . وبحسبي أن أشير إلى ما ذكرته في الماضي من أن هناك علامتين لسلامة اللغة : هما اقتراب لغة الخاصة من لغة العامة ، وابتعاد لغة الحاضر عن لغة الماضي .

والآن أود أن أسير خطوة أبعد . فأقول إن لغتنا العربية في الوقت الحاضر قد تطورت تطورا كبيرا ، أكبر بكثير مما نعترف . وهي اليوم أقرب إلى لغة العامة وأبعد عن لغة الماضي إلى حد يزيد كثيرا عما نزع . فهي إذن لغة سليمة ، وقد توافرت فيها علامات السلامة . ولكن اللغة السليمة التي أقصدها هنا ليست هي اللغة التي نقرأها في كتب

القرون الماضية ، بل هي اللغة التي نقرأها ونكتب بها اليوم . هذه هي اللغة العربية الحقيقية . أما الأخرى فهي لغة الماضي وهي ليست إلا صورة تاريخية من صور تطور اللغة العربية . قد أكون متسرعاً فيما أقول فأرجو أن تغفروا لي تسرعى . وإنى أعلم أن صدركم أرحب من أن يضيق بالرأى ، مهما بلغ خطأ صاحبه ، إذا كان يدلى به عن إيمان واقتناع .

إن لغتنا العربية قد تطورت تطورا أبعد بكثير مما نظن ، أو مما نريد أن نعرف ، شأنها في ذلك شأن كل لغة حية ، تكون دائما في تطور مستمر ، ولغتنا العربية تتطور كل يوم ، أردنا ذلك أو لم نرد ، اعترفنا به أو لم نعترف .

والذي يحجب عنا هذه الحقيقة هو ما تعودنا أن نسمعه في كثير من الأحيان من أن اللغة العربية قد دخل عليها الفساد ، وركبتها البدع ، وغلبت عليها الرطانة الأعجمية . والذين يقولون ذلك عادة يعتقدون أن اللغة العربية ليست إلا هذه الألفاظ والعبارات التي حثرت بها الألسن في القرون الأولى ، ودونها الكتب والمعاجم في العصور السالفة . وآية السليم من الكلام عندهم هي أن يطابق الكلام ما يعثرون عليه في هذه المعاجم والكتب . وهم يتخرجون ويمعنون في التحرج فيرسومون حدوداً زمنية يجعلونها تفصل بين ما يجوز الاستشهاد به من اللغة وما لا يجوز ، ويصعدون بهذه الحدود إلى القرون الأولى ، فيجعلون قرنين

أو ثلاثة تتحكم في عشرة القرون التي تليها .
ويحصرون اللغة العربية في الألفاظ التي وردت
في ذلك العهد ، وما استجد من الألفاظ بعد
ذلك فهو دخيل .

هؤلاء يحق لهم أن يقولوا إن لغتنا العربية
لم تتطور ، أو إن تطورها كان بطيئاً . ويحق
لهم أن يذهبوا إلى أن الشقة بعيدة ما بين لغة
العامية ولغة الخاصة ، وأن يقاربوا ما بين
لغة الحاضر ولغة الماضي .

ولكن هناك من يقول بغير رأيهم . وقد
قرأت لزميل لنا في هذا المجمع أنه لا يفهم
« أن اللغة العربية التي نملكها هي عمل العرب
والأعراب في البادية وحدهم ، بل إن اللغة
العربية التي نملكها هي عمل هؤلاء مضموماً
إليه عمل الأدباء والعلماء الذين عانوها
وعالجوها إلى اليوم . » هذا ما قرأته للزميل .
فاللغة العربية إذن ليست مقصورة على ما قاله
أسلافنا وأجدادنا في العصور السابقة ، بل
هي تتسع لتشمل ما نقوله نحن في عصرنا
الحاضر . ولا تملك الأموات من هذه اللغة
أكثر مما تملك الأحياء .

وإذا كنت ممن يقولون بأن اللغة العربية
تتطور ، فلست أعني بذلك ما يعنيه كثير
غيري من أن اللغة العربية ينبغي أن تتطور ،
بل أعني أنها قد تطورت فعلاً ، وإذا كنا
لانسلم بتطورها ، فليس معناه أنها لم تتطور ،
بل معناه أننا لا نستطيع أو لا نريد أن نرى
هذا التطور .

يقول الزميل الذي أشرت إلى رأيه فيما

قدمت إنه ينبغي أن نفتح باب الاجتهاد في
اللغة العربية ، كما ينبغي أن نفتح هذا الباب
في الفقه الإسلامي . وإني أستاذنه في أن أقول :
إن باب الاجتهاد في اللغة العربية مفتوح
فعلاً ، فهو لا ينتظر أحداً حتى يفتحه .
والفرق ما بين اللغة العربية والفقه الإسلامي
في هذا الشأن أن اللغة العربية لغة نكتب بها
ونتحدث ، فهي لغة حية ، ولا تستطيع لغة
حية أن تعيش من غير أن يفتح فيها باب
الاجتهاد ، أي من غير أن تتطور . أما الفقه
الإسلامي فأكثره غير مطبق ، ومن هنا لم
يستطع أن يبقى بعد أن أغلق باب الاجتهاد
فيه إلا مدفوناً في بطون الكتب .

ولكن هناك وجه شبه حقيقياً فيما بين
اللغة العربية والفقه الإسلامي هو في أن الفقه
واللغة على السواء مصادرهما واحدة .
مصادر الفقه الإسلامي كما تعلمون الكتاب
والسنة ، أي النص ، ثم القياس والإجماع .
ومصادر اللغة العربية هي أيضاً النص . وهو
هنا ينحصر في هدم الألفاظ والعبارات
التوقيفية التي ورثناها عن أجدادنا الأولين ،
والتي يأبى بعض منا إلا أن يقف عندها ،
وهم في ذلك يُعتبرون أهل الظاهر في اللغة ،
ويقابلون أهل الظاهر في الفقه . ثم القياس ،
وبه يقول فيما أعلم جمهور الزملاء في المجمع ،
فيستنبطون صيغة من أخرى سماعاً وقياساً ،
ويشتقون وينحتون . ثم الإجماع ، وهذا هو
المصدر الذي أحب أن أسترعى إليه أنظاركم ،
فإن الإجماع في اللغة كالإجماع في الفقه مصدر
جوهرى ، وهو الذي يكفل التطور في اللغة
كما كفل التطور في الفقه . وقد لا يريد

بعض منا أن يعترف بهذا المصدر أو يقره . ولكنه مصدر يفرض نفسه ، وتحتمه سنن الوجود ، ويقتضيه القانون الطبيعي . واللغة التي لا يُعترف بالإجماع مصدراً لها لغة لا تلبث ألا تنطوي على نفسها ، ثم تدبل وتموت . والذين ينكرون الإجماع مصدراً للغة ، ينكرون على هذه اللغة أن تعيش .

والإجماع معناه حق المساواة ما بين السلف والخلف . وهو حق هؤلاء جميعاً في أن يصنعوا لغتهم على قدر حاجتهم ، فيكون لكل جيل نصيب في ذلك . وكما أن الذي يراه المسلمون في الفقه حسناً فهو عند الله حسن ، كذلك ما يراه الناطقون بالعربية في جيل من الأجيال حسناً فهو في اللغة حسن .

لا نستطيع أن ننكر على أي جيل حقه في أن يساهم في صنع لغته ، وفي أن يبتدع من الألفاظ ما يفي بحاجاته ، وما يتمشى مع حضارته ، ومتى فعل ذلك فإن الألفاظ التي ابتدعها تكسب مكاناً مشروعاً في اللغة لا يجوز لأحد إنكاره . وهأنذا منذ بدأت هذه الكلمة وأنا أستعمل لفظ « التطور » وهو لفظ عربي لا إخال أنه يستند إلى نص أو قياس . ولكنه لفظ أجمع عليه كتاب العربية في عصرنا الحاضر ، فهل يجوز لأحد اليوم أن يخطئني في استعماله ؟ وhibه فعل ، وهبني ، منعت على استعماله طوعاً أو إذعاناً ، أيمنع هذا من أن يستعمله كل يوم آلاف من الكتاب في جميع أنحاء البلاد العربية ؟ ولعل هذا يبعث في نفسي اطمئناناً كنت لا أجده

قبل ذلك ، في أن ألفاظاً استعملتها في هذه الكلمة أو في غيرها ، قد تكون منضبطة على القاموس أو غير منضبطة ، وقد تكون واردة فيما انطوت عليه المعاجم الأولى أو غير واردة ، فسواء كان هذا أو ذاك ، فإنها ألفاظ عربية سليمة متى انعقد عليها إجماعنا في العصر الحاضر .

وإذا أنا قلت بالإجماع في اللغة ، فلست أقصد بالإجماع الفوضى . وليس كل ما يخطر في بال الكاتب من ألفاظ جديدة ، يبعد فيها عن أصول اللغة وقواعدها يكرسه الإجماع ، ولو اتفق مع هذا الكاتب في ذلك كتاب غيره . فإن القول بهذا الرأي من شأنه أن يبلبل اللغة ويشيع فيها الفوضى . والإجماع غير الفوضى . بل إن الإجماع هو الذي ينقل من الفوضى . ولا بد للإجماع في اللغة ، كالإجماع في الفقه من قواعد يتركز فيها ، وضوابط يستقر عندها . فتعيد هذه القواعد ، وتحديد هذه الضوابط ، هو من أقدم واجبات هذا المجمع الموقر . وإذا رسمت حدود الإجماع ، واستقرت قواعده وضوابطه ، كان على المجمع أن ينظر في الألفاظ التي تأثرت بهذا الإجماع فيسجل منها ما وجد ويفعل منها ما انعدم ، وفقاً للقواعد والضوابط التي أقرها . ذلك أن هناك إجماعاً إيجابياً وهو الذي يوجد ألفاظاً كانت معلومة ، وإجماعاً سلبياً وهو الذي يعدم ألفاظاً كانت موجودة .

والمجمع عمله في كل ذلك ، كما قلت في العام الماضي ، ليس هو الخلق والابتداع ، بل هو الإثبات والتسجيل . أمامه الإجماع مصدراً

وتتوحد اللغتان في لغة واحدة حية تتطور،
وتماشي مقتضيات الحضارة ، وتفي بحاجات
المدنية .

واليوم الذي يتم فيه ذلك هو اليوم الذي
نستطيع فيه أن نكشف عن حقيقة واقعة ،
يخفيها عنا الآن ما يكتنف هذا الموضوع
الدقيق من الغموض ، وهو اليوم الذي نتبين
فيه أن اللغة العربية قد تطورت تطوراً خطيراً،
وأن هذا التطور كان من شأنه أن يقارب ما بين
لغة الخاصة ولغة العامة ، ويباعد ما بين لغة
الماضي ولغة الحاضر .

وعند ذلك يحق لنا، أيها الزملاء المحترمون،
أن نغبط ونبتهج ، إذ نستطيع أن نتحقق من
أن اللغة العربية لا تزال بحمد الله لغة حية .

أدام الله لهذه اللغة الجليلة حيويتها، وحفظ
ها قوتها، ووفقكم إلى خدمتها ، وسدد خطاكم
إلى ما فيه الخير .

من مصادر اللغة ، فعليه أن يقره . وهناك
قواعد لهذا الإجماع ، فعليه أن يكشفها . وعنده
ألفاظ جديدة خلقها الإجماع ، فعليه أن
يسجلها .

وتدركون من ذلك، أيها الزملاء المحترمون،
أن مجمعكم، وإن كان ليس له أن يخلق ويبتدع ،
وكان ينبغي أن يقتصر على الإثبات والتسجيل ،
إلا أن مهمته مع ذلك شاقة عسيرة . فهو إذا
فتح عينيه على اللغة التي نستعملها في عصرنا
هذا ، وهي اللغة الواقعية ، وجد أن المسافة
قد انفرجت بينها وبين اللغة التي كان أسلافنا
يستعملونها ، وهي إلى اليوم لا تزال اللغة
الرسمية . وعليه إذن ألا يقف عند اللغة الرسمية ،
بل يجاوزها إلى اللغة الواقعية . وهو في ذلك
لا يستطيع أن يكتفي بالمصدر الأول للغة وهو
النص ، ولا بالمصدر الثاني وهو القياس ؛
بل يجب أن يضيف إلى هذين المصدرين
المصدر الثالث وهو الإجماع . وعندئذ تدرج
اللغة الواقعية لتصبح هي اللغة الرسمية ،

كلمة حضرة الدكتور منصور فهمي

كاتب سر المجمع

أيها السادة :

عقد المؤتمر في خلال دورته الفاتنة بين ٤ من يناير سنة ١٩٤٧ و ١٣ من فبراير سنة ١٩٤٧ إحدى عشرة جلسة أقر في أثناءها المصطلحات العلمية التي ارتضاها مجلس المجمع في الماضي ومحض مصطلحات علم الأمراض التي وضعتها المدرسة الطبية بدمشق وملاحظات الدكتور داود الحلبي الموصلي على بعض ما أقره المجمع من المصطلحات الطبية . ولمناسبة النظر في المصطلحات أوصى المؤتمر بوضع معجم شامل لما استعمله العرب من ألفاظ الطب ، وكذلك أشار بتعريف المصطلحات ، وناقش في مرحلة عرضها على الهيئات والمعاهد العلمية . وانتهى إلى أن قرر :

أولاً : استمرار اللجان في وضع الكلمات العربية للمصطلحات العلمية والفنية وجواز إرسالها على أنها مشروعات إلى الهيئات العلمية والمعاهد .

ثانياً - تفرز اللجان ما ترضعه من مصطلحات فما كان شائعاً منها عرفته تعريفاً معجمياً موجزاً وعرضته على المجلس والمؤتمر ، وما كان غير شائع حفظته في جزازات ونشرته بين الهيئات العلمية وفي مجلة المجمع لتتلقى الملاحظات وتتولى تمحيصها .

ثالثاً : تستخرج المصطلحات العلمية من الكتب العربية القديمة ويوضع مقابلها الإفرنجي رابعاً : نظر المؤتمر في نماذج من المعجم اللغوي الوسيط وأبدى ملاحظات تستهدي بها اللجنة المختصة .

خامساً : توصية مكتب المجمع بالعمل على رفع المكافآت للخبراء تمكيناً للجان من تعزيزها بهم .

سادساً : الموافقة على تعيين أعضاء مراسلين على أن ينظر المجلس في الأسماء المقدمه للترشيح .

وفي هذا المؤتمر أقيمت بحوث في تطور الألفاظ والتراكيب وأسماء للاستعمال للأستاذ محمد كرد علي ، وفي بعض خصائص المعجم العربي للأستاذ ماسينيون ، وفي فن الرجز للدكتور طه حسين ، وفي اقتراح بإحياء الألفاظ القاموسية للشيخ عبد القادر المغربي . هذا أهم ما دار في جلسات المؤتمر ، فلما انفض استأنف مجلس المجمع انعقاده الأسبوعي حتى الآن .

أيها السادة :

ليس النشاط الذي أبداه مجلس المجمع في اجتماعاته الأسبوعية إلا لوناً من النشاط الموصل بنشاط المؤتمر ، يتناسق مع توجهاته في تحقيق الغرض الذي من أجله قام المجمع . فكما نظر المؤتمر في نماذج من مواد المعجم اللغوي الوسيط كذلك تابع مجلس المجمع النظر في نماذج أخرى

الجامعة العربية ، فاستجاب لهذه الدعوات .

أيها السادة :

مضت اللجان في أعمالها خلال هذا العام ، وفرغت لجنة الأدب مما كان بين يديها من مسابقات في الشعر والقصة والبحوث الأدبية عن العام الماضي ، وعقدت مسابقات جديدة لسنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ و ١٩٤٨ - ١٩٤٩ . وأمام لجنة الأصول مقترحات في تيسير الكتابة العربية قدمت للاشتراك بها في مسابقة عقدتها الجمع ، وتوشك اللجنة أن تفرغ من نظرها . وقد وافق المجلس على نشر المجلة مرتين في السنة ، كما أنه يعنى بإخراج مجموعة المحاضر لجلساته في دورته الخامسة .

مما تقدم يتبين أن أعمال الجمع موثمة ومجلسه ولجانه تلتقي جميعاً في دراسة المصطلحات وإعداد المعجمات وإثارة البحوث ، وذلك هو ما تمس إليه الحاجة الحاضرة لإنهاض اللغة والحرص على سلامتها .

وإذا كان نشاط الجمع موضع الغبطة ممن يقدرون عمل الجامع ويعرفون طبيعتها فإنه مما يدعو إلى كبير الاغتياب يقظة الوعي اللغوي بين الجمهور المثقف ، وقد لمس الجمع أن قوة ذلك الوعي في ازدياد متتابع ، إذ تكاثر ما يرد إليه من استفتاءات في الكلمات والأساليب ، حتى لقد رأى ضرورة تنظيم الفتوى اللغوية ، فألف لذلك لجنة خاصة لإسعاف الطالبين بما يطلبون من جواب عاجل فيما يعرض لهم من مشكلات اللغة .

فبعد عدة جلسات وأشار بما اتفق عليه الرأي من ملاحظات . وكما نظر المؤتمر في أمر المصطلحات وتعريفها وطريقة إقرارها ونشرها كذلك تابع المجلس النظر في هذا الموضوع . ولما كانت تعريفات المصطلحات من المسائل الهامة التي لها ما يعززها كما أن حاجة الهيئات العلمية إلى المصطلحات قد تقتضى الإسراع ولو على حساب إرجاء التعريفات والإبطاء في وضعها ، فقد رأى المجلس أن يثار موضوع تعريف المصطلحات في دورة هذا المؤتمر للاتفاق على رأى جامع في هذا الموضوع تتحقق به الفائدة المنشودة من التعريفات ومن إمداد الهيئات التي هي في حاجة إلى المصطلحات المترجمة على وجه السرعة . على أنه مهما يكن الأمر الذي ينتهى إليه الرأي ، فقد رأى المجلس تعريف المصطلحات التي تدرج في المعجم اللغوي الوسيط . وكذلك عزز مجلس الجمع هيئة الخبراء وفقاً لرغبة المؤتمر في إمداد اللجان بما هي في حاجة إليه من خبرتهم . وكما أنه قد أقيمت بحوث في المؤتمر ، كذلك تناول المجلس بحوثاً منها ما هو خاص بالنهج الذي يتبع في إعداد مواد المعجم اللغوي الكبير وتولى ذلك زميلنا الدكتور شرف ، ومنها ما هو خاص باللهجات وتولاه كل من الأستاذين محمد فريد أبي حديد والشيخ محمد الخضر حسين . كذلك استمع المجلس إلى تعريف بكتاب ابن مضاء في نقد النحاة للدكتور طه حسين ، وقد وعد بتقديم اقتراحات في هذا الشأن . ودعى الجمع للاشتراك في مؤتمرات الطب والصيدلة والهندسة وفي المؤتمر الثقافي الذي عقدته

وإن يقظة ذلك الوعي اللغوي بين الجمهور المثقف لبشير خير ، وأذان بانتعاش لغوي يجري في محيط الحياة الاجتماعية مجرى الدم في الجسم القوى ، ولقد نأمل أن يجيء يوم قريب ترى فيه مختلف السلطات أنها مضطرة إلى الإذعان لهذا الوعي والانقياد لدواعيه ، فيتيسر لها أن تسن ما يحفظ للغة مهبتها ويرفع سلطانها في شتى مظاهر الحياة الدائرة بين الناس . وقد ود المجتمع لو تتسع الأماكن لتمثيل البلاد العربية كلها ، على أنه خطأ خطوة مباركة بحرصه على تقديم فلسطين .

أيها السادة :

تلكم لوامع خاطفة من عمل المجمع في عام ، واليوم يستقبل المجمع دورة جديدة لمؤتمره أعدت لها بحوث ومحاضرات على النحو الآتي : بحوث في الصلة بين الفصحى واللهجات وفي تيسير قواعد الإملاء وفيما يمكن أن تستفيده العلوم من النحت ومحاضرات في موقف الأدب العربي من الآداب الأجنبية في القديم والحديث وفي نشأة الاصطلاحات العلمية وفي نقل العلوم إلى العربية وفي الاصطلاحات الفقهية والكلامية وفي صلة العربية بلغات الأمم الإسلامية ، وستناقش هذه البحوث والمحاضرات في جلسات المؤتمر .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد موقف الأدب العربي من الآداب الأجنبية في القديم والحديث

علاقة الأدب العربي بالأمم الأجنبية علاقة قديمة ترجع إلى أيام نشأة اللغة العربية وأوضاعها التي نعرفها اليوم فتأثر الأدب العربي بمخالطة الأمم الأجنبية قديماً وتأثر بها حديثاً ولا يزال يتأثر بها إلى اليوم ولكن على نحوين مختلفين بعض الاختلاف .

ويمكن أن يقال على وجه الاجمال إن تأثره بها في الزمن القديم كان — على أكثره — من ناحية الحضارة . وإن تأثره بها حديثاً — كان على أكثره — من ناحية الثقافة .

ونعني بالتأثر من ناحية الحضارة كل تأثر يأتي من ملاسة الأمم في أصول المعيشة وعادات المجتمع ولا يستلزم الاطلاع على آداب لغاتها

في أصولها ولا المعرفة بتلك اللغات

ونعني بالتأثر من ناحية الثقافة كل تأثر يأتي من الاطلاع على آداب الأمم في لغاتها والتوفر على دراستها ، كائناً ما كان حال الأمة في الاختلاط بغيرها في عادات المعيشة والاجتماع وقد كان فخر العرب بلسانهم خصلة عريقة فيهم أوشكت أن تحسب عند بعض الباحثين في علم الأجناس مميزاً خاصاً يفرقون به بين العرب وغيرهم من السلالات البشرية ، وقد تشابههم أمم أخرى في الاعتزاز باللغة والفخر بالعنصر . ولكنها لا تبلغ في هذه الخصلة مبلغهم ولا تتميز بها على وتيرتهم ، ولعل أسبابها عند العرب كانت أقوى من أسبابها عند غيرهم . لأنهم كانوا في قبائلهم حريصين على أنسابهم

الأدب الغالب بين عرب الجاهلية خاصة :
وهو أدب الشعر أو فن الكلام المنظوم :
وظهرت آثار الخالطة (الحضرارية) في أوزان
القصيد ومعانيه . وكان شأن الموسيقى أكبر من
شأن اللغة في هذه الآثار . فتعددت الأوزان
في قصائد الشعراء الذين شهدوا حضارة الفرس
والروم وحضروا هنالك مجالس الرقص والغناء
فتصرف أبو دؤاد الإيادي في اثني عشر بحراً
من ستة عشر وأحصيت القصائد المنسوبة إلى
امرئ القيس عشرة بحور ، وقلما تصرف
شعراء الجاهلية عامة في أكثر من ستة بحور
من جميع هذه الأوزان .

ومن أرجح الأقوال أن بحر الرمل قد شاع
لأول مرة في الحيرة ، ولعل البحر الخفيف
والبحر المتقارب كذلك ، وهى من الأبحر
التي تستخدم في الرقص والإيقاع . وكان
شأن الموسيقى كما أسلفنا أكبر من شأن اللغة في
استخدام هذه الأوزان . لأن الوزن العروضي
في الشعر القديم لم يسبقه الفرس في لغتهم
الهلوية . وقد استغنى العرب بأوزانهم عن
الأوزان التي تناسب اللغة الفارسية ، فحل
الرجز العربي محل المزدوج الفارسي ، حين
دعت الحاجة إلى الإطالة والتيسير ، وكأنهم
سمعوا ألحاناً موسيقية تجرى مع حركات
الرقص فوضعوا لها من عروضهم كلاماً
يطابق تلك الألحان .

أمامعاني الشعر فمن أمثلة التأثير فيها بالمعاصرة
قصة الأعشى وليد في مسألة البحر والاختيار
فكان ليد مجبراً وكان الأعشى عدلياً كما قال
أبو عمرو بن العلاء ، وقد عني بذلك قول
ليد :

وأعراقهم ومظاهر القومية فيهم، وكانوا مع
هذا في عزلة من جزيرتهم لا يتطرق إليها
مابوهن القومية أو يشوب العصبية وكانوا على
هذا وذلك في غير حاجة إلى مخاطبة الأمم بغير
اللغة التي يتخاطبون بها فيما بينهم فإذا رحل
تاجرهم أو رائداهم إلى غير وطنه، فإنما يرحل
إلى أطراف العراق أو أطراف الشام أو حواضر
اليمن . فيجد هناك من يخاطبهم بلغته ، ويتولى
الوساطة بينه وبين تجار الأعاجم سماسرة من
يهود العرب ونصاراهم ، وتندر أن يتجاوز
العربي تلك الأطراف إلى ماوراءها فيضطر
إلى الكلام بلغة أخرى . فإن حدث هذا فإنما
يحدث لآحاد من الناس في فترات من الزمن
لا يقاس عليها . ويجوز لنا أن نضيف إلى هذه
الأسباب أن العربي كان على حق في الاعتزاز
بلغته كلما قارن بينها وبين لهجات الأعاجم في
رطائهم ، وأن شهادته لحاسن لغته قد توافقت
شهادة العارفين بها من غير عنصره ولسانه .

هذا الاعتزاز باللغة صرف العربي عن
الاجتهاد في تعلم اللغات الأجنبية منذ أيام
الجاهلية . ثم جاء الإسلام وتنزل القرآن بلغة
العرب ، فأضاف الاعتزاز بالعقيدة إلى
الاعتزاز باللسان ، وكان العرب في صدر
الإسلام هم أصحاب الدولة والسلطان ، يخدمهم
من شاء بلسانهم ، ويستعينون بخدام دولتهم
في الترجمة عن لغات الأمم كما يستعينون بهم
في غير ذلك من الأعمال والصناعات التي
لا يشتغلون بها ..

لكنهم قد خالطوا الأمم في حضارتها وإن
لم يتكلموا بالسنتها فكان لهذه الخالطة أثرها في

من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ، ومن شاء أضل
وقول الأعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالصدق
ل ولى الملامة الرجل

فهى ولاشك مسألة معاشرة وسماع ،
وليست مسألة دراسة وإطلاع . لأن البحث
في القلندر لم يكن من مباحث الجاهلية بغير
التلقين والسماع .

• • •

ويقال عن أثر الحضارة بعد الإسلام ،
ما يقال عن أثرها في عصر الجاهلية مع ملاحظة
الفارق الكبير في تشابك العلاقات واتساع
الرقعة وتنوع المراسم والعادات .

فدخل في أغراض الشعر كثير من مظاهر
الحضارات التي تجمعت في بلاد الدولة الإسلامية
ومنها وصف المهرجانات والمواسم والمنازة
ورحلات الصيد ، وضروب المتعة ما يباح
منها وما لا يباح . وكان لمجالس الغناء عملها في
أوزان الشعر كما كان لها عملها في الجاهلية
فشاعت أوزان التوشيح والدوبيت ، وضبطت
أوزان البحور . وكان الخليل بن أحمد إمام
العروضيين على معرفة بعلم النغم ، فأعانه ذلك
على ضبط هذه الأوزان ، ولكننا لا نبعد في
الظن إذا قلنا إنه استعان بفن النغم في بحوث اللغة
وهي في بادئ النظر أبعد من العروض في هذا
المجال لأنه ألف كتابه « العين » فلم يرتبه على
النسق الأبجدي ولم يرتبه على حسب أشكال

الحروف ، ولكنه رتبته على حسب المخارج
الصوتية . فبدأ بالأحرف الحلقية وأولها حرف
العين ، وبه سمي الكتاب ، وانتهى بحروف
العله التي هي حركات أكثر مما هي حروف .
وقيل إنه احتذى بذلك حلو أهل الهند في
ترتيب حروفهم ، ولو كان هناك ما يلزمه
هذا الاحتذاء لحاز أن نرجع بالأمر إلى المحاكاة
ولكنه اختار هذا الترتيب وكان سبب هذا
الاختيار إنه يهتم بالمخارج الصوتية لا أنه يهتم
بالمحاكاة حيث لا تلزم المحاكاة .

• • •

وما لم يكن من فنون الشعر واللغة أثراً من
فعل الحضارة ، فقد كان رد فعل لها لا مراء .
كالاشتغال بالنحو والمجاز لتصحيح تلاوة
القرآن وفهمه أو التوسع في فنون البيان والبديع
لإنشاء الصناعة التي تغني عن السليقة العربية
أو تساعد ، بعد أن أحاطت المضعفات من
لحن العامة ورطانة الأعجام .

ولا نعتقد أن الأدب العربي تلقى في أطواره
هذه أثراً لم يكن « للعوامل الحضارية » فيه
النصيب الأوفى قبل العوامل الثقافية . فقد
زعم بعضهم مثلاً أن السجع والتنميق بدعة من
البدع الفارسية ، وهو غير صحيح . وليس
السجع أصلاً من أصول الأساليب الفارسية ،
وليس بالعربي حاجة إلى تعلم السجع من لغة
أخرى . لأنه كان في جاهليته يعرف سجع
الكهان . وكانت وحدة القافية في التصديده
من خواص الشعر العربي التي يكاد ينمرد بها
في الصناعة الشعرية ، بل كان حب الأوضاع
المتقابلة سليقة له حتى في صناعة البناء . فلم

ومن المصادفات أن أثر الفرنسية في الأدب العربي كان أدنى إلى الحضارة ، وأن أثر الإنجليزية فيه كان أدنى إلى الثقافة .

لأن الذين توسعوا في تعلم الفرنسية - قبل انتشار الإنجليزية - إنما كانوا يتعلمون اللسان الأجنبي للتخرج في علوم التشريع أو الطب أو الهندسة أو الفنون العسكرية ، ولم يكن من مهمهم درس هذا اللسان لاستيعاب آدابه أو البحث في آثار شعرائه وكتابه . فلم ينقلوا من الأدب الفرنسي بمقدار ما نقلوا من الحضارة الفرنسية في ذلك الجيل .

وعلى خلاف ذلك كانت دراسة اللغة الإنجليزية في مدارس التعليم ، وقد كانت مطالعة الكتب الأدبية من المناهج المقررة في هذه الدراسة ، ومنها ما كان يدرس في دور التعليم الثانوي قبل الانتظام في المعاهد العليا .

ثم تساوت اللغتان بعد حين في نقل الثقافة الأدبية يوم أقبل المتعلمون على معاهد فرنسا للتخصص في الآداب وما يتصل بها من علوم اللغات . فإن يكن هناك فرق بين الفريقين أو المدرستين ، فهو الاختلاف بين طبيعة أدب الإنجليز وطبيعة أدب الفرنسيين .

• • •

وقد اتفق أن اتصال الأمم العربية بثقافة أوروبا كانت في عهد النهضة العلمية ، أو عهد التحقيق والتمحيص .

فقرأ أدباء العرب كتب القوم ، وهي

ينشأ على عهد الدولة الإسلامية نمط بناء يستحبه العربي ويراد به موافقة ذوقه إلا كان التقابل في الأوضاع من أبرز سماته ، ولو بناء له صناع ومهندسون من غير جنسه . وهو إلى هذا كله قد سمع القرآن قبل قيام الدولة الإسلامية ، وفيه سجع وفواصل ، فلا حاجة به إلى اقتباس السجع من ملابس الأمم الأخرى . إلا أن الحضارة علمته الترف ، والترف علمه التجميل والتجميل ، فجاء الإكثار من السجع والزخرف من هذا الطريق .

• • •

على أننا نقصد إلى التغليب في كل ما أسلفناه ولا نقصد إلى الإطلاق . إذ لم يكن أثر الثقافة معدوماً ولا نادراً في الأدب العربي بعد الإسلام فقد ترجمت كتب الحكمة والعلم فاطلع عليها بعض الشعراء والكتاب وسمع بها في الأحاديث والمساجلات من لم يطالع عليها . فدخلت معانيها في أغراض الناظمين والناثرين واستعان بها العلماء في التقسيم والتعريف وهم يعالجون وضع العلوم اللغوية كالنحو والبيان والبديع وكان ذلك على أكثره في القرنين الثالث والرابع للهجرة .

• • •

ذلك إجمال موقف الأدب العربي من الأمم الأجنبية في علاقته أو علاقاته القديمة بتلك الأمم أما موقفه من الأمم الأجنبية في العصر الحديث ، فهو على الأغلب موقفه من الأمم الأوروبية . وصبغة الثقافة فيه أظهر من صبغة الحضارة على وجه التعميم ، ولقد كانت اللغتان الفرنسية والإنجليزية أقرب مسالك الثقافة الأوروبية إلى البلاد العربية .

تضيف مزايا التعبير العلمى إلى مزايا التعبير الأدبى فى أقلام البلغاء .

فكان من أثر ذلك دقة الأداء ، وتخصيص اللفظ بمعناه ، وكان من أثره اتساع أفق الكتابة والشعر ، وبخاصة ما كتب أو نظم فى تمثيل الجوانب النفسية وتحليل دواعى الحس والعاطفة ، فأصبحت القصيدة وحدة الشعر بدلا من البيت لأنها اتخذت العاطفة موضوعاً لها، بعد أن كانت فلتات الخواطر هى الأجزاء التى يتألف منها القصيد ، وأصبحت المقالة وحدة النثر ، بعد أن كانت الجملة أو الفقرة أهم وحدة فيه .

ولما لحأ الشعراء إلى التصرف فى أوزان البحور أو إلى تنويع القافية ، كانت دواعى الثقافة هى الملجأ لهم إلى ذلك التصرف وذلك التنويع ، ليتسع لهم مجال التعبير حيث لا يتسع مع التقيد بعروض البحر الواحد أو القافية الواحدة .

وإذا عممنا الكلام على العلوم العصرية ، جاز لنا أن نقول إن كل علم منها يؤثر فى نظرة الإنسان إلى الحياة ، ويؤثر من ثم فى أساليب التعبير عنها . ولكننا نخص بالقول علمين منها على اتصال وثيق بالآداب والفنون وهما علم النفس وعلم الاجتماع ، وقد نشأ على أساسهما الحديث فى القرن التاسع عشر فكان لهما أثر محسوس فى فنون المنظوم والمنثور كافة ، وكان هذا الأثر على أوضحه فى فن الرواية القصصية والمسرحية ، وقد عنى أدباء العربية بهذا الفن

نقلا أو ابتكاراً ، فخطوا فيه حتى الآن خطوات موفقات فى سبيل التطور والتمام . غير أن العلوم العصرية جميعاً قد واجهت اللغة العربية بمطلب شامل تستجيب له كل لغة حية وهو ترجمة المصطلحات العلمية التى دعت الحاجة إلى وضعها فى كل باب من أبواب العلوم ، وقد تستجيب اللغة العربية لهذا المطلب بالترجمة تارة والتعريب تارة أخرى ، وقد يبدو ذلك فى اللغة العربية أعسر منه فى اللغات الأوربية التى تابعت الكشف العلمية بين أبنائها . فقد عمدت اللغات جميعاً إلى الاستعارة من غيرها كلما اهتمت إلى كشف من تلك الكشف . غير أنها لم تجد فى ذلك ما يجده نحن من الصعوبة فى الترجمة والتعريب ، لتقارب أصولها واشتراكها فى منابها . ولكن القول بهذا شيء ، والقول بعجز اللغة العربية عجزاً أصيلاً عن خدمة العلم ووضع مصطلحاته شيء آخر . فما لاشك فيه أن هذه الكشف العلمية لو ظهرت على أبهى الأهم العربية ، لاختارت لها أسماء تدل عليها ولم تكن تسميتها أقل دلالة من التسمية الحديثة ، وإن اتبعت فيها قواعدنا فى تركيب الكلمات ورموز المعانى ، ولوقفت اللغات الأخرى مثل موقفتنا الآن ، تستعير تارة وتصحف اللفظ تارة أخرى ومحتال بما وسعها من الحيل حيث تضيق بها الاستعارة والتصحيف .

وخلاصة التلخيص فى هذا البحث الذى توخينا فيه غاية الإيجاز ، أن موقف اللغة العربية وآدابها من الأمم الأجنبية ، كان قديماً وحديثاً موقف البنية الحية .

وكل بنية حية فلها قوام ثابت وغذاء متجدد . ولهذا كان من أثر الثقافة الأوربية في أبناء العربية أنهم رجعوا إلى ماضيهم كما نظروا في حاضرهم ، وابتعثوا تاريخهم كما ابتعثوا همم لمعالجة شؤونهم ، ووصلوا ما انقطع ولم يقطع ، ما اتصل . وستظل العربية بخير مادامت بنية ، حافظ على كيانها وتقبل ما يقيم هذا الكلام من بركات الغذاء .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ الشيخ عبد القادر الدري

مجامعنا اللغوية وأوضاعها

أدرك هذا عصبة من كبار أدباء مصر ومترجميها منذ أواسط القرن الماضي ، وقد لمسوا الخطر في تغلب التطور على اللغة الفصحى ، وخشوا أن يززع هذا التطور أركانها ، ويسلبها بياها ، ولاسيما بعد أن غزتنا الأمم الأوربية بلغاتها ، وارتضخنا لكثرة من كلماتها ولهجاتها ، ففزعوا إلى التفكير في الوسائل التي تقيم هذا الخطر وتدفع شره عن لغتهم ، فكان أبرز تلك الوسائل وأبينها أثراً في سلامة اللغة تأليف مجمع لغوي ، على شكل الأكاديميات الأوربية : فقد لاحظوا من أمر تلك الأكاديميات ، وما كان لها من السلطان في ظهور لغات أهلها ، ما جعلهم يعتقدون أن تأسيس مجمع علمي على نمطها يصون لغتهم ويكون له من الأثر الطيب ما كان لتلك الأكاديميات .

• •

فكان لهم في أول الأمر وفي محاولاتهم الأولى مجمعان ، وملحق بالجمعين ، وقد أنتجت هذه المجامع نتائجاً لكنه كان خداجاً : غير ناضج الأكل ، ولا كامل التكوين : فهو

مهما تنوعت الغايات ، وتعددت الأهداف في سبيل إنشاء المجامع اللغوية واجتناء ثمراتها ، فلن يعدو أن يكون الهدف الأصلي التوصل بها إلى سلامة لغة البلاد التي أنشئ المجمع في ربوعها .

وسلامة كل لغة تكون بأحد أمرين : الأمر الأول - المحافظة على إرثها المميز لها عن غيرها : كنوع تأليف الكلام ، وطريقة إيراده ، وخصوصية أساليبه ، وروعة بيانه ، مع غرابة إيجازه .

والأمر الثاني لسلامة اللغة زحزحتها عن الجمود ، والأخذ بها نحو التطور مع تطور أهلها المتكلمين بها : فيجلون فيها المرونة المواتية لهم في التعبير عن أفكارهم ومستحدثات حضارتهم ، وبدائع تطورهم . ويجب التوفيق بين هذين الأمرين جهد الطاقة : فلا ندع الاستمسك بأهداب لغتنا الموروثة يقف في سبيل تطورها ، ولا نسائر التطور وندخل اللهجات إلى حد أن يطغيا على لغتنا الفصحى ويعملا على تحطيمها فتتوت وتميتنا معها .

• • •

لم يكد يولد حتى مات ، ولم تكد تتلفظ الشفاه باسمه حتى أعقبه الصمات :

فالمجمع الأول أنشئ سنة ١٨٩٢ م ، وهو المجمع الذي ينسب إلى السيد توفيق البكرى : إذ كان رئيساً له أو مقررأ كما نقول اليوم . وقد وضع هذا المجمع طائفة من الألفاظ العربية الفصيحة رأى أنها أجدر بالاستعمال مما بمعناها من الألفاظ الدخيلة ، غير أن هذه الألفاظ التي وضعها لم يعش منها إلا القليل . وهذا القليل نازعته الحياة ألفاظ عربية أخرى هدى إليها الكتاب بسائق من سلاتقهم : وكانت كلمة « أفوكاتو » أكثر هذه الألفاظ الأعجمية شيوعاً ودوراناً على الشفاه يومئذ : فرأى ذلك المجمع أن يستبدل بها كلمة « المدره » والمدره زعيم القوم المتكلم باسمهم والمنافع عن حقوقهم غير أن المدره ماتت وأماتت معها الأفوكاتو وعاشت بعدها كلمة (المحامى) التي لم تخطر على بال ذلك المجمع . ومثل كلمتى (أفوكاتو) و (مدره) اللتين قتلت إحداهما صاحبتها ، ثم قتلت بعدها — كلمة (مرعى) التي وضعوها مكان (براقو) : فإن الكلمتين ماتتا وخلفهما (بخ بخ) ، ولم تقويا هاتان على الحياة أيضاً . وخلف الجميع التصفيق بالأيدى وقول (الله أكبر) في بعض المواطن .

وكذلك (نمره) بالهاء مكان (نومرو) بالواو (numéro) ماتتا وخلفهما كلمتا (رقم و عدد) . على أن (نمره) بالهاء مازال فيها رفق من حياة يتردد إلى اليوم .

ووضع مجمع البكرى أيضاً (عم صباحاً)

عم مساءً مكان قولهم (بونجور ، بونسوار) لكنهما (أى الحملتين العربية والإفريقية) ماتتا ، ورجع الناس إلى ما برنت ألسنتهم عليه من كلمات التحية عند اللقاء .

ووضع ذلك المجمع (الوشاح) مكان الكوردون . ولا أعلم ما شأن هذين اللغظين في مصر ، ولعلهما يعيشان في دوائر خاصة . و (المرّب) مكان (الكلوب) ماتتا وورث استعمالها لفظ (النادى) . وأحسب أن في (الكلوب) رقماً من حياة .

ووضع المجمع البكرى (مشجب) مكان (بورت مانتو) لكنهما ماتتا ، واستغنى الجمهور عنهما بكلمة (تعليقة) و (شماعة) في بعض البلاد .

وهناك ألفاظ عربية فصيحة وضعها المجمع البكرى ، فحييت وبقي مقابلها الأعجمى حياً معها : وهى (بطاقة وكارت فيزيت) و (شرطى وبوليس) و (يهو وصالون) و (معطف وبلطو) و (قفاز وجوانتى) هذه الكلمات العربيات الخمس من أوضاع مجمع البكرى ، عاشت من دون أن تقلد على إماتة الأعجميات ، ولم تقلد الأعجميات على إماتتها فعشن جميعاً بسلام ووثام .

أما الأعجميات اللواتى قدرن على إماتة مقابلاتها من أوضاع ذلك المجمع فهى (المودة) أماتت (الجديلة) ومعنى الجديلة فى الأصل الطريقة والشاكلة (كل يعمل على شأكلته) وكذلك كلمات (شهادة الدراسة) كالبكالوريا

فلإنها أماتت (الحلقة) . و(البلكون) أمات (الطنف) .

هذه هي أيها السادة كل الكلمات أو جلها التي أراد مجمع السيد توفيق البكري إحياءها لكنه لم يتخذ الوسائل الكافلة بحياتها ، فأتت أو أوشكت .

ثم أسدل الستار على مجمع ١٨٩٢ ، حتى كانت سنة ١٩١٧ م ، أي بعد خمس وعشرين سنة من إحداث المجمع الأول ، فتجددت الرغبة ، واشتدت الحاجة إلى مجمع لغوي يحمي اللغة ويكفل سلامتها . فأنشئ مجمع اشتهر بنسبته إلى لطفى السيد (معالي أحمد لطفى السيد باشا رئيس مجمع فؤاد الأول اليوم) فقد كان مقررأ له ؛ أما رئيسه فكان الشيخ سليم البشرى ومن أعضائه الأحياء محمد حلمى عيسى باشا وفارس نمر باشا . وأرسل اللغوى الكبير (الشيخ حمزة فتح الله) بكتاب إلى الرئيس الشيخ البشرى قال فيه : (أعتلر من الانخراط فى سلك مجمعكم بسبب قديح نزل ضيفاً ثقيلاً على عيني) .

والقديح أيها السادة لفظ عربى فصيح وضعه الشيخ الوقور مكان لفظ (الكاتراكتا) الأعجمى .

فكان من أوضاع مجمع لطفى السيد طائفة من الألفاظ اللغوية ، معظمها شديد الغرابة فلم تحى ولم تطل حياة المجمع بعدها : فن تلك الألفاظ (الون) مكان (الساجات) أو

(الصاجات) وهى الصنوج . ومنها (الوثل) وهو الحبل الغليظ من الليف مكان (السلب) و(الهرمول) مكان الشوشة : وهى شعر أعلى الرأس . والبطيخ (المفرقل) والبيض (المفرقل) مكان مايقوله العامة للدلالة على فساد البطيخ والبيض وتغير رائحتهما . و (الماصر) مكان (الجمر ك) . و (البيزارة) مكان (النبوت) . و (المليل) مكان (المدمس) وهو القول المعروف . إلى غير ذلك مما حامت حوله الشكوك ، وتولته الألسنة بالنقد : قال الناقدون : جعل المجمع (الوثل) مكان (السلب) مع أن السلب من فصيح اللغة كالوثل . و (الون) أى الصنج مكان (الساجات) مع أن (الون) دخيل وليس بعربى فصيح ، و (الصنج) أجدر منه بالاستعمال و (البيزارة) مكان النبوت . مع أن النبوت فى اللغة معناه الفرع من الشجرة ، ومنه تتخذ النبايت عادة ، و (المليل) مكان (المدمس) مع أن (المدمس) ليست بقبطية كما زعموا ، وإنما هى عربية من فعل دمسه إذا دفنه ، وكذلك الحال فى جرار القول المدمس .

ومهما يكن من أمر ، فإن ألفاظ مجمع سنة ١٩١٧ م ليست بأحسن حظاً من ألفاظ مجمع سنة ١٨٩٢ م ، فلم تكن للفريقين الحياة ، لأسباب منها ما يرجع إلى طبيعة اللفظ ومنها ما يرجع إلى التغافل عن الطرق المؤدية إلى استعمال تلك الألفاظ ، واستمالة أنظار الجمهور إليها .

هذان هما المجمعان . أما الملحق بهما ، فقد عنيت به ما كان منى ومن المغفور له

البرقع ، أما نساء الخاصة فيستعملن اللغام .
والعامة يضعون على رؤوسهم السكة . والطبقة
التي هي فوق العامة يلبسون الفروج ويسمونه
القفطان . وكبار الموظفين لهم سواد خاص
يلبسونه في التشریفات ... الخ.

ولكن هل أفاد (التمرین على الكلمات
العشرين) شيئاً ؟ لا لعمري . ولماذا ؟ لأنه
لم يشاركني أحد من الكتاب ولا الصحافيين
في استعمال تلك الألفاظ والاحتياال لحياتها ،
فلم يعش منها شيء . لكن قال لي بعضهم إن
كلمة النقل إحدى الكلمات العشرين التي
وضعت مكان كلمة (المازة) — مستعملة بين
أهل الكيف .

...

هذه هي المجامع الأولى ، أو المحاولات
الأولى في وضع الفصحى وإحيائه ، وقد أشبهت
كلمات تلك المحاولات أطفالاً ولدوا لغير
تمام ، أو في بيئة وحة ، فلم يوافقهم هواؤها
ولا ماؤها فجعلوا يموتون الواحد بعد الآخر
ولم يفلت منهم سوى بضعة أطفال بقوا أحياء
لخاصة في أجسامهم لا في بيئاتهم .

وربما كان معظم السبب في عدم نجاح المجامع
الأولى ، أنها قامت بنفسها من دون أن تعضدها
الحكومات . حتى إذا عضدتها وأسعفتها بالمال
والنظم والقوانين ومهدت بين يلبها أسباب
الحياة ، حيي الجمعان : الجمع العلمي العربي
بدمشق (سنة ١٩١٨) وجمع فؤاد الأول
في مصر (سنة ١٩٢٤ م) .

وقضى مجمع دمشق زهاء ثلاثين سنة يعمل

أحمد تيمور باشا : فقد تحادثنا يوماً في موضوع
إحياء الألفاظ الفصيحة وإداتها من الألفاظ
العامة والدخيلة ، وتواصفنا مبلغ الخطر على
لغة القرآن من جرائها ، وقلنا إن فئة أهل
الأدب التي تعمل على إحياء الفصحى إنما
تنقّي الألفاظ وتسردها على الجمهور سرداً
لا فرق بينه وبين سردها في معاجم اللغة : أي
أنها ما كانت تتوصل بوسيلة ما إلى تردد
ذكرها وتكرير استعمالها : في لغة الصحافة
والخطابة والدواوين ، واتفقنا على أنه لا بد
من استعمالها وتداولها في تلك المجالات ، حتى
تجيا الحياة الطيبة وتؤتى أكلها .

وهذا ما جعل المرحوم أحمد تيمور باشا ينتقي
عشرين كلمة من فصحى اللغة وينشرها في
المؤيد سنة ١٩٠٨ م وينصح الجمهور باستعمالها

فمن تلك الكلمات (الوهين) تستعمل مكان
(ناظر العماره) و (الجوسق) مكان (الكوشك)
و (اللغام) مكان (اليشمق) و (السكة)
للطاقية ، و (الفروج) للقفطان ، و (السواد)
للباس . التشریفة ، و (الصير) للسردین ،
و (البرندج) لبوينة الجزم ... الخ . وأشار
على رحمه الله أن أكتب مقالا في المؤيد بعنوان
(تمرین على الكلمات العشرين) فكتبته
وجعلته بشكل كتاب إلى صديق وصفت فيه شيئاً
من أحوال الناس في القاهرة ، وأوردت
خلاله الكلمات التيمورية العشرين .

فمن فقرات ذلك الكتاب قولي : كيفما
تجولت في القاهرة رأيت عمارة تشيد
وبجانبها جوسق مقيم فيه الوهين للإشراف
على ذلك البناء . والنساء المصريات يستعملن

على خذمة اللغة وسلامتها ووضع طائفة من المصطلحات : عاش بعضها ومات معظمها . وما لي لا أقول إن معظم السبب في ذلك الموت انصراف المسئولين عن العناية بالأوضاع الجديدة وعن إلزام رجال المعاهد والدواوين وسائر المصالح باستعمالها . واو فعلوا بحيث تلك الأوضاع ولازداد نشاط المجمع في الجمع والتتبع والوضع ، ولكان نصيب الجمهور من الغبطة به ما كان من نصيبى ونصيب صديق لي من موظفى الحكومة السورية .

كان هذا الموظف رئيس مهندسى وزارة النافعة أو الأشغال العامة كما نقول اليوم : فصلنى ذات يوم وأعرب لى عن حاجته إلى ألفاظ عربية فصيحة تقوم مقام ألفاظ فرنسية يستعملها المهندسون والمقاولون ومن اتصل بهم في فتح الشوارع وتسويتها وتعييدها . فأجبتة إلى طلبه وشرعنا في العمل . غير أنى أحياناً كنت أظهر اليأس في نجاح هذه المحاولة الجديدة في وضع الألفاظ التى يريدونها ، وأنها ستموت كما ماتت أخواتها . فقال لانيأس وسترى ما يكون منى ومنها . حتى إذا ما أتممت وضع تلك الكلمات وراقت لدى صديقى المهندس ، تناولها وأدخلها في مراجعته الرسمية ومعاملاته الورقية . وألزم المتصلين به من مهندسين وكتاب وعمال باستعمالها ، وهى اليوم تدور على أفواههم ، وأسلات أعلامهم كما تحققت منهم .

وهاكم أيها السادة نموذجاً من تلك الأوضاع الهندسية :

صندوق الطريق وقالب الطريق يريدون بهما حفرة الطريق المستطيلة التى يفتحونها أول ما يخططون الطريق . وبالفرنسية : Ouverture de la forme de la route وضعت اسماً لهذه الحفرة : قرار الطريق . وهذا القرار يلتقى فيه (الدبش) والدبش كلمة عامية وبالفرنسية (Blocage) وضعت مكانها كلمة (الرصف) وما يدق به الرصف يسمى (المرصافة) .

ثم يصب من فوق الرصف البحص . والبحص كلمة عامية وهى بالفرنسية (Pierre casse) وقد وضعت لها كلمة الحصب . وقول العامة بحص مقلوب حصب الفصيح . وبعد ذلك يدخلون الرصف والحصب بالمدحلة البخارية أو غيرها . والمدحلة كلمة عامية ويسمونها الإفرنسيون (Cylindre) ويسمى ذلك التراب بهادحلا (Cylindrage) فوضعت مكان الدحل لفظ (الدحو) (والأرض بعد ذلك دحاها) وآلة الدحو (المدحاة) وجمعها (مداحى) وهكذا إلى آخر الاصطلاحات الفرنسية التى اقترح المهندس استبدال غيرها بها .

ومحصل ما انتهى إليه بحثى هذا أيها السادة أن الأوضاع الفصيحة التى حاول المحاولون الأولون إحياءها منذ ستين سنة ، بلغت زهاء مائة كلمة منها ما عاش بالأمل المجرد عن العمل وهو الأكثر ، فكان كأنه لم يعيش . ومنها ما عاش بالأمل المقرون بالعمل : وهى الأوضاع القليلة التى أدخلت في المعاملات وتداولها الجمهور بالاستعمال .

• • •

أما مجتمعنا هذا أعني مجمع فؤاد الأول للغة العربية فقد جرى إلى أبعد شوط في وضع المصطلحات ، وبد كل مجمع سواه في هذا المسعى الحميد : حتى أصبحت أوضاعه تعد بالآلاف ، وحتى نشر بلورها في مهب كل ربح ، وفرقها في كل ناحية من نواحي حياتنا الثقافية ، علمية وفنية وأدبية . غير أن الجمهور المثقف مازال يتساءل هنا وهناك في مصر وخارجها عن مصير تلك الأوضاع والاصطلاحات وعمّا إذا كانت بلورها صادفت التربة الصالحة ولبناتها سدت الثلمة الواضحة ؟ وأنها هل شقت طريقها إلى قاعات الدروس ، ومجالات العمل ؟ أو أنها مازالت مشروعاً يكتنفه السكوت

وينتظره الأمل ؟

• • •

استدراك : لا جرم أن أوضاعا واصطلاحات هذا شأنها وذلك مبلغها في الحاجة إليها لا يمكن أن تضيع أو تهمل في بلد كمصر غاص بكبار الأساتذة ما بين مدرس ومعلم وصحافي ومترجم فقد أخبرت أن طائفة من هؤلاء الأساتذة على اختلاف اختصاصاتهم في العلوم والفنون عنوا بأوضاع مجتمعنا هذا فأدخلوها في لغة علومهم ولهجات تدريسهم ؛ فاستحقوا بذلك الثناء وجميل الدعاء .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد كرد علي عجائب اللهجات

كان اختلاط العرب في الجاهلية بالأمم المجاورة لجزيرتهم قليلا إذا قيس باختلاطهم بهم في الإسلام وفيه فتحت عليهم الأقطار وشاهدوا فيها ما لم يعرفوه من أسباب الغنى والترف ، وهذا يستلزم للتعبير عنه ألفاظاً جديدة ما كان لهم ولا لأجدادهم عهد بمثلها . وإذا كانوا في هذا الدور مأخوذين بدهشة الفتوح لم ينظروا إن كانت تلك الألفاظ عربية صرفاً أو جاءت من إحدى اللغات السريانية والنبطية والقبطية والحبشية والهندية والبربرية والفارسية وربما ظنها بعضهم من لهجة عربية غير لغة قريش وليس لهم مانع من قبولها مادام الإسلام وحد اللهجات العربية وبلغه قريش أفصح اللهجات نزل القرآن .

وما لبث الداخلون في الإسلام أن أدخلوا

ما كان متأسلا في ألسنتهم من الكلمات فأصبح لكل صقع لهجة اتسعت مع الزمن أي كان لكل قطر بل لكل أقاليم لهجة على حيالها ومعظم المولد لا يمت إلى الفصحى بسبب . والغالب أن الألفاظ الأعجمية التي صاغوها على أساليبهم تكاد تزيد عن الألفاظ التي أبقوها بحالها . وبديهي أن يكون لكل صقع نغمته واصطلاحه وألفاظه واللهجات لبنة السموت والميول على الأغلب ، وماتحسه من النغمة العذبة في اللهجة المصرية اليوم لا تنوقه في لهجات جبال الشام . نعم ما تشدد العرب أو خاصتهم في قبول بعض الألفاظ الأعجمية بادئ بدء تشددهم في اللحن والزراية على من يرتكبه لأن الجمهور لا ينتظر في شؤونه اليومية الحافزة صدور إرادة الخاصة في اختيار اللفظ الفلاني دون غيره بل يسارع

إلى تلقف ما يعرض له بادیء الرأى مؤثراً
الطريقة العملية السهلة ويتشرب الألفاظ التي
تكاد تكون مرتجلة ترسخ فيه بكثرة التكرار
ويغدو من المتعذر نزعها والاستعاضة عنها
بمصطلح آخر أتى على أصول الوضع الصحيح .
تساهل أرباب اللغة بإدخال بعض المفردات
طوعاً أو كرهاً كأنهم رأوا أن لا مندوحة لهم
عنها وإن خرجت أحياناً عن صيغة لغتهم . ثم
تطورت اللهجات بتطور الزمن ، وللزمان
سلطانه يثبت وينقش على ما يشاء ، والتحول
يجرى على مقياس واسع في الشارع وعلى مقياس
ضيق في أندية الخاصة وقصور الملوك والأمراء
ومعسكرات الجيوش .

أخذت العرب من الأعاجم مئات الألفاظ
ما له علاقة بالحياة اليومية أو المصطلحات
العلمية ، وكان لكل دولة تولت أمر هذه الأمة
أن أورثتها ألفاظاً منها ما دخل في المعاجم ومنها
ماتت بموت الدولة التي وضع في عصرها
وسعت إلى بثه في الناس ، أو سقطت من الاستعمال
لعدم الحاجة إليه .

فكانت الألفاظ الأعجمية من عهد الأمويين
أقل مما جاء مع العباسيين لقرب عهد بني أمية
بالعربية الفصحى وأخذ بنو العباس من الدخيل
بالكبير والصغير . أهداهم الفرس للجوار
وللاختلاط الوشيع بالشعوب غير العربية
حتى خيف على اللغة أن يصبح جزء عظيم
منها من غير الأصول العربية . ثم قامت دول
الطوائف فكانت الألفاظ الحديثة في مصطلحات
الدولة على الأكثر تركية وفارسية ومغولية .
وهكذا كان شأن دولتي نور الدين وصلاح

الدين ودولتي المماليك البرجية والبحرية ثم
دولة العثمانيين . وما يقال في هذه الدول والألفاظ
الطارئة عليها يقال في دول صقلية والأندلس
والغرب الأقصى والأوسط والأدنى . ولعل
الدخيل كان نادراً في أرض الأندلس . وقد
توخى الأمويون وأصبغوا أساس دولتها التوحيد
في كل شيء ، حتى أن الرحالة ابن جبير لما رأى
كثرة الفرق والمذاهب في هذا الشرق القريب
في القرن السادس قال لا إسلام إلا ببلاد
الغرب لأنهم على جادة واضحة لا بنيات
لها وما سوى ذلك مما بهذه اللهجات الشرقية
فأهواء وبدع وفرق ضالة وشيع إلا من عصم
الله من أهلها . وكان في تفنن الأندلسيين
بتعريب أسماء بلاد الأندلس مثال ظاهر من
العناية بصيانة اللغة مما يعيث بها وكانت اللهجة
الأندلسية من أجمل اللهجات نقلها أهلها بعد
الهلاء إلى البلاد التي نزلوها : مراکش
والجزائر وتونس ومصر والشام ، ولعلها
كانت أقربها من الفصحى أشبه باللهجات اليمن
والحجاز . والأندلس استعملت ألفاظاً فصيحة
ما استعملها العراق ومصر والشام ، فكان
الأندلسيون مثلاً يقولون « القابض » لمن نطق
عليه الجاني أو المحصل ويطلقون « المتقبل »
لمن نقول له الملتزم أو الضامن ويقولون « أهل
الأموال » لأرباب الأملاك أو الملاك ويطلقون
« الطومار » على البطاقة .

وهكذا أبقى كل قرن في تضاعيف هذا
اللسان قدراً من الألفاظ الدخيلة ولون كل
لهجة بلون بعض اللهجات المجاورة وغيرها
ولكن بجيل ولكل إقليم لهجة تختلف واحداً
عن الأخرى . وكان العارفون باللغة في كل

زمن يردون مادخل على الفصحى من المولد وإذا غلبتهم قوة الدخيل يتساهلون بقبوله ومن جهة أخرى يكتبون الرسائل والكتب في تزييفه . وحاول الفُيُور على اللغة في كل قرن من قرون الإسلام أن يحيوا الفصحى ويبقوا عليها في الخطاب كما حفظت في الكتاب فكان الجهلة يهزأون بهم ويتغامزون منكرين صنيعهم وأقل ما يقولون في المتكلم بالفصيح أن ينزوه بأنه يتكلم بالنحوى .

وبعد أن كان مثل الحجاج بن يوسف يمتك على بعض من خرج عليه فيفسد لغته أصبح الخاصة والعامة في القرون التالية يتفاهمون بلغة العوام ولهجهم بلون نكير ، وسواد العامة أكثر من سواد الخاصة في كل عصر ومصر . وبعد أن كان ينظر إلى من فسدت لغته كما ينظر إلى من أصيب بمروءته وشرفه أصبح هذا مما لا يؤبه له كثيراً . وبعد أن كان الحجاج نفسه ينشئ من بلده أحد الفصحاء لأنه صارحه بأنه يلحن ، نفاه لثلاث يسرى في الملاء رأيه فيسقط من الأتظار .

وقد عرف الحجاج أن رسول الله سمع رجلاً يلحن في كلامه فقال « أرشدوا أخاكم فإنه ضل » ، وأن عمر كتب له أحد عماله كتاباً لحن فيه فكتب إليه « قنع كاتبك سوطاً » ، وكان عبد الملك يقول : اللحن في الكلام أقبح من الجلدري .

عربوا أسماء العلوم في القرن الماضي فكانوا يحرصون على التعبير عن المعنى بأى لفظ عرض لهم ، يهمهم التعبير عن المسمى لا

الفصاحة ، ولعل أجدادهم كانوا في مثل هذه الحال يوم نقلوا عن الفرس الأطعمة فلم يكن لهم متسع من الوقت ليضعوا لها أسماء عربية واغبطوا أن اهتدوا إلى تحضير تلك المأككل اللذيذة فقالوا القالودج واللوزينج والجوزيتق واللوزيتق وما بالوا بثقلها وعجمتها وكان في مكنتهم أن يقولوا اللوزية والجوزية الخ . ولكن كان همهم أن يصيوا أولاً من هذه الحلواء الشبية . ولو كان واضعو الألفاظ العلمية في بدء النهضة العربية الأخيرة على جانب من معرفة اللغة الفصحى لأطلقوا بادئ بدء الألفاظ فصيحة على المسميات وحالوا دون عناء المجامع اللغوية الحديثة بعض الشيء .

ولعل من اضطروا إلى وضع ألفاظ غريبة مولدة عملوا إلى استعمالها في الأحيان ليؤثر الكلام في العربي القح والعربي الدخيل على السواء ما دام المقصود من الكلام إفهام الخواص والعوام . ولا نقول إن اللغة كانت تخون الفصحاء فلم يوفقوا إلى إيجاد ألفاظ عربية خالصة تقوم مقام الألفاظ الأعجمية بل نقول إنهم غلبهم حب السرعة على جميع الاعتبارات وأتوا بما حضرهم واكتفوا بما كان في متناولهم ، وهم إلى ذلك كانوا يعلمون أن مثات من الألفاظ المولدة لا تنضر بلغة تحوى مثات الألوف من المفردات الفصيحة ، ويزيد التسامح في قبول الغريب المولد إذا صيغت اللفظة صياغة عربية لا ينبو عنها فوق أبناء هذه اللغة.

كتب معاوية رضى الله عنه أيام فتنة صفين إلى قيسر الروم لما بلغه أنه ينوى غزو الشام : « لئن آتمت على ما بلغنى من عزمك لأصالحن صاحبي ولاكونن مقدمته إليك ولأجعلن

القسطنطينية البخراء مُحمّة سوداء ولأنّزعتك من الملك انتزاع الاصطفلية ولأردنك أريساً من الأراصة ترعى الدوبل . وفي هذا الكتاب الموجز على مانفهم نحن اليوم ثلاثة ألفاظ لانسمعها وهي الدوبل ومعناه الخنزير والأريس هو الفلاح والأكار من أرس فلح والاصطفلية وهي لغة شامية قديمة لانستعمل اليوم ومعناها الجزرة التي تؤكل . آثار الخليفة استعمالها على الخروج عن مألوف الأرض التي صدر منها الكتاب .

والراتب والمرتب ، وقديماً كانوا يقولون الإدراجات . الأعطيات ، ويقولون في مصر اليوم الجوراب للجوربين وفي لبنان الكلسات وفي مصر كوانتي وفي الشام كفوف ، أما من يقولون قفازج . قفافيز فهو لاء من الذين أنعم الله عليهم وحفظوا من متن الفصحى عشرة آلاف كلمة على الأقل حتى وصلوا إلى قفاز وفي الشام يقولون شلح أواعيه ، وفي لبنان قلع ثيابه ، وفي مصر قلع هدومه ، وتقول الأم لابنتها روي اتبلى أي غيري ثيابك .

وكذلك كان من الحجاج بن يوسف لما استحث أحد عماله على المسارعة بأداء الخراج فقال له من كتاب : « فأيم الله لتبعن إلى بخراج أصفهان كلها أو لأجعلنك طوابيق على باب مدينتها . » والطابق بكسر الباء وفتحها الآجر الكبير فارسي معرب وكذلك الآجر . خاطبه بما شاع ولو قال له لأجعلنك لبنة لما كان لها تلك الرنة ولو كان الكاتب في مصر لاستعاض عن آجر وطابق بلبنة وطوبة .

وقد يعمدون إلى استعمال ما كان له أصل في اللغة كالحناشير والطراير والخنشور الذي لا يعجبك يقابله بالشامية الشرشوح . سمعت سيدة مصرية تقول « كلهم خناشير يحزنوا القلب » والطراير الضعيف الذي لا عمل له . وهكذا في المصرية متعنتن ، متحنشخص متفرز ، إلى مثات غيرها . ومنها ماله أصل عربي مثل إطلاقهم لفظ نغنوغة على السيدة ذات الدل والخفر وهي السيدة السمينة جاءت من نغغ الطعام والفطير زاد في سمه ، من لغغ الطعام أدمه بالسمن والودك . وفي مصر يقولون بص أي انظر ، وفي لبنان اقشع ، وفي الشام شوف .

ومن اللهجات مارج في قرن وكسد في آخر . كانوا يقولون في القديم فندق ، خان ، فأنشأوا يقولون في الزمن الحديث لوكندة ، هوتيل أو أوتيل . وقالوا بيارستان أو مارستان أو دار المرضي فشاعت على الألسن اليوم هوسبتاليا أو اسبتاليا ، وقالوا صيدنائى وصيدلانى وصيدلى وفرمشانى وأجزاجى لصاحب هذه العقاقير والمركبات والمعاجن ، كما اصطالحوا في كل قطر على إطلاق اسم يغير ما اصطالح عليه القطر الآخر . فلإبانة عن لفظة المشاهرة قالوا الجامكية والمعاش والمعلوم والمقرر

وقد يختلف كل قطر عن جاره في مدلول اللفظ الواحد وفي صيغة الجموع وغيرها ، ففي مصر يقولون طقطوقة لذلك الوعاء الصغير الذي يطرحون فيه رماد اللفائف وأعتابها ويطلقون الطقطوقة على الأغنية البلدية والقربنة هي التي تفرق بينهما كما هو الحال في كثير من الألفاظ . ولو قلت الطقطوقة لذاك الإباء لضحك الشامي ونظر باهتاً فلا يعرفها تطلق إلا على

الأغنية. وفي الشام يجمعون سبكارة على سبكارات
وفي لبنان على سواكير وفي مصر على سكاير
ويقولون في الشام طنش بالشين غضن الطرف
وما بالي وفي مصر طنس بالسين لهذا المعنى
وفي مصر لبش تحير وارتبك وفي الشام لبش
جمع متاعه وارتحل، وفي مصر متحتنف متزين
لطيف ومعناها في الشام بحيل مقتصد.

وكما اختلف مدلول بعض الألفاظ في
الأقطار المجاورة تنويع كثير من الفصيح
جملة، فكانوا يطلقون على الأرض الكثيرة
الحضرة (اليخضور) وعلى الرجل الكثير
الكلام (اليهمور) وعلى الرجل الأحمق (اليأفوف)
وعلى المثقل بالدين (المفرح) وعلى كثير
الطرب (المطربة)، وعلى من يتكلف الألحان
من غير صواب اللعاعة، وعلى الخبيث الشرير
(العارم) وكانوا يقولون أخذ ماله كلاً واليوم
يقولون كاملاً، وفلان لا يثاكل رغبياً ولا زهيداً
والرغب الكثير الأكل والزهد القليل الأكل
إلى مئات غيرها مما لو عادت إليه الحياة وجرت
به الألسن لحي جانب عظيم من الفصيح بمات
جانب من المولد مع الزمن وضعفت الهمجات
وقويت الفصحى أو جانب عظيم منها.

من الصعب تعيين زمان دخول كل لفظة
بعضها لأن الهمجات لا ضابط لها ولا هي مدونة
بأسرها، فمن الواجب وضع معجمات لها كما
نراهم في الغرب وضعوا معاجم للألفاظ العامية
وأخرى للألفاظ المحرفة ومعاجم للغة أرباب
الدعارة والصوص يعبرون عنها بالفرنسية بكلمات
argot, jargon, baragouin, patois
وفي بعض كتب الملاحظ ألفاظ كثيرة من هذا
القبيل لا تعترف بها الفصحى وكان تدوين أبي
عثمان لها من مزايا لغتنا واتساع صدرها لكل

جديد مناسبت لها معرفته. والحمد لله على أن
المجمعين لم يعترضوا على بعض ما وضع مثل
ثلاثة ألفاظ أجنبية وهي فيلم وترام وسينا
فأقروها راضين، ومثل خيم ومنصح ومعزل
وهي مشتقة من أصل عربي، وربما تقتنوا
وأطلقوا أكثر من اسم على مسمى واحد كما
وقع للمقدسي البشاري صاحب كتاب أحسن
التقاسيم في معرفة الأقاليم من أمتع كتب
الجغرافية عند العرب فقد أسماه الناس خلال
رحلته هسة وثلاثين اسماً دعى بها المسكين
ونحطب فأطلقوا عليه المقدسي والفلسطيني
والمصري والمغربي والحراساني والسلمي والمقري
والفقيه والصوفي والمولى والعايد والزاهد
والسياح والوراق والمجلد والتاجر والمذكر
والإمام والمؤذن والخطيب والغريب والعراقي
والبغدادي والشامي والحنفي والمؤدب والكرى
والمتفقه والمعلم والقرائضي والأستاذ والدانشمند
والشيخ والنشاسته والراكب والرسول.

لما ورد مصر ابن جرير الطبري صاحب
التاريخ في سنة ٢٥٦ قادمًا من العراق نزل
على الربيع بن سليمان فأمر من يأخذ له داراً
قرية منه. قال: وجاءني أصحابه فقالوا: نحتاج
إلى قصرية وزير وحمارين وسدة فقلت أما
القصرية فأنا لا ولدي وما حلت سراويلي على
حرام ولا على حلال قط (ياخسارة!) وأما
الزير فن الملاحى وليس هذا من شأني. وأما
الحماران فإن أبي وهب لي بضاعة أنا أستعين
بها في طلب العلم فإن صرفتها في ثمن حمارين
فبأي شيء أطلب؟ قال فتبسموا فقلت إلى كم
يحتاج هذا؟ فقالوا يحتاج إلى درهمين وثلاثين
فأخذوا ذلك مني وعلمت أنها أشياء متفقه.
وجاءوني بإجانة وجب للماء وأربع خشبات

كانا عندنا صغيرين فكبرا هنا على ما يظهر .
يقول أناطول فرانس : الألفاظ هي الأفكار
وأعتقد أن الشعب الأول في العالم هو الذي
كان كتاب قواعده أجود من كتاب غيره ، وقد
يهلك الناس بعضهم بعضاً بألفاظ لا يفهمونها
فلذا تفاهموا يتعاقون ويتعاطفون .

قد شدوا وسطها بشريط وقالوا الزير للماء
والقصيرة للخبز والحماران والسدة تنام عليها
من البراغيث فتفنى ذلك وكثرت البراغيث
فكنت إذا جئت نزع ثيابي وعلقها على حبل
قد شدته واتررت وصعدت إلى السدة . ا هـ .
والحماران هنا يطلق عليهما في الشام الجحشان

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ هـ . ا . ر . جب

Scarborough دعت فيه إلى إرساد مبالغ
وافرة لتشجيع الدراسات الشرقية في الجامعات
وحث الطلبة المتميزين على التخصص في هذه
الدراسات .

وأما اللجنة الداخلية فقد جمعت أساتذة
اللغات الشرقية ، وغرضها تنظيم الدراسات
الشرقية في جامعاتنا ، والاستفادة مما كسبناه
من التجارب أثناء سني الحرب الماضية في
تعليم الضباط . وفي سنة ١٩٤٦ عقدنا مؤتمراً
عاماً في أكسفورد بمناسبة مرور مائتي سنة
على ميلاد Sir William Jones من
أكابر المستشرقين في القرن الثامن عشر ،
وقد اشترك في هذا المؤتمر أساتذة اللغات
والثقافات الشرقية . وبحوثنا في أساليب التدريس
ووسائل التعرف إلى الثقافة العربية والهندية
وغيرها من ثقافات الشرق وكيفية نشرها بين
الجمهور . وقد نجح المؤتمر نجاحاً أكاد أقول
غريباً ، واتجه العزم إلى إنشاء جمعية
خاصة للمهتمين بهذه الدراسات لتواصل عقد
المؤتمرات والأبحاث لتنظيم أعمالنا ، ونشر
ثقافتنا ، إذا سمحتم لي أن أقول : ثقافتنا ! ...

أفتح كلمتي معترفاً بالتقصير - أو بالأحرى
بما يشبه التقصير - في التخلف عن شهود
المؤتمرين الماضيين ، على أني لم أقطع صلتى
بالجمع ، فإني لا أزال من أشد أعضائه تفاؤلاً
بمستقبله ، وإيماناً بمهمته .

وقد كنت خلال هذين العامين أعمل مع
إخواني المستشرقين في إنجلترا ، وقصة عملنا
طويلة ، وهذا موقف اختصار ، وربما أتاحت
لي في غير هذه المناسبة فرصة لشرح التفاصيل .

وحاصل الأمر أننا أساتذة اللغات والثقافات
الشرقية في إنجلترا كنا في هاتين السنتين متطوعين
نجاهد في توسيع نطاق الدراسات الشرقية في
جامعاتنا ، وقد تابعنا هذا الجهاد في جبهتين
مستقلتين : جبهة حكومية ، وأخرى داخلية .

فأما اللجنة الحكومية فقد ابتدأت بتأليف
لجنة رسمية مثلت فيها كثرة الوزارات لبحث
حالة الدراسات الشرقية في الجامعات ،
فاستمرت في البحث أكثر من سنة ، بل
نحو سنتين ، ودرست تقارير الجامعات
والمستشرقين ، وأصدرت تقريراً يسمى تقرير

وقد ألفت هذه الجمعية في مؤتمر عام انعقد في كبردج في السنة الماضية ، وشرعت الجمعية فعلا في القيام ببعض الأعمال .

وفي أثناء ذلك فتحت جبهة ثالثة ، هي جبهة ماوراء البحار . فإن هذه الحركة في إنجلترا تردد صداها في بعض الدوائر العلمية الأمريكية ، فدعت مؤسسة روكفيلر وقدأمتنا للاتصال بالمستشرقين في جامعات أمريكا والاشتراك معهم في بحث الأساليب الكفيلة بتشجيع الدراسات الشرقية في الجامعات

الأمريكية ، وتنظيم وسائل التعاون في هذه السبيل بين الأساتذة الإنجليز والأمريكيين ، وقد تم الاتصال المنشود ، ورسمت بعض الخطوط العملية للقيام بغرضين : تشجيع الدراسات الثقافية العربية في الجامعات الأمريكية. والتعاون على بث التعرف إلى الثقافة الإسلامية. والعربية في بلادنا .

تلك هي الجهات الثلاث التي كانت تعمل على تنظيم الجهود في السنتين الماضيتين ، وعسى أن يراها المجمع جذيرة باهتمامه..

جلسة استقبال العضوين الجديدين

الأستاذ على عبد الرازق والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

واعترض من التخلف الأستاذ عبد العزيز فهمي والدكتور منصور فهمي والأستاذ أحمد العوامري مع تهنيئهم للعضوين الجديدين وكذلك أقبل على شهود هذه الجلسة العلنية طائفة من الكبراء وأساتذة جامعة فؤاد الأول ورجال وزارة المعارف وغيرهم من العلماء والأدباء والصحفيين ، وأعدت العدة لإذاعة ما يقال من محطة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية .

وفي الموعد المحدد أعلن رئيس المجمع الأستاذ أحمد لطفي السيد افتتاح الجلسة وحيثما العضوين الجديدين ورحب بالزائرين . ثم دعى العضو المحترم الأستاذ عبد الوهاب خلاف لإلقاء كلمته في استقبال الأستاذ على عبد الرازق ، وبعد أن انتهى منها دعى الأستاذ على عبد الرازق لإلقاء كلمته ذاكراً سلفه في مكانه بالمجمع المرحوم الدكتور على إبراهيم باشا . ثم دعى العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد لإلقاء كلمته في استقبال الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ، وبعد فراغه من إلقائها دعى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني لإلقاء كلمته ذاكراً سلفه في مكانه بالمجمع المرحوم الشيخ أحمد إبراهيم .

وأعلن رئيس المجلس انقضاء الجلسة ، والساعة الواحدة بعد الظهر .

كانت الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٢٣ من صفر سنة ١٣٦٧ هـ (٥ من يناير سنة ١٩٤٨) موعداً لافتتاح الجلسة العلنية التي تقرر عقدها لاستقبال حضرتي العضوين المحترمين الأستاذ على عبد الرازق والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ، وهما العضوان اللذان صدر المرسوم الملكي بتعيينهما في المكانين اللذين خلوا بوفاة المرحومين الدكتور على إبراهيم باشا والأستاذ أحمد إبراهيم بك . فما اقرب الموعد حتى توافد على قاعة الاجتماع بدار المجمع من أعضائه حضرات : الأستاذ أحمد لطفي السيد رئيس المجمع والأستاذ على عبد الرازق والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني والدكتور عبد الرزاق السنهوري والدكتور فارس نمر والدكتور عبد الحميد بدوي والأستاذ أنطون الجميل والدكتور على توفيق شوشة والدكتور طه حسين وسيادة حليم ناحوم والأستاذ ماسينيون والأستاذ أحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ على الجارم والأستاذ زكي المهندس والأستاذ محمد فريد أبو خديد والدكتور محمد شرف والأستاذ مصطفى نظيف والأستاذ عبد الوهاب خلاف والأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور أحمد زكي والشيخ محمود شلتوت والسيد حسن القاياتي .

كلمة الأستاذ عبد الوهاب خلاف

في استقبال حضرة العضو المحترم الأستاذ علي عبد الرازق

وفي علوم البلاغة بالرواق العباسي بالأزهر
بعد المغرب من كل أيام الأسبوع .

وكان طلبته من الأزهرين ومن غيرهم ،
وما كانت دروسه دروساً علمية فحسب ، بل
كانت دروساً علمية وروحية وإصلاحية ،
وقد بث الأستاذ في دروسه من روحه فوق
ما بث من علمه وثمرات عقله ، ووجه في
خلال دروسه عدة انتقادات لطرق التعليم
بالأزهر وكثير من المؤلفات في علوم الأزهر
وكثير من المعلومات والعادات المتوارثة
بالأزهر ، وكان الأستاذ عليه رحمة الله مع
نضوج عقله وسداد رأيه فصيح العبارة
حلو الحديث حسن الأداء لاذعاً في نقده ،
وقد استقبل نقده في حياته بالألم والامتناع
ونحاق له خصوصاً حاربوه وكادوا له وسلقوه
بالسنة حداد ، واكنه ترك في نفوس الكثيرين
أحسن الآثار ، وما مات رحمه الله حتى خلف
في الأزهر من تلاميذه من يشعرون بالنقص
الذي كان يشعر به ويعملون للكمال الذي كان
ينشده ، ويسرون في ضوء المصباح الذي
أوقده ، واهتدى الأزهريون بنوره بعد
موته ، وقدروه بعد أن فتلوه .

وفي سنة ١٩٠٤ م أنشئ المعهد العلمي
الديني بالإسكندرية ، واختير المرحوم الشيخ
محمد شاكر أول شيخ له ، وكان ممن نشلون
إصلاح التعليم بالأزهر وهروعه ويقتفون في

استقبل زميلنا الأستاذ علي عبد الرازق
بتحية طيبة مباركة . وليلتمس لي المعلنة إذا
لم ألزم في تحيته وفي حديثي عنه لقبه الوزاري
فإن أعضاء هذا الجمع شارتهم الزمالة ، وهم
في جلساته وبلغانه إخوان متحللون من
كلية الألقاب . واعتزاز الواحد منهم إنما
هو ببحوثه وجهوده في خدمة اللغة وتحقيق
الغاية السامية التي من أجلها أنشئ الجمع .

أما بعد — فلإني لا أقصد بحديثي الموجز
الذي أحدثكم به عن الأستاذ علي عبد الرازق
أن أعرفكم به ، فأنتم تعرفونه حق المعرفة ،
وعلى ما عرفتموه عنه قد رتموه واخترتموه
ولكن هي التقاليد جرت بأن تكون الحفاوة
بالعضو والترحيب به أول استقباله في صورة
حديث عنه وتعريف به .

نشأة الأستاذ :

في أوائل القرن الميلادي الحالي — من سنة
١٩٠٠ م إلى سنة ١٩٢٠ م بالتقريب توافرت
الأزهر عدة وسائل وجهت حركة التعليم فيه
وجهة الإصلاح ، وبعثت في علمائه وطلابه
روح النهوض والنشاط ، وعزيمة المباشرة
والمسابقة في ميدان التثقيف والتعليم .

ابتدأ الأستاذ الشيخ محمد عبده — أسبق الله
عليه رحمته — دروسه في تفسير القرآن الكريم

هذا الإصلاح. آثار الأستاذ الأمام . وقد وفق
المرحوم الشيخ محمد شاکر إلى اختيار نخبة
من علماء الأزهر . ومن غيرهم للتدريس بهذا
المعهد ، وسارت الدراسة فيه بحمد ونشاط
وتبارى أساتذته وطلابه ورعاه المغفور له
الحديوى عباس الثانى بكثير من رعايته ، وقد
أنتج وأنجب وأكثر العلماء النابهين فى الأزهر
والمعاهد الدينية الآن هم من خريجى معهد
الإسكندرية فى ذلك العهد .

وفى سنة ١٩٠٧ م أنشئت مدرسة القضاء
الشرعى ، وهى من حسنات الأستاذ الإمام
عليه رحمة الله ، اقترح إنشاءها ووضع مشروع
قانونها ، ومناهج التعليم فيها ، وحال الموت
بينه وبين التنفيذ ، وقد نفذ فكرته المرحوم
سعد باشا زغلول ناظر المعارف العمومية واختار
أول ناظر لها رجلاً من أكفأ رجالات مصر
حزماً وعزماً وحسن إدارة ، واختار لها صفوة
الأساتذة من الأزهر ودار العلوم ومن غيرهما
وابتدأت الدراسة بهذه المدرسة فى نشاط
منقطع النظير ، وملأت البلد ، وشغلت
الناس ، ولفت المرحوم سعد باشا إليها الانتظار ،
وبنى عليها الآمال ، وهبت عليها عواصف
شديدة ، وسلطت عليها معاول قوية ، ولكنها
بجهد أساتذتها وجهد طلبتها وحزم ناظرها
صمدت فى وجه العواصف وحطمت تلك
المعاول واستمرت تؤدى رسالتها وتؤتى
ثمراتها حتى تغلبت عليها يد التدمير والتخريب

ما كان الأزهر ليقف جامداً وهذه الفروع
من فروعته تتحرك ، أو يرجع إلى الوراء
وفروعته تتقدم ، وما كان علماءه وطلابه

ليرضوا أن تدب الحياة فى إخوانهم وزملائهم
بمعهد الإسكندرية ومدرسة القضاء ، وهم
خاملون نائمون ، وأية قيمة لمعهد الإسكندرية
أو مدرسة القضاء إذا ضاعت قيمة الأزهر
ومكانة الأزهر وسمعة الأزهر ؟ وأية حياة
للفرع إذا دب الفناء فى أصله ؟

لهذا سرى فى الأزهر روح نشاط قوى ،
وانتبه علماءه وطلابه إلى الإصلاح والنهوض .
وأخذ كل عالم فى الأزهر بنافس زميله فى
الإسكندرية ، أو مدرسة القضاء . وأخذت
تردد فى الأزهر أصوات ما فى الإسكندرية
أو مدرسة القضاء من نظام صالح أو خطة
قويمة .

فى هذا العهد الذهبى للأزهر ، وفى هذه
الحركة العلمية الناهضة ، وفى هذا الميدان
الثقافى المعمور بالمسابقة والمنافسة والمباراة ، كان
يلدرس الأستاذ على عبد الرازق العلوم الشرعية
والعقلية واللسانية على أفاضل من علماء الأزهر
من بينهم المرحوم الشيخ أحمد أبو خطوة
والمرحوم الشيخ محمد أبو عليان .
وكان طالبا مقبلا على دروسه ، هيا له
استعداده وتوافر وسائل العيش له أن ينال
أوفر حظ من الثقافة بالعلوم الأزهرية ، وكان
شديد التعصب للأزهر ، قوى الأمل فى
مستقبله ، ولهذا كان فى بعض الأحيان على
رأس بعض الثورات العدائية التى أثرت ضد
مدرسة القضاء ، لا بغضاً فى معاوية ، ولكن
تشيحاً للعز .

ولمى جانب دراسته فى الأزهر كان يدرس

سنة ١٩١٥ عالماً دينياً واسع الأفق مؤمناً بأن الدين لا يضيّق بمصالح الناس ولا يقصر عن حاجاتهم .

جهوده العلمية والادبية واللغوية :

من سنن الله في الناس أنه يوجه كل إنسان في بدء حياته إلى ما يتصل بمستقبله وبشغله بما بعده لما ينتظره .

وعلى هذه السنة اتجه الأستاذ على عبدالرازق من نشأته إلى ما بعده لأن يكون عضواً في الجمع .

١- كان في خلال دراسته شديد العناية بدروس الأستاذ نلينو في الأدب العربي وتاريخه ، وبدروس الأستاذ ليمان في مقارنة اللغات السامية ، وبكل إنتاج أدبي أو بحث لغوي .

٢- وفي سنة ١٩١٢ ، وهي السنة الأولى بعد نيله شهادة العالمية ، تطوع للتدريس بالأزهر فألقى عدة دروس في علم البيان وتاريخه ، وقد طبعت هذه الدروس بعنوان «ألمالي على عبد الرزاق» .

وفي هذه الأملالي ، بحوث قيمة يتجلى فيها امتزاج العقل القديم بالعقل الجديد ، وإنصاف الوسط المعتدل بين المحافظين والمجددين ، نقرأ هذا واضحاً حين بحث في أن قواعد العلوم الدينية ابتدعتها علماء العرب ابتداءً من غير تأثير سابقهم إليه غيرهم من الأمم . أو أنهم في ضوعها وترتيبها وتفرعها وتبويبها

بالجامعة المصرية ، وقد كانت محاضراتها تلقى بمقر الجامعة الأمريكية الآن ، وكان الأساتذة الذين يحاضرون بها من خيرة الأساتذة الأجانب والمصريين ، فثقف بالأستاذ نلينو في الأدب العربي وتاريخه ، وبالأستاذ ليمان في المقارنة بين اللغات السامية ، وبالأستاذ سنكلانا في الفلسفة الإسلامية . وكانت محاضرات أولئك العلماء في ذلك الحين مبدأ دور ثقافي جديد ، ووجد طلبة الأزهر ومدرسة القضاء فيها مورداً عذباً وأفقاً واسعاً . وإلى جانب دراسته بالأزهر وبالجامعة المصرية كان يبتغى بالحق معهد دراسة وبحث دائم ليس له شهور معلومة ولا علوم معينة ولا برامج محدودة . كانت تلتقي فيه علماء الأزهر برجال الأدب والمحافظون بالمتطرفين وحديثهم يتناول كل موضوع ويتنقل من النقيض إلى النقيض ، ومن المحافظة إلى التجديد والأستاذ يستمع ويشترك ويعارض ويؤيد ويستفيد من هذا الندى فوق ما استفاد من الأزهر والجامعة المصرية .

هذه كلمة موجزة في نشأة الأستاذ الثقافية ومنها يتبين أنه تكون في بيئة علمية ذات نواح عدة ، وأنه التقي بعقول الأساتذة أبو خطوة وأبو عليان ونلينو وليتمان وسنكلانا ، وأنه استمع إلى المحافظين والمجددين ، ومن هذا كله تكون من الأستاذ على عبد الرزاق عالم قديم يحب الجديد ، وجديد يعزّز بالقديم ، ووسط معتدل بين المحافظين والمجددين .

وفي أواخر سنة ١٩١٢ ، سافر الأستاذ إلى إنجلترا ، ودرس بجامعة أكسفورد علم الاقتصاد السياسي وعلم الاجتماع ، وعاد في

اقتبسوا من غيرهم واحتلوا من سبقهم .
وحيث بحث في المذاهب المختلفة في وجه حسن
الكلام وهل مرجع الحسن إلى اللفظ أو إلى
المعنى أو إليهما معاً ، أو إلى النظم والالتهام .
وحيث بحث في تجديد معنى الفصاحة والبلاغة
وهل هما مترادفان أو متباينان والتوفيق
بين من نسبوا علم البيان إلى عبد القاهر ومن
نسبوه إلى السكاكي .

٣ - وقد ألقى عدة دروس في الأدب العربي
العام بالجامعة الأمريكية ، وفيها نقد مناهج
الدراسة المتبعة ، وأيد نقده بعدة أدلة ،
وصرح بأنه ما سار على هذا النهج في الدراسة ،
إلا لأن الجامعة الأمريكية عينت له المنهج ،
وطلبت منه أن يدرسه .

٤ - وفي سنة ١٩٢١ ، ألقى عدة محاضرات
في أدب العرب بالأندلس ، وقد قسم حال
اللغة العربية وأدبها بالأندلس إلى عصور
ثلاثة ، عصر مجد ونهوض ابتداء من أول
عهدنا إلى أن غلب عليها يوسف بن تاشفين ،
وعصر انحطاط ابتداء من انتهاء العصر الأول
إلى سنة ٧٠٠ هـ بالتقريب ، وعصر استعادة
مجد ابتداء من سنة ٧٠٠ هـ إلى انتهاء دولة
المسلمين بالأندلس . وقد عني ببيان ما امتاز
به كل عصر من هذه العصور ، وبيان ما له
في اللغة وآدابها من آثار .

٥ - وحيث كان قاضياً بالإسكندرية ،
ندب لتدريس الأدب بمعهد الإسكندرية ،
ومن آثاره الجلية تعليقات لغوية أدبية دقيقة
على مختار العقد الفريد .

٦ - وقد انتدبته جامعة فؤاد الأول
للتدريس بقسم الدكتوراه بكلية الحقوق ،
فدرس في دبلوم الشريعة الإسلامية مصدراً
من مصادر الفقه الإسلامي وهو الإجماع ،
والإجماع قد نشأ في الإسلام فكرة فطرية
سهلة ، ومصدراً تشريعياً مرناً ، عبر عنها
الرسول صلى الله عليه وسلم حين سأله علي بن
أبي طالب قائلاً : يا رسول الله ، الأمر ينزل
بنا ليس فيه نص في القرآن ، ولم يمض منك
فيه سنة . فقال رسول الله اجمعوا له العالمين
ولا تقضوا رأي واحد . أراد رسول الله أن
يكون الرأي فيما لا نص فيه للجماعة لا للفرد ،
وأن يكون أمر التشريع فيما لا نص فيه شورى
لا يستقل به فرد ، وعلى هذا كان أبو بكر
إذا أعياه أن يجد فيما عرض عليه كتاباً ولا
سنة جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم
وكذلك كان يفعل ، وعلى هذا أسس
المسلمون في قرطبة مجلس شورى القضاء .

ولكن العلماء عقّلوا هذه الفكرة الفطرية
السهلة ، وجدّوا هذا المصدر التشريعي المرن
وقرروا أن الإجماع لا ينعقد إلا إذا اتفق
جميع مجتهدي العالم الإسلامي في عصر من
العصور على حكم واضعه ، واشترطوا
لانعقاده شروطاً وقيوداً جعلتهم يبحثون في
إمكان انعقاده وجعلت الإمام أحمد يصرح بأن
من ادعى الإجماع فهو كاذب .

وما رأيت موضوعاً في علم أصول الفقه
تباينت في بحوثه الآراء وكثر فيه الاختلاف
مثل الإجماع . وقد عني الأستاذ علي عبد
الرازق بدراسة بحوث الإجماع ، وطبع فيها

وأنا إذ أقدمه لزملائى ، أقدم عالماً دقيق
البحث ، سليم اللوق ، مشغولاً باللغة وآدابها ،
وسطاً بين المحافظين والمجددين .

وإذ أهنته بهذه الزمالة ، أرجو الله أن
يوفقه ويحقق الخير الذى نرجوه منه ، ويؤيدنا
جميعاً بمعونته وتوفيقه .

رسالته ، وأظهر ما يتجلى فيها الدقة فى البحث
والأمانة فى النقل ، ونسبة كل كلام إلى
مصدره ، والتعليق على كل علم يرد ذكره ،
وتحرير موضع الخلاف وبسط أدلة المختلفين
واختيار أرجحها .

هذه خلاصة موجزة لجهود الأستاذ الأدبية
والعلمية واللغوية .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ على عبد الرازق

يمس منه الجمع اللغوى بقدر ما كانت تتعلق
بالجوانب الأخرى منه ، فقد عرفته جراحاً
حاذقاً ، وطبيباً مداوياً ، وشهدت منه عن
تجربة وممارسة آيات النبوغ والعبقرية فى فن
الطب ، وتكشفت لى جوانب كثيرة من نفسه
الكبيرة ، وعلمه الواسع ، وأدبه الغزير ،
مع الإخلاص وحب البر والإحسان .

وعرفت المرحوم الدكتور على باشا إبراهيم فى
كثير من مناحى الحياة العامة الأخرى ...
عرفته وزيراً ، وعرفته عضواً فى مجلس إدارة
الجمعية الخيرية الإسلامية ، وقد وجدته حينها
عرفته مثلاً فريداً فى الأملية ودمائة الخلق وحسن
المعاملة ، ووجدته فى جميع حالاته راضياً
مرضياً ، نشيطاً مصلحاً ، وإماماً مقدماً ، له
فى كل المواطن أثر محمود وذكى خالدة .

على أننى أشعر شعوراً قوياً بأن المرحوم
على باشا إبراهيم كان يحمل فى الجمع اللغوى محلاً
ممتازاً ، ويسد فراغاً كبيراً ، وأنه كان لساناً
ناطقاً وداعية من دعاة الإصلاح فى اللغة
العربية ، كما كان مثلاً صادقاً للعمل المثمر فى

الحمد لله أولاً وآخرآ ، سبحانه جل شأنه ،
هو ولى النعم ، بيده الخير ، وهو على كل شيء
قدير .

أيها السادة : إن أول ما يخطر على البال فى
هذا المقام هو ذكرى سلفى العظيم فى هذا
الكرسى ، المرحوم الدكتور على باشا إبراهيم ،
وهى ذكرى كريمة ، إن كانت تثير فى النفس
حزناً مريراً ، فإنها مع ذلك تملأ جوانب القلب
مهابة وإجلالاً .

وقد يكون من العسير على أيها السادة أن
أحدثكم بشيء لا تعرفونه عن عمل المرحوم
الدكتور على باشا إبراهيم فى الجمع اللغوى ، وعن
مركزه المتين فيه ، وعن الخسارة الكبرى التى
أصابته بفقدته ، ذلك لأننى كنت بعيداً عن
الجمع لا أعرف من شئونه إلا القليل ، على
حين أنكم جميعاً كنتم متقاربين يصل بينكم
وبينه عمل مشترك ، وتربط بعضكم ببعض
غاية واحدة فى ميدان البحث الحر الطليق .
وفى الحق أن معرفتى الوثيقة بالمرحوم الدكتور
على باشا إبراهيم لم تكن تتعلق بالجانب الذى

العمل معكم - بغيض قوى من الاشرار والرضا ، ولكأنكم قد رددتم على بعض مافات من أيام الفتوة والشباب ، وعدتم بي إلى منزلي الأول الذي هو كما يقول الشاعر موضع الحنين أبداً . ولكأنكم رجعت بي إلى مرحلة من مراحل الحياة السعيدة قد جاوزتها منذ ثلاثين عاماً أو تزيد وضمنتها لا تعود .

تلك هي أولى مراحل في الحياة ، يوم أن أتممت دراستي في الأزهر فأقبلت على البحث في اللغة العربية وآدابها ، مدفوعاً بآمال كانت تجيش في صدي ، وخواطر تنازع وجداني وكان ذلك مما طوع لي أن أتصدي - على حداثة السن وقرب العهد بتلقي العلم - لتدريس علم البيان وآداب العربية في الجامع الأزهر .

ولم أكد أبداً العمل في هذه الدروس حتى أخذت تفتح أمام ناظري أبواب شتى من مباحث اللغة العربية وجدتها محتاجة إلى معاودة النظر وإمعان الفكر ، وبدأت لي مشكلات كثيرة يعوزها التحقيق وينقصها البحث ، ولقد توجهت يومئذ بكل ما أملك من نشاط ومن قوة واستعداد إلى التفرغ لهذه المباحث والانصراف إلى درسيها وتفحصها . وكان ذلك في ظني هو الغرض الأول يومئذ من حياتي والمقصد الأسمى الذي أعمل له .

ولقد بذلت جهداً غير قليل في البحث والدرس ، وكنت جد سعيد باحتمال التعب في ذلك وبذل الجهد فيه ، لأنه كان عملاً يلائم نزعاتي الفطرية ، تهواه النفس وتميل إليه إذ كان هواية علقها منذ باكورة الحياة .

هنا المجال . ذلك أنني وجدته حيناً التقيت به في أي ميدان من ميادين الفكر والعمل موفور النشاط جم الذكاء غلباً إلى أقصى حدود الإخلاص راغباً أصدق الرغبة في الإصلاح ، ووجدته حيناً التقيت به موفق الرأي مسدد الخطا في كل ما يتجه إليه . وما علمت أن التوفيق نحانه يوماً من الأيام ، حتى ملأ اسمه الأسماع ، وطبق ذكره الخافقين ، وصدق قول أحمد شوقي فيه :

تنكر الأرض عليه جسمه
واسمه أعظم منها دورانا

رحمه الله رحمة واسعة وأنزله منازل المصطفين الأنبياء .

والآن أتوجه - أيها السادة - بأطيب الثناء وأصدق الحمد إلى جميعكم هذا الذي حبوتوني بالقبول فيه غبطة لا تدانيها في نظري غبطة ، وقلدتوني شرفاً لا يعلو عليه شرف .

وفي الحق إنني لا أستطيع أن أكافئ نعمة إخواني الذين فكروا في ترشيحي والذين سبقوا إليه ، والذين أيدوا ونصروا . وإنني لأشد عجزاً عن مكافأة هذه التحية الكريمة التي استقبلني بها صديقي الحميم الأستاذ عبد الوهاب خلاص ، وإن كنت أجده غلب فيها جانب الصداقة الخالصة ونظر إلى فيها بعين الرضا لا يشوبه منقط .

• • •

حضرات السادة :

يمتلي قلبي - وأنا أستقبل باسم الله وتوفيقه

البلاغة إنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال .
هذا القدر الذى اتفقوا عليه فى تحديد معنى
البلاغة وغايتها صحيح من غير شك ولا مجال
لنقضه أو الانتقاص منه على ما نرى .

ولكن لاحظنا أن أولئك العلماء قد انصرفوا
منذ العصور الأولى إلى البحث عن هذه الوسائل
التي تجعل الكلام بليغاً مستحسناً وعذباً سائغاً .
وقد أبلوا فى ذلك بلاء حسناً . وتتابع
العصور فإذا مباحثهم قد انتهت إلى ما تعرفون
من أن سر البلاغة قد وقف عند أبواب علم
المعاني والبيان والبديع تلك الأبواب التي نعرفها
فى الخبر والإنشاء والفصل والوصل ، والإيجاز
والإطناب والمساواة ، والذكر والحذف ،
وفى المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية وفى
ألوان من المحسنات المعنوية واللفظية من تورية
وطباق وجناس وحسن تعليل وغيرها .

وجدت أن علماء البلاغة قد قصرُوا بهذا
الوضع نظرهم فى مباحث البلاغة وفى معرفة
أسرارها على ما انتهى إليه الأمر فى هذا الفن
عند الإمام عبد القاهر الجرجاني إلا ما استحدث
بعده من بعض أنواع البديع ومن بعض مباحث
أخرى ليس فيها غناء ولا لوجودها قيمة فنية
فى هذا المجال ، ولا أحسبهم إلا قد ظنوا أن
الكلمة الأخيرة قد قيلت فى هذا الفن ولم يبق
بعد ما قالوه بحث لباحث ولا زيادة لمستزيد .

واعتقدت يومئذ ومازلت أعتقد أن بلاغة
الكلام وحسنه وروعته لا تنحصر أسرارها فى
تلك الأبواب ولا تنقف عند الحدود التي
انتهى إليها بحثهم .

كانت بعض هذه المشكلات التي شغلتني
البحث فيها تتصل بعلم النحو وما استنبطه
علماءه من قواعد لضبط ما اختصت به اللغة
العربية من تغير أو آخر الكلمات وسموه إعراباً
وبناء ، إذ شعرت بأن فى تلك القواعد كثيراً
من التكلف جعلها معقدة ، ومتعسرة .
وحدثتني النفس أيامئذ بأنه لا يبعد على من
يواصل البحث ويواتيه توفيق الله أن يهتدى
إلى استنباط قواعد جديدة للنحو العربى تكون
أحسن ضبطاً وأقرب تناولاً ، وكان لهذا
الخطر صدى يتردد بينى وبين خلصائى من
قبل أن نعلم بما سبقنا إليه فى هذا الباب ابن
مضاء الأندلسى وغيره ، ولعل تلك الأصدا
ظلت تتجاوب فى صدورنا حتى أعلنت عن
نفسها فى كتاب إحياء النحو لصديقى الأستاذ
إبراهيم مصطفى عميد كلية دار العلوم الذى
كان له فضل السبق فخطا تلك الخطوة الموفقة
ومازلت أرجو أن يتبعها هو وغيره بخطوات
أخرى مسددة .

هنالك مشكلات غير تلك سنحت لى
يومئذ ، ولعلها كانت أهم ما شغل خاطرى
واستنفد جهدى ، ولم تكن تتصل اتصالاً
قريباً بعلم النحو بل كانت تتصل بهذا الفرع
من آداب اللغة العربية الذى سموه علوم البلاغة
إذ قد وجدت علماء هذا الفن لا يختلفون فى
أن الغرض الأول والغاية الأخيرة له من علوم
البلاغة إنما هو اكتشاف الوسائل التي بها
يستطيع المتكلم أن يختار الطريقة التي تجعل
كلامه فصيحاً بليغاً أى مطابقاً للغرض وحالاً
فى موضعه اللائق به ، ومصيباً لموقعه الذى
يرى إليه ، وذلك هو معنى قولهم فى تعريف

ولم يخامرني شك في أن هذه الأبواب التي انتهوا إليها عاجزة عن أن تصور لعقولنا المعنى الحقيقي لبلاغة الكلام وحسنه ، وأن تكشف أمام عيوننا الأسرار الصحيحة لبليغ القول ورائعه .

ونحن لانعجز أن نجد في كلام علماء البلاغة أنفسهم شواهد تنطق بأنهم كانوا كثيراً ما يقفون مبهورين أمام آية من القرآن الكريم أو بيت من الشعر أو جملة من النثر . يحاولون أن يردوا وجه البلاغة والروعة فيها إلى باب من أبواب البلاغة المعروفة عندهم فلا يستقيم ذلك لهم إلا على ضرب من التعسف والالتواء وعلى طريقة فيها كثير من الغموض والإبهام ، يكاد الحرج يملأ صدورهم وهم يصورون ما بأنفسهم من وجدان أحسوه وأعجزهم الحال عن تصويره .

ولعل الإمام الجاحظ كان يحوم حول هذا المعنى الذي أشرنا إليه حينما وقف أمام تلك الكلمة المشهورة « روائع الجنة في الشباب » وبهره ما فيها من جمال وإحسان ، فقال : إن هاهنا معنى كمنى الطرب تدركه النفس ولا تحيط به العبارة .

وانظروا إلى ما يقوله ابن قتيبة الدينوري عن الروعة التي تلقاك في قول الشاعر :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو مسح
وشدت على حذب المهاري رحالنا
ولم ينظر الغادي الذي هو رائج
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الأباطح

فإنه لم يستطع أن يذكر لهذه الروعة وجهاً إلا أن يقول :

إن هذه الألفاظ أحسن شيء مطالع ومخارج ومقاطع اه .

وهذا كلام لا محصول له ولا ينفع في هذا المقام غليلاً .

ومثل ذلك كثير تلقاه في كلام عبد القاهر الجرجاني وهو يصول ويحول في معارض البيان ، فتراه يقول مثلاً : ومن بديع النظم قول الأول ، وتمثل به أبو بكر الصديق رضوان الله عليه حين أتاه كتاب خالد بالفتح وهزيمة الأعاجم :

تمنأنا ليلقانا بـقوم
تخال بياض لأهمهم السرابا
فقد لاقيتنا فرأيت حرباً
عواناً تمنع الشيخ الشرابا

انظر إلى موضع الفاء في قوله « فقد لاقيتنا فرأيت حرباً اه .

وهذا كلام إن كان له معنى فعناه أن البلاغة في هذين البيتين إنما تقع في البيت الثاني فقط دون الأول ، وفي الفاء الأولى أو الثانية من هذا البيت دون سائره .

ويقول عبد القاهر بعد ذلك في قول ابن الدميني :

أبني أفي يمني يدبك جعلتني
فأفرح أم صيرتني في شمالك
أبيت كأني بين شقين من عصا
حذار الردى أو خشية من زيالك
تعالت كي أشجي وما بك علة
تريدين قتلي ، قد ظفرت بذلك

انظر إلى هذا الفصل والاستئناف في
تريدين قتل ، قد ظفرت بذلك . اه .

وهذا الكلام إن كان له معنى فعناه أن
البلاغة في هذه الآيات لم تجئ إلا من الشطر
الأخير فيها . ويكاد يشط بنا الحديث إن نحن
أردنا أن نسترسل في بيان هذا الذي أردنا أن
نقوله من أن البلاغة في أكثر صورها خارجة
عن الأبواب التي اقتصرت عليها فنون البلاغة .

أقد يكفيكم في الحكم أن تفكروا في تلك
الآيات الكريمة التي هزت مواطن الإعجاب
من نفس تلك الفتاة البدوية الساذجة ، وهي
قوله تعالى :

« وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا
خفت عليه فآلقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني
إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين .
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً .
إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين .
وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ،
لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً
وهم لا يشعرون ، وأصبح فؤاد أم موسى
فارغاً ، إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا
على قلبها لتكون من المؤمنين ، وقالت لأخته
قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ،
وحرمنا عليه المراضع من قبل ، فقالت هل
أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له
ناصحون ، فرددناه إلى أمه ، كي تقر عينها
ولا نحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم
لا يعلمون . »

أظنكم تتفقون معي - رغم ما حاوله بعض
علماء البلاغة في هذه الآيات وأمثالها - على
أن أكثر مقاييس الروعة فيها خارجة عن
الأبواب التي قررنا علماء البيان .

ولابد أن نقف هنا لنستطرد استطراداً
قليلاً . إذ نخشى أن يتبادر إلى بعض الأذهان
أننا نريد من قريب أو من بعيد أن نغبط
قدر علماء البلاغة السابقين أو أن نخط من
جلال هذا البناء الذي شيدوه . لذلك نقرر
في صراحة ليس فيها مواربة ولا محاباة أن
أولئك السابقين قد بذلوا أقصى ما يحتمله جهدهم
في الكشف عن معاني البلاغة وأسرارها .
وأنهم قد وفقوا إلى اكتشاف دفائن وكنوز لم
يكن من اليسير أن يهتدى إليها إلا من استندوا
إلى علم غزير وعزيمة قوية وتوفيق من الله
كثير . وإن علماءنا رضى الله عنهم قد أقاموا
لفنون البلاغة بناءً قوياً متيناً إن كانوا لم يصلوا
به إلى التمام فلاشك أنهم وضعوا به أساساً
صالحاً كل الصلاح لأن تقام عليه صروح
كاملة عالية لهذا الفن .

والواقع أن الذي يريد أن يستوفى البحث
في فنون البلاغة وأن يشارف حد الكمال فيها
لابد له من أن يبدأ أولاً باستيعاب تلك المباحث
والأبواب التي وضعها المتقدمون فأحسنوا
وضعها وأحكموا ترتيبها . فإذا ماتم له ذلك
وجب عليه أن يمد نظره إلى ميدان آخر
وراء ذلك ينقل إليه البحث والتنقيب .

يجب على من يريد أن يستوفى هذا البحث

أن يتجه إلى البحث والتنقيب في فنون البلاغة وأسرارها في غير لغة العرب أيضاً وعند العلماء الباحثين من غير علماء العربية .

يجب على من يتصلى للبحث في هذا الفن أن يعتبر أن البلاغة العربية ليست حقيقة مستقلة متميزة بذاتها وإنما هي صنف يدرج تحت نوع البلاغة العامة التي تشمل البلاغة العربية كما تشمل البلاغة في سائر اللغات .

ولعله من اليسير أن تتفقوا معي على أن البلاغة في معناها العام فن واسع المدى سعة النفس الإنسانية . وأنه إذا كان هناك من أوجه البلاغة ما يختص بالعربية أو تختص به لغة بعينها فإنه يجب من غير شك أن تكون هناك أوجه أخرى للبلاغة يشترك فيها العربي وغير العربي على نحو ما نجده في الفنون الجميلة التي تتوارد إلى إدراك جمالها والتأثر بها أمة مختلفة ، ثم لا يمنع ذلك من أن يكون لكل أمة خصوصية تتيح لها حقاً مخصوصاً من إدراك الجمال فيها .

وما يمنعنا من ذلك ونحن نعلم يقيناً أن كل لغة من اللغات تعرف البلاغة وينشدها المتكلمون بها وليس أهل فارس ولا أمة الرومان واليونان ولا الشعوب اللاتينية والإنجليزية بأقل شغفاً بالبلاغة وإدراكاً لها وتأثراً بها من الأمة العربية ؟

وما يسترعي النظر أن علماءنا حين أرادوا تعريف البلاغة جاءوا لها بتعريف ينطبق على البلاغة العربية كما ينطبق على غيرها من اللغات إذ البلاغة عندهم — كما قلنا — هي مطابقة

الكلام لمقتضى الحال . وقد عرفنا أن معنى ذلك وضع الكلام في موضعه اللائق به وإحلاله المحل الذي ينبغي أن يحله . ولا شك أن ذلك يصدق على بلاغة الكلام العربي كما يصدق على بلاغة الأعجمي سواء بسواء .

أضف إلى ذلك أن أكثر الأبواب التي بنى عليها علماءنا فنون البلاغة يمكن أيضاً أن تنطبق على سائر اللغات غير العربية . فأبواب التشبيه والمجاز وكثير من أبواب الاستعارة ، وأبواب الإيجاز والإطناب والمساواة ، وأبواب القصر ، وأبواب الفصل والوصل ، وأبواب الخبر والإنشاء ، وكثير من أنواع البديع ، كل أولئك موجود كذلك في اللغات الأخرى .

ولاشك أننا إذا فتشنا في مباحث علماء البلاغة في اللغات الأخرى سنجد عندهم شيئاً ذا قيمة ينفعنا في هذا المقام .

أخشى أن يشير هذا الكلام ثائرة طائفتين تتنازعان في أن علماءنا السابقين قد وقفوا على ما عند غير الأمم العربية من مباحث البلاغة أم فأنهم أن يقفوا عليه . سيقول أناس إن مباحث البلاغة التي وضعها علماءنا مستمدة من مباحث البلاغة عند بعض الأمم الأعجمية خصوصاً اليونان والفرس وسيكون من حججهم على ذلك بعض ما سبقت الإشارة إليه من تشابه كبير في تقاسيم هذا الفن وتبويبه .

وسيقول آخرون إن علماءنا السابقين رضى الله عنهم قد نظروا إلى علوم البلاغة

على أنها فن خاص باللغة العربية وحدها ومقصود عليها ومشتق منها وستكون حجته على ذلك أن هذه المباحث كانت تقوم في ذهنهم إلى حد كبير على أساس ديني هو الكشف عن أسرار إعجاز القرآن الكريم . وذلك كاف في أن يرد نظرهم إلى حدود البلاغة القرآنية التي يحسبونها بلاغة عربية خالصة لا ينبغي أن يذهب النظر بعيداً عنها .

وستقوم مذاهب أخرى حول هذين الملهيين يتردد أمرها بين الإفراط والتفريط

أيها السادة :

لا نريد أن نقف عند هذا النزاع ولا أن نتصر لرأى دون رأى ، فهو نزاع لا يعنيننا الآن ، وسواء علينا أكان علماؤنا السابقون قد عرفوا فنون البلاغة عند الأمم غير العربية أم لم يعرفوها واقتبسوا شيئاً من علماء الأعاجم أم لم يقتبسوا ، وسواء علينا أكان فن البلاغة العربية عربياً خالصاً أم أعجمياً خالصاً أم خليطاً من هذا وذاك ، فلا ريب على أى حال في أنه يجب على من يريد أن يواصل البحث في البلاغة العربية أن يتجه إلى دراسة التطورات التي استحدثها علماء الأعاجم في تلك الفنون ومزجها بما وضعه علماء البلاغة عند العرب عسى أن يتألف من هذا المزيج خلق سوى وصورة للبلاغة تامة .

هناك شيء آخر هو أن البلاغة في أكمل صورها - قديمها وحديثها عربيها وأعجميها - ليست إلا ذوقاً يعرف به صاحبه كيف يفصل

إلى غرضه من نفس مخاطبه وكيف يدبر معه الكلام ليصل بالحسن إلى التأثير فيه ... هذا اللوق الذي عجز العلماء عن تحديده وعن طرق الوصول إليه ، ومن أجل ذلك قالوا إنه ليس في الكتب ، هو أيضاً من أهم وسائل البلاغة .

وإذا استطاع العلم الحديث يوماً من الأيام أن يكشف عن حقيقته ووسائله ورسم حدوده فلما نرجو أن يكون ذلك فتحاً في علوم البلاغة كبيراً .

وقد يكون لهذا العلم الحديث الذي لا تزال مباحثه عند علماء الأعاجم في دور التكوين - ويسمونه علم النفس - عمل محمود في الكشف عن كثير من هذه المباحث وجعلها في متناول علماء البلاغة ويومئذ نستطيع أن نقيس بلاغة الكلام بمقاييس دقيقة مضبوطة فنعرف لكل كلام قدره ومنزاته من البلاغة فلا يختلط علينا الأمر وتنفرد بنا السبل .

هذه - أيها السادة - بعض الخواطر والأحلام كانت تتوارد على فكري منذ جيل مضى ، تراءى أمام ناظري ، وكانت محبوبة جذابة ، استهوتني حيناً ، وشغلتنى حقبة من الدهر ثم تولت غنى وأعرضت حين وجدت يد الأقدار تصرفني إلى وجهات في الحياة جديدة ، وتدفع بي في جهات مختلفة وتنتقل بي بين منازل نائية .

والآن حين تفضلتم مشكورين بقبولي في هذا المجمع العظيم أشعر وأنا أبتدئ العمل معكم

فيه بأن شيئاً يشبه هذه الأطياف الجميلة التي كانت أول ما استوعبه النظر وعلق به الخاطر وتفتحت له أبواب القلب ، قد عاد يترامى أمامي ، يداعبني من جديد ويحيي في نفسي وثبات الشباب ومطامحه .

أيها السادة :

لست أزعم أنني حققت فيما مضى شيئاً من هذه المطامح ولا أنني أدركت في مبحث منها بعض ما تطمئن إليه النفس وتقرّ به العين وما أحسبني أطعم في شيء من ذلك اليوم . وبحسبي أن أنفض هذه النزعات التي تجيش في صدري وأن أعلن أمرها إليكم لعلها تجود في تلك البيئة الكريمة وفي هذا المكان الأمين مجالا رحباً ورعاية طيبة لدراستها وتمحيصها وعسى أن يكون لي في هذا المجال حظ ضئيل من المشاركة والمعاونة .

ولست أظن أن أحداً يرتاب في أن هذه المباحث وما يتصل بها مرتبطة أوثق الارتباط بصميم اللغة العربية ، وأنها ذات أثر بعيد في العمل على سلامتها وجعلها ملائمة لحاجات الحياة

في العصر الحاضر ، وأنها لذلك داخلة في أغراض هذا المجمع بل لعلها أجدر بأن تكون من أغراضه في المنزلة الأولى . وإنني لأرجو أن يكون قد آن لهذه المباحث وأشباهها أن تلقى في مجمعكم العظيم مقاماً يليق بها وأن تتولاها بالعناية البالغة يدكم القوية بعقولكم الكبيرة ونظراتكم النفاذة وعلومكم الواسعة فتسدوا إلى اللغة العربية وبلاغتها أحسن ما يمكن أن يساعد على سلامتها ونمائها وخواودها إن شاء الله .

أيها السادة :

أكرر القول بأن ما شرفتموني به هو أعز عندي من أكثر ما وجدت في حياتي ولكأنكم قد رددتموني إلى منزلي الأول وهياًتم لي أن أتمثل بقول الشاعر :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى
كما قر عيناً بالإياب المسافر
فأكرر لكم الشكر وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً لخدمة اللغة العربية خدمة صادقة يرضى عنها الله جلّ شأنه ويرضى عنها أهل اللغة العربية أجمعين .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ عباس محمود العقاد

في استقبال حضرة العضو المحترم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

كان من حظي أن وكل إلى إلقاء هذه الكلمة في استقبال صديقي القديم ، وزميلي الجديد في المجمع : الأديب الشاعر الناثر الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني .

ولكن ليس من حقي أن أسميها كلمة تقديم ، فإن المازني مقدم متقدم ، له من بحوثه وقصائده ومقالاته وقصصه ، رسل شتى تنقدم به إلى كل مكان تصل إليه لغة الضاد .

وليس من حق أن أسميها كلمة تعريف ،
فلأنني لو ذهبت أعرف الناس بالمازني ، لم آمن
أن أسمع من العالم العربي كله ، كلمة يستعيرها
من الفرزدق ، ليقول لي : العرب تعرف من
عرفت . فلا حاجة بالمازني إلى تعريف .

لكنني أستطيع أن أقول عن المازني شيئاً
جديداً فيما يتصل بي ، وشيئاً طريفاً فيما يتصل
بالجميع ، لأن صلة المازني بالجميع صلة سابقة
من جهة أعماله وجهوده ، وإن طرأت عليها
الطرافة من جهة انتظامه بين أعضائه ، في
العهد الأخير .

...

عرفت المازني منذ نيف وثلاثين سنة ،
أي منذ جبل كامل في عصر النهضة الحديثة ،
وقعت فيه حربان عالميتان ، وشجرت فيه
حروب لاعدادها في ميادين الأدب والثقافة
أو السياسة ، ولم تكن في تلك الميادين على
انتهاء دائم إلى صف واحد ، ولكنني راض
ومغتنب بأن أقول : إنه كان لسماحته وحسن
تقدير الفوارق بين اختلاف الآراء ، واختلاف
العقول والطباع ، فضل مشكور في بقاء هذه
الصدقة التي أعزها وأعز بها ، ويسرني أن
تصبح من الصداقات النادرة في تاريخ الآداب
العربية الحديث .

...

كان المازني طالباً بمدرسة المعلمين العليا ،
يكتب في صحيفة الدستور التي كنت أشترك
في تحريرها ، ثم عرفته فيما أصبح أن نسميه بمدرسة

« البيان » ... وهو اسم المجلة التي كان يصدرها
الأديب البليغ الأستاذ « عبد الرحمن البرقوقي »
رحمه الله ، وكان يكتب فيها نخباً من ناشئة
تلك الفترة ، شيوخ هذا الجيل : أمثال محمد
السباعي ، ومحمد حسين هيكل ، وعبد الرحمن
شكري . وكنا نزامنهم في كتابة فصول المجلة .
فكنا نتلاقى على مائدة الأدب والمطالعة : نقرأ
ابن الرومي ونعارضه ، ونقرأ الجاحظ والشريف
الرضي ونختلف فيهما ، ونقرأ وليام هازليت
ناقد الإنجليز الأكبر ونرفعه مكاناً علياً فوق
زمرة النقاد العالميين ، ولا نسمع بشاعر أو
كاتب من أعلام الأدب والفكر في اللغات
الأجنبية إلا ذهبنا نلاحقه ونطارده في كل
ما يصل إلينا من كتبه . ثم نقسم نصيبنا منه
بالمذاكرة والمشاورة ، كما نقسمه بالمنازعة
والمشاجرة في أحيان .

ولست أنوي أن أفصل تاريخ هذه الشركة
الأدبية ، فإن تاريخها قد أصبح في ذمة الصحف
والأوراق ، وفي ذمة الذهن اطلعوا على تلك
الصحف والأوراق .

ولكنني أذكر بعد ذلك أنني عرفت المازني
معلماً كما عرفته قارئاً وكاتباً وطالباً ، وزاملته
في التعليم كما زاملته في التلمذة على فحول
الأدباء ... ومن إخواننا في المجمع من عرفوه
كما عرفته في تلك الأيام ، فلعلهم يذكرون
شيئاً مما أذكره في هذا الساق ، ويستطيعون
أن يزدوا عليه ويتموه بما علموه .

...

إن الطلاب - كما تعلمون حضراتكم -

يمتحنون أساتذتهم قبل أن يعلمهم الأساتذة وقبل أن يمتحنوهم من باب أولى .

والعلی لا أبخس الأساتذة حقهم إذا قلت : إن هؤلاء الطلاب الشياطين أخبر بفنون هذا الامتحان من كل أستاذ خبير ، لأنهم يمتحنون الأستاذ في كل شيء ، ولا يقصرون امتحانهم على مادة العلم أو برامج الدراسة : يمتحنونهم في مقدرة العقل ، وفي مقدرة الخلق ، وفي مقدرة التصرف والتنظيم .

وقد أمتحن أنا نحن المازني في كل مدرسة تولى التعليم فيها ، فخرج من كل امتحان ناجحاً موفقاً ، أتم نجاح وتوفيق .

والمازني كما ترونه اليوم ، هو المازني كما رأيناه قبل نيف وثلاثين سنة : عيناً بعين ، وقدماً بقدم ، وإن لم يكن سنّاً بسن على معنى الحقة من الدهر . فلم يختلف فيه إلا ابيضاض الشعر ، وشئ من التجميد في موضع النظارة والاستواء .

فلما فوجئ التلاميذ برويته ، أعدوا له ورقة الامتحان من الوهلة الأولى ، وتساءلوا : ماذا عسى أن يصنع هذا الأستاذ النحيل القليل في هذا الامتحان العسير الحليل ؟ واختلسوا من حيث لا أدري قليلاً من حمض لعله حمض « الهيدروكلوريك » Hydrochloric Acid وهو حمض يكظم الأنفاس ويطلق السعال والعطاس . فوزعوه على الدويات في جوانب الحجرة ليضيق الدم جباراً بين المهمين فيه .

ودخل أنا نحن المازني الفصل كما نسميه . فشم رائحة الفأر كما يقول الإنجليز في أمثالهم — Smelt a rat — وعرف ما ينتظره التلاميذ وفعل ما لم ينتظروه .

عرف أنهم ينتظرون أن تضعي الحصة في السؤال والجواب ، وفي الاتهام والإحالة ، وفي السخرية التي يخرجون منها بصفقة الرابع ويخرج منها الأستاذ بصفقة المغبون .

ولكنه لم يصنع شيئاً من ذلك ، ولم يخطر له أن يصنعه .

لم يسأل ولم يتهم ، ولم يبد عليه أنه توجس أمراً أو أحس ما يستحق السؤال ، ولكنه عمد إلى نوافذ الحجرة المفتوحة فأغلقها ، وقصد إلى مكانه فاستوى عليه ، ومضى في درسه كأنه في حديقة من حدائق الأزهار والرياحين .

وتتابع السعال ، وتلاحق العطاس ، واشتد التأفف ، ونقد صبر التلاميذ قبل أن ينفد صبر الأستاذ ، واستغاثوا به متوسلين أن يفتح النوافذ ، أو يفتح نافذة واحدة ... فكان يجيبهم بأنه البرد ... سعال البرد أو عطاس البرد ... وقد يزيده تيار الهواء . فن الحير أن تحتملوه ولا تعرضوا معه للهواء .

ولم يمتحن معدن بمحمض من الأحماض ، كما امتحن معدن المازني بذلك الحمض الكريه . فلم الممتحنون أنه امتحان كاف ، فلا حاجة بهم بعده إلى تكراره ، ولو احتاج الامتحان إلى بقية باقية لما كرروه . وقد ظفر المازني

فلذا هو بعد هنية مذكرات وافية موزعة على التلاميذ .

وأظن أن زميلنا الفاضل - الأستاذ فريد أبو حديد - يذكر هذا كما أذكره ، لأنه كان صاحب المكتب الذي يواجه المازني ، وكنت صاحب المكتب الذي يليه .

...

وأحسب أنني قد استطردت الآن إلى الجانب الذي يتصل بالمجمع من أعمال عضوه الجديد . وهو جانب التمكن من اللغة في الترجمة والتعبير .

ولست أغلو - ولا أحجم عن التحدى - إذا قلت : إنني لا أعرف فيما عرفت من ترجمات النظم والنثر - أدبياً واحداً يفوق المازني في الترجمة من لغة إلى لغة ، ويملك هذه القدرة شعراً كما يملكها نثراً ، ويجيد منها اللفظ كما يجيد المعنى والتسق والطلاوة ، وقد يغني التشبيل هنا عن الإفاضة في الدليل .

فهذه أمثلة لذلك كله من ترجمته لبعض رباعيات الخيام ، وهي مما ترجمه في سويغات معدودات . ولا يخفى أن التمكن من اللغة عمل لا يدل عليه شيء كما تدل عليه الترجمة ، لأن المنشئ مطلق في تفكيره وتعبيره . أما المترجم فله قيود من كلام المنشئ الأصيل ، فاو لا قدرة عنده على التصرف بالمعاني والكلمات ، لما استطاع التوفيق بين كلامه وفكر غيره في هذه القيود . وهذا الذي نراه في ترجمة المازني للخيام .

بعد المعركة باسم عسكري أضفاه عليه تلاميذه وجنوده : وهو اسم « تيمورلنك » ... مستمد من التسمية من مادة التاريخ التي كان يدرسها ، ومن ذلك الجبروت الذي خبروه .

ومن حق المازني أن أقول : إن نجاحه في تجاربه قد أفادني في زمالته . فكنا نمشي معاً ، ونهبط الدرج معاً ، ولا أكتمكم أنه منظر يغري الكبار المتوقرين بالابتسام ، فضلاً عن الصغار اللاعبيين ، ولكنهم كانوا يغضون عنا ، ولا يذكروننا بأسمائنا وإنما يتساءلون : هل جاء العشرة ؟ هل خرج العشرة ؟ فإن قيل لم : نعم خرجوا ، قالوا : الحمد لله !

على أنني أظلم صديقي إذا عزوت مهابته في التدريس إلى حضور ذهنه وحسن تصرفه وقدرته على نفسه دون غيرها من أدوات التعليم . فقد كان - كما عرفه زملاؤه وتلاميذه - معلماً كاملاً الأداة ، وربما كان التمكن في المادة والسرعة في التحضير أكمل ما في هذه الأداة .

كان - كما قدمت - يعلم دروس التاريخ في المدارس الثانوية ، وكان تعليمها بالعربية حديثاً ، وكتبها المقررة لاتغنى عن المراجعة والتلخيص من المصادر الكبرى ، وكان وقت المعلم مزدحماً بالحصص في اليوم الواحد . فرأينا المازني يجاس إلى مكتبه : أمامه المرجع الإنجليزى الضخم في مجلد أو مجلدات ، وفي يده القلم ، وبين يديه ورق الآلة الناصنة التي تعرف بالرونو . فينظر إلى المجلد ، ويترجم ما يقرأه فيه ، ويلخصه لنفسه ، ويكتبه بالعربية القصص ، ويرسله إلى المطبعة في وقت واحد

يقول الخيام أو يقول المازني :

هذه رقعة شطرنج الفضاء
ولها لونان : صبح ومساء
لنقل الخطو بها كيف نشاء
ثم تطوينا صناديق الفناء

ويقول الخيام أو يقول المازني :

أبدأ بسطر ماشاء القلم
ثم يمضي - نافذ الحكم أصم
ليس يمحو نصف سطر ورع
لا ولا يغسله دمع سجم

ويقول الخيام أو يقول المازني :

كرة تذهب في كل اتجاه
مالها إلا الذي شاء الرماه
إن من ألقاك في ميدانه
هو يدرى. هو يدرى. لاسواه

ويقول الخيام أو يقول المازني :

كم بذرنا حكمة العقل سواء
وتعهدت يكفي الفناء
وتأمل : ها حصادي كله
جئت كالماء ، وأمضي كالهواء

ويقولان أصلاً وتقلان :

خضت في عهدي غمار الجدل
وسمعت الشيخ يتلوه الولي
غير أنني كنت ألي أبداً
مخرجي ، بعد عنائي ، مدخلي

ويقولان :

ها هنا حسبي من كل الطلاب
زق خمر ، ورغيف وكتاب
وتغنين ، فترتد اليباب
مثل همي من فراديس وغاب

ويقولان :

هات لي الكأس ما يجدي الفطن
كيف يطوى تحت رجله الزمن
قد مضى الأمس ، ولم يولد غد
فكفانا اليوم مادام حسن

وهذه أبيات من الشعر ، نظمت رباعيات
وترجعت رباعيات ، وليس في الترجمة فكرة
مقحمة أو عبارة محشوة ، وليس فيها معني
ناقص أو فتور في زوح الشعر ومؤداه . بل
تراجعها على الترجمة الإنجليزية فتكاد لا ترى
هنالك كلمة متأخرة عن موضعها ، إلا فيما
يقضى به اختلاف اللغتين ... ولو أراد

فتزجيرالد مترجمها إلى الإنجليزية ، أو أراد الخيام ناظمها بالفارسية ، أن يفرغها في قالب عربي ، لما استطاعا في الطلاوة والسلاسة والدقة والنغمة الموسيقية ، أن يبلغا بها فوق مبلغ المازني من الإجادة في كل هذه الحسات.

على أن يتمكن من اللغة والتعبير ، غرض من الأغراض الكثيرة التي تناط خدمتها بالمجمع اللغوي ، وقد ناط المازني نفسه بها زمناً طويلاً قبل أن يتبوأ مكانه في المجمع للمثابرة على خدمتها . وقد سبقت له فيها دراسات مستفيضة وكانت دراسته لها أوفر من كتابته في موضوعاتها وكانت له في كل منها مقاطع رأى ترتضيها الكثرة من المشتغلين بهذه الموضوعات .

كتب في موضوع الحقيقة والجهل ، فأتى برأى الفيلسوف « لوك » الذي يرى أن الألفاظ جميعاً مأخوذة من عالم الحس ثم يتفرع الجاهز عليها . ثم أتى برد الفيلسوف كوزان على هذا الرأي وهو يقول : « سأورد لفظين أسألكم أن تردوهما إلى أصليهما الدالين على ما هو واقع تحت الحس أوها « أنا » — هذه اللفظة فيما أعلم ليست قابلة أن ترد إلى أصل أو أن نحال إلى عناصر أولية ، وليست دالة على فكرة محسوسة . كذلك لفظ « يكون » أولى ذهني محض ، ولا أعرف لغة يؤدي فيها لفظ « يكون » بكلمة تعبر عن لفظ « يسوس » . ومن أجل ذلك لا أرى من الصواب أن الرموز الدالة على ما يقع تحت الحس هي أصول اللغة » .

ثم توسع في الاستشهاد برأى كوزان ، وهو لا يمنع أن يكون كثير من الجاهز مردوداً إلى المحسوسات ، وعقب على ذلك قائلاً : « إن هناك نوعين من الجاهز : لفظي وشعري . فأما اللفظي فلذلك الذي ينقل فيه اللفظ إلى أشباه ما وضع له ، كالإشراق مثلاً يستعمل للشمس والنار والوجه والمعاني ، وأما الشعري فنغنى به أن يعتمد القائل مثلاً إلى الشمس فيجعل لها أيدياً يرمز بها للأشعة ، أو للسحب فيسميها جبلاً أو يشبها إذا أمطرت بالاناث فيقول مثلاً استحلب الريح السحاب » .

وعرض الأستاذ المازني غير مرة للبحث في التجديد والتقليد ، فقال : « لانكر ما لدراسة الأدب القديم من النفع والعائدة ، وما للخبرة ببراعات العظماء قديمهم وحديثهم من الفائدة والأثر الجليل في تربية الروح... على أنه مهما يكن فضل القدماء ومزيتهم فليس ثم مساع للثك في أنك لا تستطيع أن تبلغ مبلغهم من طريق الحكاية والتقليد ، فإن الفقير لا يغني بالاقتراض من الموسرين » .

ومن تفريقاته بين الفصاحة والبلاغة الشعرية أنه يوكل البلاغة الشعرية بما يصح أن يناجي به الإنسان نفسه ، وإن كتبه لغيره . ويوكل الفصاحة على العموم بما يجري به التخاطب بين الناس . ثم يقول : « لعل هذا هو السبب في أن الأمة الإنجليزية لم تنبغ في شيء نبوغها في الشعر الذي يرجع في مرد أمره إلى الإرادة والعاطفة ، وأن الأمة الفرنسية من أفصح

الأمم ... ذلك أن الشعر عبارة عن الإحساس الذي يعترف به المرء لنفسه ساعة الخلوة بها، ويرمز له بما هو أقرب إلى الصورة التي هو بها في نفس الشاعر . أما الفصاحة فإحساس كذلك ، ولكنه يصب في أذهان أخرى ويلقى إليها طلباً لعطفها أو التماساً للتأثير فيها ، أو نشدانا لتحريكها وحفزها إلى العمل .

ومن فصوله عن التقليد في الشعر فصل يثبت أنه « ليس الأصل في الشعر التقليد والحكاية والطبع على غرار من سبق . إذ لو كان ذلك كذلك لاستوجب أن يظهر الفحول في آخر العصور ، ولما ظهر أحد منهم في أولها ، ولكنك ترى الشعر في جاهلية الأمم وبدائها كالشعر في حضارتها : لطف تخيل ودقة معنى » .

هذه المباحث والآراء وماشاكلها قد شغلت المازني أكثر مما كتب فيها . وقد كتب فيها أكثر مما اشتغل به أناس من الأدباء ، وقد انتهى إلى أحكام تجمع الصواب إلى سعة لأفق وبعد الروية والأناة . فيصح أن يقال إن المازني بعمله وعلمه عضو قديم في مجمع اللغة وإنه بمراسم التعيين عضو فيه جديد .

ولست أحب أن أختم هذه الكلمة قبل أن أنصف المازني حيث يحتاج إلى الإنصاف . وهو لا يحتاج إلى الإنصاف إلا في موضع

واحد : وهو موضع الكلام عن نفسه .

فلم أر أحداً يجور على المازني كما يجور المازني على فضله وقدره . وقد طاب له منذ سنوات أن يدأب على الاستخفاف بعمله والاستخفاف بجدهواه . فأنكر على نفسه الشاعرية ، وأنكر غناء ما يكتب وينظم وما عسى أن يكتب وينظم . وقد تغنى أسماء كتبه عن الاستشهاد منها بما قاله في تصغير فضله وقدره ، ومن هذه الأسماء حصاد الهشيم ، وقبض الريح !

وقد غالطته أحياناً فقلت له : إن هذه البدعة منه ضرب من المكر الحسن الذي لا يستغرب . كأنه أراد أن ينزل عن مكانه ليجلسه الناس عليه ، وأن يحدد حقه ليثبت له الناس .

ولو كان هذا قصده لكان في كلامه ما هو أقوى جواب عليه ... وذلك حيث قال في حصاد الهشيم : « واعلم أنك إذا أنزلت نفسك دون المنزلة التي تستحقها لم يرفعك الناس إليها . بل أغلب الظن أنهم يدفعونك عما هو دونها أيضاً ، ويزحزونك إلى ما هو وراءها . لأن النزاحم على طيبات الحياة شديد ، والجهد والتنازع لا يدعان للعدل والإنصاف مجالا للعمل .. »

فالأرجح أنني غالطته حين استفزته بمثل تلك التهمة البريئة ، وأن حقيقة الأمر في هذه الحصلة أن المازني يستخف بعمله ، وبغير عمله أحياناً ، لأنه يستصغر حياة الإنسان في جانب آماد الخلود ومصاير الأقدار ، ولأنه

ينظر إلى أعلا ولا ينظر إلى أدنى ، فيقيس
مأعمل بما أراد أن يعمل ، فإذا هو دون ما أراد
وإن كان فوق ما أراده عاملون آخرون .

وقد هوّن الخطب على نفسه بسليقة فيه ،
عهدتها منذ زمن بعيد ، وهي أنه استطاع أن
يقسم « أنانيته » قسمين متلازمين . يسخط
أولهما فيتناول الآخر بالعبث والتعزية ،
ويشتمخ الشامخ منهما فيغض منه المظمن
الوادع ، ولا يندري في كتابته أن تقرأ له دلائل
هذه التثنية المباركة ، فيقول أحد المازنيين
للآخر : « أهذا الذي ركبته الله لك يامازني
بين كتفيلك رأس كرعوس الناس ؟ ... » أو
يقول : « هب جيلنا كان آخر جيل . أفنظن
أن الدنيا كلها تقضى نجها من أجل أننا نحن
قضيئنا نجينا ؟ إذن لاتصوب نظرك يامازني
إلى هذه الحيوأت الصغيرة الساذجة التي تبدو
لعينيك إذ تطل من نافذتك ، ولاتبتسم إذ
تجئلى مظاهرها كأنك تزدرىها أو ترثى لأصحابها
الذين لم يقرأوا ما قرأت ولم يعرفوا ما عرفت
فإنها حافلة بالمتع والعجائب ، كهذه الكتب
التي تعنى بها » .

وقد راقه هذا المعنى في بعض شعبه فنظمه
في قصيدة من الشعر الجزل يقول منها :
إني أراي قد حُلْتُ وانتسختُ
مع الصبا سسورة من السورِ
وصرت غيري ، فليس يعرفني
— إذا رآني — صباي ذو الطرر
ولو بدا لي لبت أنكره
كأنني لم أكنه في عمري
كأننا اثنان ليس يجمعنا
في العيش إلا تشبث الذكر
مات الفتى المازني ثم أتى
من مازن غيره على الأثر
فقد اتسع لذن أفق الخلود والمثل الأعلى
أمام صديقنا وزميلنا ، فأعد له مازنيين اثنين
بدلا من مازني واحد . وله ولا ريب أن
يشغل هذا الأفق الرحيب بما يشاء من أقران
وأنداد ، يستمدهم من ذات نفسه الفنية .
ولكننا لا نترك له أن يحكم عليه أو عليهما
أو عليهم أجمعين ، فيستأثر في ذلك بالقول
الأخير . إلا أن يكون ذلك القول الأخير
على وفاق ما قاله فيه قراؤه وعارفوه ، ويقول
كل منصف في الحكم والتقدير .

كلمة حضرة العضو المحترم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

سيدى الرئيس ،

سادتى الأجلاء :

كان بودى أن أرزق في هذا الموقف
شجاعة ، أو أن أستطيع أن أدع الزهو الطبيعى
تأخذنى خفة منه لتشرىفكم لي بضمي إلى مجمعكم
الموقر ، فأقول « زملائي » . وإن معرفتى بما

أوتيتم من الفضل ، ومروءة القلب ، وسعة
الخلق ، لتخيّل إلى ، لا بل تؤكد لي ، أنه
يطيب لكم أن تسمعوا مني هذا النداء ،
ولكنني أشعر بما يشعر به الواقف على عتبة قصر
لا عهد له بمثله ، فهو بطرقه متبها محاذراً ،
ويدخله متردداً متلفتاً ، مقدراً لرجله موضع

انخطو ، داعياً ربه في سره أن يستره ولا يفضحه ، وأن يعينه بكرمه ومنه ، على أن يبدو لأهل القصر ، كأنه منهم وإليهم ، ما عرف إلا القصور ، وخفض الحياة بها ، ونعيم العيش فيها ، فهي حاجة إلى وقت حتى آلف مجمعكم الموقر ، وأروض نفسي - بمعونكم - على السكون إلى معنى الزمالة ، فإنني كالذي اعتاد الأكل من الصينية ، وهو يجلس القرفصاء ، فحمل فجأة إلى مائدة عصرية ، فهو مضطرب ، متوجس ، يخشى أن يغلط أو يخطئ ، وعينه تخالس النظر إلى سواه ، لينظر ما يفعلون فيفعل مثلهم ، ولا يكاد ينطق بحرف ، لقلّة ثقته بنفسه ، وإشفاقه من أن يصرفه الكلام عن الملاحظة فيقع فيما ينبغي أن يتقيه ، حتى يعتاد ذلك فيطمئن وتسكن نفسه ، فيرسلها على السجية .

ويزيد الرهبة ، ويضاعف الشعور بالحرج أنكم تفضلتم فشتم أن أحل محل رجل لامطمع لي في سد الفراغ الذي تركه ، فتشريفكم لي مضاعف ، ولكن العبء مضاعف كذلك . وأصارحكم بأنني أشعر أنني مظلوم . لو كنتم قلتم اخترناك وضممنالك إلينا ، على عيبك وتصورك ، ولنا فيك أمل ، لقلت : قوم أحسنوا الظن ، وإن أسرفوا في الأمل ، فاستوجبوا مني أن أتحمّل على نفسي حتى لا أخيب ظنهم ، أما أن أقوم مقام الشيخ أحمد إبراهيم بك ، عليه ألف رحمة ، وأغنى غناه ، فهذا هو المحال !

لقد رجعت إلى ما تيسر لي الرجوع إليه

من كتبه في الأيام القليلة الماضية ، فدار رأسي وليس الفقه بابي ، وليست لي فيه مشاركة ، وأعترف فأقول إنه ما كان لي به أيسر علم ، ولكنني بعد أن قرأت عشرة من كتبه ليس إلا ، فإن له أكثر من عشرين ، أحس كأنني أصبحت أهلاً لأداء امتحان - بالغاً ما بلغ من العسر - في الفقه جملة وتفصيلاً . ولا شك أن هذا مني غرور ، ولكنه لا شك أيضاً في أن قدرة هذا الأستاذ الجليل على تسهيل الصعب ، وتقريب البعيد ، وعلى الدقة في التعبير ، مع السلامة التامة ، والوضوح العجيب - أقول إن هذه القدرة التي أمتاز بها تغري القارئ بالغرور .

ومن غريب أمره أنه كان بحر علم زاخر ، ولكن قارئ كتبه يخيل إليه ، أن هذا المحيط الأعظم من العلم ، قد صرّ له في منديل ، أو استودع أنبوبة صغيرة ، اختزل فيها هذا الأقيانوس اللجي الطامى العباب . ولا عجب ، فإن أسلوبه في البحث والتناول يجعلك تشعر أن درس الفقه أيسر مطلباً من قراءة القصص .

ويغريك بالعكوف على كتبه ، مزايابا له جليلة : أولها وأظهرها أنه خبر علامة ثقة ، محيط بالأصول والفروع ، لا يغيب عنه أوفوته شيء من المذاهب المشهورة أو غير المشهورة ، وأنه مع سعة علمه وعظم تبعده ليس بالرجل الذي يكتفي بوفاء التحصيل ، وعظم الإحاطة بل يتخذ من رسوخه في العلم وسيلة إلى الاجتهاد النافع . فتراه في كتابه في «الالتزامات وما يتعلق بها من الأحكام في الشرع الإسلامي» يقول :

وفي كتابه « أحكام التصرف عن الغير » يتعرض لمذاهب فقهاء الشريعة مقارنا بعضها ببعض ، ويستطرد إلى ما تناولته القوانين الوضعية عندنا من موضوعات كتابه .

وما بي حاجة إلى الاطلاع على ما أسداه إلى المجمع ، فما أشك في أن سعة علمه وحرصه على الاجتهاد ، ودقة تتبعه للقوانين الوضعية ، وإخلاصه واستقامة نظره إلى الأمور — كل ذلك لا يدع مجالاً للشك في أنه كان من أكبر أعضاء المجمع نفعا — على الأقل جداً في وضع المصطلحات القانونية ، والاستمداد من الفقه الإسلامي وقد كان فيه أستاذاً لا يشق له غبار ، وإماماً إذا شئتم فما والله في هذا مبالغة ، وإن الآلاف من تلاميذه الذين يشغلون الآن أرفع المناصب ليشهدون بذلك ويقرون به .

فمن أنا حتى أكون خلفاً لهذا الرجل الجليل الذي عاش ما عاش مثالا للاستقامة في التفكير ، وفي السلوك ، والذي كان حجة زمانه ، ووحيد أقرانه في البحث والاجتهاد والذي ما كان يعرف غير البحث والنظر ، والتعمق والغوص ؟

إنه ليس يسعني إلا أن أهز رأسي أسفاً لأنني قد وضعت في موضع سيظل خالياً وأنا فيه ، وليس هذا عتاباً لكم — معاذ الله — ولكنه إعراب عن الشعور بالتبعية وعن صحة التقدير لصاحب المحل الذي خلا ، وعن الضعف والقصور فيمن يخلفه .

ولست أحتاج أن أقول إنني شاكر لسيدى الرئيس ، ولسيدى الأخ الأستاذ العقاد ما قالاه

« إن في نصوص كتاب الله والسنة ، ما يفتح الطريق وينير السبيل ، في كل زمان ومكان ، لكل فقيه موفق إلى التماس ما فيه الصالح والأصلح ، لتنظيم قوانين شرعية تقي بمطالب الناس في أمور معاشهم ، وتنظيم علاقاتهم ، وإقامة العدل بينهم . »

وفي كتابه « القصاص في الشريعة الإسلامية وفي قانون العقوبات المصرى » يقول : « هي الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان ، فليس في أحكامها جمود ، وطبيعتها تأبي عليها الركود ، إذ ليس فيها من الأحكام الثابتة غير القابلة للتغير إلا بعض القواعد التي لأصلاح للمجتمع إلا بها ، وما عدا ذلك فأحكام تقوم على الاجتهاد ، وتساير الزمن في تقدمه وتطوره . »

ويؤثر التحرز فيقول بعد ذلك « ولكن على أن يكون فتح باب الاجتهاد بنظام يكفل منع الفوضى التشريعية ، ويجعل الاجتهاد حق الجماعة لاحق الفرد ، فهذا نتقي ضرر الجمود التشريعي ، ونتقي ضرر الفوضى التي تترتب على ادعاء أى فرد أنه مجتهد ، وأن ما أداه إليه اجتهاده ، حكم ديني . »

ومن مزاياه أيضاً ولوعه بالمقارنة ، فهو في كتابه « طرق الإثبات الشرعية » يبين اختلاف المذاهب الفقهية ، ويوازن بينها ، ثم يعقد مقارنة بينها وبين القانون المصرى ثم يبين ما عليه العمل في المحاكم الشرعية .

• وفي كتابه « أحكام الهبة والوصية وتصرفات المريض » يعقد مقارنة بين المذاهب الإسلامية .

إجمالاً وتفصيلاً ، فأما سيدى الرئيس فإنه أستاذ الخيل ، وأول من وسع صدر صحيفته فيما أعتقد ، للمذهب الجديد فى الأدب ، وكان الأستاذ العقاد على رأس دعائه ، وكنت من الجنود . وأما الأستاذ العقاد فإنه زميل العمر ، وفضله على ، قديماً وحديثاً ، فوق ما يعرف ، أطال الله عمره ، وعمري أيضاً بلا حاجة إلى دعاء : فإن هذا مفهوم ضمناً ولكن الاحتياط واجب !

وكل ما يمكن أن يحدث هو أن ينسج نطاق اللغة ، أى أن يكثر محصولها اللفظي ، ويتوسع الناس فى المجاز والاستعارة ، والاشتقاق ، تبعاً لدرجة الحضارة فى الأمة ، ومن هنا تنشأ الحاجة إلى المجامع اللغوية لتتبع حركة الاتساع ومسايرتها وتزويدها بحاجاتها ومطالبها ، وإن كان هذا لا ينبنى الاجتهاد الفردى ، بل إن هذا الاجتهاد عون كبير للمجامع .

ولست أظن أن هذا المجمع الموقر سيفيد منى شيئاً يستحق الذكر ، وإن كنت أعد بالاجتهاد مخلصاً ، ولكنى واثق أنى أنا سأستفيد من المجمع ، ذلك أن مرحلة التطور الطبيعى السريع للغتنا قد انتهت من زمان طويل بعد أن صارت لها حروف تكتب بها وقواعد مضبوطة ، وقوالب مقررة ، وآداب وعلوم ، بل بعد أن نزل بها القرآن الكريم ودون حفظ ومبى استقرت قواعد لغة من اللغات ، ودونت وصارت لها آداب ، وكتبت بها العلوم ، فإن من العسير تغيير شىء من قواعد وأوضاعها ، وقد تختلف طريقة الكتابة ، والمجاء ، والنطق ، وتنسج الألفاظ للتعبير أو تضيق ، غير أن طريقة تأليف الكلام على معانى النحو لا تتغير ،

وأنا رجل كاتب ، لا أنمط نفسى ولا أقول إنى لم أجتهد ، فإنى أكتب وأترجم منذ أربعين عاماً ، وأعانى أزم التعبير كل هذا الزمن الطويل ، ويا ما أكثر ما عجزت فأمسكت على ما فى نفسى ، أو انصرفت عن الترجمة ، والمعقول والطبيعى أن أفيد أنا من جهلهم المخلص المشترك ، أضعاف أضعاف ما يمكن أن يرجى أن يؤديه فرد مثلى ينحشى جداً أن يقعد به القصور أكثر مما يقعد به القصر !

سيدى الرئيس :

هل بى أو بكم حاجة إلى الإعراب عن شكرى ؟ أظن أنا جميعاً فى غنى عن ذلك . والسلام عليكم ، والله يوفقكم أوبزيدكم توفيقاً !

قرارات المجمع في هذه الدورة

القرارات العلمية

وانتهى بعد المناقشة فيه إلى تقرير أن بعض الكلمات العربية جرت على مبدأ توهم أصالة الحرف (١) .

(٣) جواز النحت :

ألف مجلس المجمع لجنة من بعض أعضاء المجلس والمؤتمر لبحث موضوع النحت ، وقد عرض بحث اللجنة على المؤتمر فوافق بعد مناقشته على جواز النحت عند ما تلجئ إليه الضرورة العلمية (٢) .

(١) وصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء :

وافق مؤتمر المجمع بعد أن استمع لبحث الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين عضو المجمع عن « وصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء » على أنه يجوز وصف غير العاقل بصيغة فعلاء إلى جانب الصيغ الأخرى التي يستسيغها النوق العربي (١) .

(٢) توهم أصالة الحرف :

استمع المؤتمر لبحث للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي عنوانه « بين اللغة والنحو »

القرارات الإدارية والتنظيمية

أولاً - يكون موعد افتتاح مؤتمر المجمع يوم الاثنين ١٢ من يناير سنة ١٩٤٨ .

ثانياً - برنامج حفلة الافتتاح :

١ - كلمة وزير المعارف .

٢ - كلمة رئيس المجمع .

٣ - كلمة كاتب سر المجمع .

٤ - موقف الأدب العربي من الآداب

الأجنبية في القديم والحديث : بحث

للأستاذ عباس محمود العقاد .

(١) انعقاد المؤتمر ومنهجه أعماله :

وافق المجلس على تأليف لجنة من حضرات الأعضاء المحترمين : الدكتور منصور فهمي والأستاذ أحمد أمين والأستاذ علي الجارم والدكتور أحمد زكي والدكتور إبراهيم بيومي مذكور ، يضم إليهم الأستاذ المراقب الإداري للنظر في تعيين موعد المؤتمر واقتراح ما يعرض عليه من الأعمال (٢) .

وقد عرضت اللجنة مقترحاتها على المجلس ،

فقرر ما يلي :

(١) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٨ من فبراير سنة ١٩٤٨) ونص البحث في الصفحات

(٢) الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (٢١ من فبراير سنة ١٩٤٨) . انظر نص تقرير اللجنة في هذا الجزء من ص ٢٠٢ إلى ص ٢٠٥

(١) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٨ من فبراير سنة ١٩٤٨) وانظر نص البحث في هذا الجزء من ص ٢٥٤ إلى ص ٢٥٦

(٢) الجلسة الأولى للمجلس (٦ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

(ب) المحاضرات :	على أن يتصل حضرة الرئيس بحضرات
١ - الاصطلاحات العلمية في اللغة العربية وكيف نشأت :	الأعضاء الشرقيين والمستشرقين عند حضورهم للتفاهم معهم فيما قد يلحقون من خطب في حفلة الافتتاح .
لحضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم بيومي مذكور .	وتقرر أن يكون مكان الحفل قاعة جلسات المؤتمر كما جرت عادة المجمع في كل عام :
٢ - مجهود المتقدمين في توسيع اللغة العربية والوسائل التي اتخذوها لذلك :	ثالثاً - برنامج أعمال المؤتمر :
لحضرة العضو المحترم الدكتور أحمد زكي	(١) البحوث :
٣ - نقل العلوم إلى اللغة العربية : لحضرة العضو المحترم الأستاذ مصطفى نظيف .	١ - بحث الصلة بين الفصحى واللهجات العامية :
٤ - الاصطلاحات الفقهية : لحضرة العضو المحترم الشيخ عبد الوهاب خلاف .	ولجنة دراسته تؤلف من حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ محمد فريد أبي حديد والأستاذ أحمد العوامري والشيخ عبد الوهاب خلاف والدكتور إبراهيم بيومي مذكور والأستاذ محمد كرد علي والأستاذ حسن حسني عبد الوهاب (عند حضورهما) .
٥ - الاصطلاحات الكلامية : لحضرة العضو المحترم الشيخ محمود شلتوت .	٢ - بحث تيسير قواعد الإملاء :
٦ - صلة اللغة العربية بلغات الأمم الإسلامية الأخرى (الفارسية والتركية والأردية) : لحضرة العضو المحترم الدكتور عبد الوهاب عزام (١) .	ولجنة دراسته تؤلف من حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ علي الجارم والشيخ محمد الخضر حسين والدكتور منصور فهمي والأستاذ زكي المهندس والأستاذ أحمد أمين ، والأستاذ حسن حسني عبد الوهاب (عند حضوره) .
ثم اعتذر حضرة العضو المحترم الدكتور أحمد زكي إلى المجلس من إلقاء البحث الذي وكل إلى حضرته إعدادة عن مجهود المتقدمين في توسيع اللغة العربية والوسائل التي اتخذوها لذلك	٣ - بحث النحت ومدى الاستفادة منه :
(١) الجلسة الرابعة للمجلس (٣ من نوفمبر سنة ١٩٤٧) .	ولجنة دراسته تؤلف من حضرات الأعضاء المحترمين : الشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمود شلتوت والدكتور أحمد زكي والأستاذ مصطفى نظيف والشيخ عبد القادر المغربي (عند حضوره) .

- ١ - البحوث والمحاضرات .
 - ٢ - المصطلحات العلمية .
 - ٣ - تيسير الكتابة العربية .
 - ٤ - المعجم الوسيط .
 - ٥ - المعجم الكبير .
 - ٦ - مجلة المجمع .
 - ٧ - البت فيما أجل من أعمال الدورة السابقة .
 - ٨ - ما يستجد من الأعمال .
- فوافق المؤتمر على ذلك (١) .

(٣) المصطلحات - طريقة نظرها في
المجلس والمؤتمر . تعريفها . نشرها :

قرر المجلس في مستهل هذه الدورة ألا
تُعرض عليه المصطلحات التي تضعها اللجان
في علم من العلوم إلا بعد إتمامها والنظر فيها
بجملة (٢) .

ثم قدّم حضرة كاتب سر المجمع مذكرة
إلى حضرة الرئيس يطلب فيها تأجيل انعقاد
المجلس إلى موعد يحدّد فيما بعد ، حتى يتوفّر
لدى اللجان العمل الصالح للعرض على المجلس
وفقاً للقرار السابق ، وحتى تفرّغ لإنجاز ما لديها
من أعمال المؤتمر . فعرض حضرة الرئيس هذا
الاقتراح على المجلس ، مع مذكرة أعدتها
إدارة المجمع بالقرارات التي سبق للمؤتمر
والمجلس اتخاذها في شأن المصطلحات . فوافق
المجلس على أن تحال هذه القرارات إلى حضرة

(١) الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (٢١ من
فبراير سنة ١٩٤٨) .
(٢) الجلسة الثانية للمجلس (١٣ من أكتوبر
سنة ١٩٤٧) .

لاتفاق موضوعه مع موضوع البحث الذي
انتدب له حضرة العضو المحترم الأستاذ مصطفى
نظيف . فوافق المجلس على إعفاء حضرته من
هذا البحث (١) .

وبعث حضرة العضو المحترم الشيخ محمود
شانتوت بكتاب إلى رئيس المجمع يعتذر فيه من
إلقاء المحاضرة التي عُهد إليه لإلقاؤها عن
المصطلحات الكلامية ، فوافق المجلس على
قبول اعتذار حضرته (٢) .

(٢) أعمال المؤتمر في الدورة التالية :

اقترح عند نظر منهاج أعمال المؤتمر أن
تحدّد موضوعات المؤتمر التالى في الجلسة الختامية
للمؤتمر في هذه الدورة ، وأن يكون ذلك
نظماً يتبع في كل عام ، فوافق على هذا
الاقتراح (٣) . ثم وافق المؤتمر على تأليف لجنة
لاستخلاص نتائج أعماله وصوغها في قرارات
ولرسم منهاج العمل في الدورة القادمة ، من
حضرات الأعضاء المحترمين : الدكتور إبراهيم
بيومي مذكور ، والأستاذ هـ. ا. ر. جب ،
والأستاذ ل. ماسينيون .

وقد أشارت اللجنة في تلخيصها إلى قرارات
المؤتمر في المسائل التي عرضت عليه ، واقرحت
أن يشتمل جدول أعمال الدورة الخامسة عشرة
على الموضوعات الآتية :

- (١) الجلسة السادسة للمجلس (١٧ من نوفمبر
سنة ١٩٤٧) .
- (٢) الجلسة الخامسة عشرة للمجلس (١١ من
يناير سنة ١٩٤٨) .
- (٣) الجلسة الرابعة للمجلس (٣ من نوفمبر
سنة ١٩٤٧) .

العضو المحترم الدكتور عبد الحميد بدوى لدرسها واستخلاص منهج موحد منها ، وعلى أن يؤجل النظر في اقتراح حضرة كاتب السر حتى الجلسة التالية إذ يقدم حضرة الدكتور عبد الحميد بدوى نتيجة بحثه (١).

وقد وافق المجلس - بناء على اقتراح حضرة الدكتور عبد الحميد بدوى - على المنهج التالى لنظر المصطلحات :

تنظر اللجان الفنية في المصطلحات العلمية فإذا أتمت لجنة جملة من المصطلحات في علم من العلوم أو في فرع منه ، تطبع في نشرة خاصة تتضمن المصطلحات وتعريفها وما يقابلها في اللغات الأجنبية ويبين فيها ما جرى استعماله قبلا وما وضع من جديد .

وتوزع النشرة على أعضاء الجمع في مصر وفي الخارج كما توزع على الجهات العلمية المختصة وعلى المشتغلين بذلك العلم في البلاد العربية المختلفة وعلى من يطلبون إرسالها إليهم . وينبه في النشرة إلى أن ما يرى تقديمه من الملاحظات لا يجوز أن يتجاوز تاريخا معيناً يراعى في تحديده أن يعطى مدة معقولة تمكن من تمحيص البحث .

(قرارى المؤتمر في ٢٣/٢/١٩٤٦ ، ١٦/١/١٩٤٧ وقرار المجلس في ٢٥/٣/١٩٤٦ - يراجع أيضا قرار المجلس ١/٤/١٩٤٦).

ومتى وردت الملاحظات أعدت مراقبة الجمع قوائم بنص ما أقرته اللجنة الفنية وما ورد عليها من ملاحظات وعرضتها على اللجنة لإعادة النظر فيها .

ويجوز للجنة في أى دور من أدوار النظر في المصطلحات أن تستأنس برأى المجلس في شأن خطة العمل أو المبادئ التى تأخذ بها أو فيما ترى فائدة في استشارة المجلس فيه .

(قرار المجلس في ٢٥/٣/١٩٤٦)

وترفع اللجنة تقريراً بما تراه إلى مجلس الجمع .

وينظر المجلس في المصطلحات ويفسر ما يدخل منها في المعجم ويقر تعريفها ويحفظ ما كان غير شائع في جزازات للنشر في معاجم خاصة إذا اقتضى الحال ذلك .

ثم يعرض كل ذلك على المؤتمر ، وما أقره المؤتمر ينشر في مجلة الجمع وللمجلس أن يأمر بتوزيعه وأن يحدد طريقة التوزيع .

(قرار المؤتمر في ٢٧/١/١٩٤٧) (١)

ثم قدمت لجنة المصطلحات الطيبة مذكرة إلى المجلس في شأن تعريف المصطلحات هذا نصها :

« عرض القرار الذى أصدره المجلس في

(١) الجلسة الخامسة للمجلس (١٠ من نوفمبر سنة ١٩٤٧) .

(١) الجلسة السادسة للمجلس (١٧ من نوفمبر سنة ١٩٤٧) .

« المصطلحات التي ستعرض على المؤتمر تعاريفها للنظر فيها وإقرارها » .

فتناقش المجلس في هذا الاقتراح مناقشة مستفيضة ، و انتهى إلى القرارات الآتية :

١ - تصدر المصطلحات عند نشرها في المجلة بالعبارة الآتية :

« مصطلحات وضعتها لجان المجمع وأقر المجلس والمؤتمر طائفة منها وستعرض تعاريفها على المؤتمر للنظر فيها وإقرارها تمهيداً لإدراجها في المعجم الذي يعده المجمع » .

٢ - توضع تعريفات للكلمات التي تدخل في المعجم الوسيط .

٣ - تعرض مسألة تعريف المصطلحات على المؤتمر عند انعقاده (١) .

ونظر المؤتمر في هذه القرارات ، فوافق على تأليف لجنة من حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ علي الجارم والأستاذ أحمد أمين والدكتور إبراهيم بيومي مذكور والأستاذ ل. ماسنيون والأستاذ ه. ا. ر. جب لبحث موضوع تعريف المصطلحات والوصول إلى رأى حاسم فيه (٢) .

وقدمت اللجنة مقترحاتها إلى المؤتمر ،

١٧/١١/١٩٤٧ وهو الخاص بنشر المصطلحات العلمية مع تعريفاتها على لجنة المصطلحات الطبية يجلسه الأحد ٢٤/١١/١٩٤٧ فرأت أن نشر المصطلحات مع تعاريفها يتعسر تحقيقه لأن اللجنة أتمت من هذه المصطلحات جزءاً كبيراً ، وكان غرضها ولا يزال أن تضع اللفظ العربي الصحيح للمصطلح الإفرنجي سداً لحاجة الطلاب والمدرسين والهيئات العلمية ، وهم في غير حاجة إلى التعاريف ، ولذلك تشير اللجنة بطبع هذه المصطلحات كما وضعتها وبغير تعريفات .

« أما المصطلحات الشائعة فستقدم تعريفاتها طبقاً لقرار المجمع » .

وقد رأى المجلس إرجاء النظر في هذه المذكرة (١) . ثم قدم حضرة العضو المحترم الأستاذ علي الجارم ، عضو المكتب المشرف على المجلة ، اقتراحاً إلى المجلس هذا نصه :

« بما أن الضرورة تدعو إلى سرعة نشر المصطلحات التي أقرها المجمع حتى اليوم ، ولما كانت مواد المجلة التي شرع في طبعتها قد احتوت بعض المصطلحات دون تعريف ، نقترح الموافقة على الاكتفاء الآن بما اتبع في الماضي من نشر مصطلحات المجمع مع ما يقابلها من الألفاظ الأجنبية ، على أن تصدر عند النشر بالعبارة الآتية :

(١) الجلسة التاسعة للمجلس (٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة الثالثة للمؤتمر (١٩ من يناير سنة ١٩٤٨) .

(١) الجلسة السابعة للمجلس (٢٤ من نوفمبر سنة ١٩٤٧) .

فوافق عليها (١) ؛ وهذا نصها :

« اتفقت اللجنة فيما يتعلق بالمصطلحات الجديدة على ما يأتي :

١- يطلب من الخبير أن يقدم للجنة المصطلح مشروحاً شرحاً كتابياً مقبولاً .

٢- على السكرتير الموظف لكل لجنة أن يدون ما يدور حول المصطلح من المناقشات والشرح والتوضيح ويلخص ذلك ويعرضه على كاتب سر اللجنة .

٣- يعرض على المجلس المصطلحات التي أقرتها اللجان مصحوبة بهذه الملخصات يزيدها الخبير في الجلسة عند الحاجة شرحاً وتوضيحاً ، وعلى سكرتيرة المجلس أن تسجل هذا الشرح مع ما يدور في المجلس من مناقشات .

وهذا لا يمنع بالأولى أن تعرض على المجلس المصطلحات المستكملة التعاريف الفنية .

٤- إذا أقر المجلس هذه المصطلحات نشرت في الأوساط العلمية بمختلف البلاد العربية مع ملخص لما دار حولها من شرح وبيان .

٥- تعاد المصطلحات التي أقرها المجلس إلى

اللجان المختصة وما أبدى عليها من ملاحظات لتعريفها وصياغتها صياغة نهائية كي تعرض على المؤتمر .

٦- تعد لكل مصطلح جزالة خاصة يثبت فيها مدار حوله من مناقشات من أول اقتراحه الى أن يتم إقراره من المؤتمر وتنظم هذه الجزالات تنظيماً فنياً .

« أما المصطلحات القديمة التي أقرها المجلس والمؤتمر بدون تعاريف والتي لم تنشر بعد فتعاد إلى اللجان المختصة لتعريفها وعرضها على المؤتمر ، ولا مانع من نشرها بدون تعاريف نشرأ مبدئياً لتلقى ملاحظات المختصين مع الإشارة إلى ذلك » .

(٤) طبع محاضر المجمع :

في أثناء نظر المجلس في موضوع المصطلحات وتعريفها عرضت مسألة طبع محاضر المجمع السابقة التي وردت فيها المصطلحات غير معروفة ، فرأى ألا يستمر المجمع في طبع محاضره وأن يكتفي بطبع المجلة ونشرها (١) .

ثم عرضت على المجلس مذكرة من حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم عضو المكتب المشرف على المجلة هذا نصها :

« وافق المجلس في جلسته المنعقدة

(١) الجلسات الرابعة والسادسة للمؤتمر (٢٦ من يناير و ٢ من فبراير سنة ١٩٤٨) .

(١) الجلسة التاسعة للمجلس (٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

يوم ١٩٤٧/١٢/٨ على ألا تطبع محاضر
الجلسات بعد الدورة الخامسة التي أعدت
للطبع .

« ولما كانت هذه المحاضر تشتمل على ما يجري
في الجلسات من دراسات لغوية ، ومباحث
علمية ، هي توجيه وتمهيد لما يُتخذ من
قرارات ؛

« ولما كانت هذه المحاضر تتضمن كذلك
ما يدور من مناقشات وتعليقات لما يستقر عليه
الرأي من مصطلحات العلوم والفنون والآداب ؛

« ولما كان المجمع حريصاً على إشراك اللغويين
والباحثين والهيئات العلمية في البلاد العربية
وغيرها فيما يصدر من قرارات ، وما يقر من
مصطلحات ، كما أن هؤلاء حريصون أيضاً
على الاطلاع على هذه المناقشات ، ولا يتسنى
لهؤلاء أن يتبينوا وجهة نظر المجمع ويشاركوا
برأيهم إلا بعد الاطلاع على ما استند إليه
المجمع من حجة وما أثر من تعليل ؛

« ولما كانت محاضر المجمع التي طبعت من
قبل لقيت إقبالا من الباحثين وأهل الرأي ،
وما برحت تُطلب في مصر والبلاد العربية ،
ويطالع عليها أعضاء المجمع الجسد والأعضاء
المراسلون في الخارج ، ويحدون فيها تسجيلاً
لسابق جهد المجمع ووضوحاً لما عالج من مسائل
اللغة ومباحث المصطلحات ؛

« فلذلك نلتمس أن يعبد المجلس النظر في
شأن محاضر الجلسات ، رجاء الموافقة على أن

تواصل إدارة المجمع طبع بقية الدورات .
على الجارم ،

فأبدى بعض حضرات الأعضاء رغبة في
مراجعة المحاضر وتصفيتها قبل الطبع ، ووافق
المجلس على أن تطبع محاضر الجلسات وأن
يُوكّل أمر التصفية والمراجعة إلى حضرة العضو
المحترم الأستاذ على الجارم^(١) .

(٥) استعانة لجان المجمع بخبراء لوضع
تعريف المصطلحات :

« قدمت لجنة الكيمياء والطبيعة اقتراحاً بتعيين
خيارين مساعدين لها من الحاصلين على درجات
علمية ، من موظفي المجمع أو من غيرهم ،
لمعاونة أعضائها وخبرائها في جمع المصطلحات
العلمية التي وضعها الإسلاميون المتقدمون
واستقراء مدلولاتها ، ووضع التعاريف
للمصطلحات التي تقرها اللجنة .

« وقد نظر المجلس في هذا الاقتراح ، ووافق
على أن تستعين اللجان بخبراء - من غير موظفي
المجمع - لوضع تعريف المصطلحات وإعداد
ما يطلب منهم لإعداده ، على أن يكافئوا على
ذلك مكافأة خبراء المجمع المقررة ، بأن يشهدوا
جلسات اللجان ، ويعطوا عنها تلك المكافأة ،
بشرط ألا تزيد عن خمس جلسات في الشهر
لكل واحد منهم^(٢) .

(١) الجلسة السابعة والمشرون للمجلس (٣١)
من مايو سنة ١٩٤٨ .
(٢) الجلسة التاسعة للمجلس (١٥) من ديسمبر
سنة ١٩٤٧ .

(٦) تعديل مصطلحات سبق للمجمع إقرارها :

قدمت لجنة الكيمياء والطبيعة اقتراحاً إلى مجلس المجمع هذا نصه :

« رأت لجنة الكيمياء والطبيعة - تنظيماً لسير العمل ومنعاً لما عسى أن يقع من تكرار في المصطلحات العلمية الجديدة التي تضعها - أن تراجع تلك المصطلحات التي سبق أن أقرها المجلس والمؤتمر .

« وفي خلال هذه المراجعة لاحظت اللجنة أن بين تلك المصطلحات العلمية التي سبق وضعها وإقرارها بعض مصطلحات يعوزها شيء من التمهيد والتدقيق ، وبما أن المجمع قد أصدر في الماضي قراراً يقضي بأن تكون هذه المصطلحات نهائية بعد مرور سنة على نشرها ، فإن اللجنة تقترح - تحقيقاً للفائدة العلمية - أن يسمح لها بالقيام بهذه المراجعة على أن تعرض على المجلس جميع المصطلحات التي تتناولها بتغيير أو تبديل .

وقد وافق المجلس على اقتراح اللجنة (١) .

(٧) إنشاء مكتب للتسجيل في المجمع :

وافق المجلس على إنشاء مكتب للتسجيل برئاسة الأستاذ إسماعيل مظهر ، على أن يمدّه المجمع بالموظفين حسب طاقته المادية ، وعلى أن يكون عمله تسجيل كل ما يقره المجمع من المصطلحات ، وتبويبها وفقاً لفروع العلوم

(١) الجلسة المباشرة للمجلس (١٥) من ديسمبر سنة ١٩٤٧ .

المختلفة ، وترتيبها ترتيباً فنياً (١) .

(٨) اقتراح وضع معجم عربي للعلوم الطبية :

ورد المجمع اقتراح من عميد الكلية الطبية الملكية ببغداد ، محوّل من الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، في شأن عمل معجم عربي للعلوم الطبية . وهذا نصه :

« إن قضية وضع المصطلحات العلمية باللغة العربية هي قضية دقيقة على غابة من الأهمية والخطورة لا يمكن أن ينفرد بها قطر عربي واحد دون غيره من الأقطار العربية ، لذا فإننا نقترح :

- ١ - أن تؤلف في إحدى الأقطار العربية (ويرجع أن يكون في مصر) لجنة تسمى (معجم العلوم الطبية) تكون مهمتها طبع معجم شامل للعلوم الطبية وما يتعلق بها من الفروع مرتبطة بأمانة الجامعة العربية .
- ٢ - أن يشترك في هذه اللجنة ممثلون عن جميع الأقطار العربية تعرض بواسطتهم المقترحات المقدمة من قبل لجان فرعية تقام في كل عاصمة عربية فيها كليات للطب وفروعه .
- ٣ - أن تجتمع لجنة معجم العلوم الطبية مرتين في السنة على الأقل لغرض جمع ما يتيسر من المصطلحات وإقرارها نهائياً وإرسالها للطبع .

٤ - أن تشتغل اللجان الفرعية بوضع المصطلحات بحسب تعليمات تصدرها اللجنة المركزية

(١) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٨) من مارس سنة ١٩٤٨ .

البلاد العربية قائمة منذ سنة ١٩٢٨ ، وكانت تشار في كل مؤتمر طبي تعقده الجمعية الطبية الملكية سواء في مصر أو في البلاد العربية الأخرى ، وكان آخر اقتراح لهذا الغرض أن تتصل الهيئة المركزية في مصر بالمثلين الدباوماسيين في الدول العربية لتأليف اللجان المشار إليها في الاقتراح المعروض علينا ، ومع ذلك لم تتحقق هذه الأمنية ، وكل ما تم أنه كانت تجري مناقشات في المؤتمرات الطبية السنوية أو يقوم بعضهم بإرسال معاجم إلى اللجنة الحالية في مصر . واللجنة ترسل جميع المصطلحات التي تقرها إلى الهيئات الطبية المختلفة للاطلاع عليها وتعرف آرائها مرحة بما تبديه من ملاحظات . فالأهداف التي يرمى إليها المقترح محقة في الوضع القائم الآن ، فضلا عن أنه تنعقد سنويا مع المؤتمر الطبي العربي لجنة خاصة بتوحيد المصطلحات الطبية .

وعرض الأمر على المجلس (١) فقرر أن يكتب إلى الأمانة العامة للجامعة العربية « أن الاتصال بين المجمع اللغوي والهيئات العلمية في مختلف الأمم العربية ممكن عن طريق المجلة التي تنشر فيها مصطلحات المجمع ، وأن المجمع يجري في إقرار هذه المصطلحات على طريقة إرسالها إلى الهيئات ، وطلب ملاحظاتها لتكون

حيث تعين المواضيع التي ينبغي وضع المصطلحات لأجلها .

٥- اللجان الفرعية في الأقطار العربية تمثل مدارس الطب والصيدلة ودار المعلمين العالية وغيرها من المؤسسات العالية التي تعنى بتدريس الطبيعيات ويكون مركزها كلية الطب في العواصم العربية وتحت إشراف عمادات الكليات الطبية .

٦- يجب أن يكون أعضاء اللجنة المركزية في القاهرة (مثلا) أعضاء في مجمع قواد الأول لكي تكون لهم الكلمة الأخيرة في إقرار المصطلحات من قبل المجمع المذكور .

٧- تقوم حكومات كل قطر عربي بما يتطلبه هذا المشروع من النفقات .

٨- يكون عمداء كليات الطب في الأقطار العربية أعضاء طبيعيين في لجان الترجمة والتأليف والتشراؤ في الجامعات العلمية التي توجد في ذلك القطر ليكونوا حلقة وصل بين هذه المؤسسات واللجنة المركزية وفروعها في كل ما يختص بهذا المشروع لتم الموافقة على المقررات النهائية .

توقيع

عميد كلية الطب

وقد عرض هذا المقترح على لجنة المصطلحات الطبية فأجابت بما يلي :

« إن مشكلة توحيد المصطلحات الطبية بين

(١) الجلسة الأولى والثانية للمجلس (١٣ و٦) من أكتوبر سنة ١٩٤٧ .

فقد وافقت بالإجماع على اقتراح يرمي إلى ترجمة الكتب الكلاسيكية إلى اللغات الرئيسية ونشرها .

« ومعنى هذا أنها تقصد أهم هذه الكتب الأدبية والعلمية والفلسفية والدينية وما إليها في كل بلد ، وعهدت بدراسة هذا المشروع إلى هيئة الأنسكو .

« وهيئة الأنسكو من جهتها حين عقدت اجتماعها الأول العام بباريس في شهرى نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٤٦ قد وافقت على إيجاد مكتب للترجمة ، وعهدت إليه أن يضع قائمة بالكتب التي تستحق الترجمة والنشر .

« إن ترجمة الكتب الكلاسيكية ترمى إلى إيجاد ثقافة موحدة تستطيع الشعوب كلها المشاركة فيها ، فالأولوية إذاً ستكون كبدأ عام للكتب التي ترمى إلى نشر التفاهم الحق بين الشعوب والاحترام المتبادل بين الأمم .

« والأنسكو تهتم قبل كل شيء بالكتب التي إن عاجلت ثقافة أمة من الأمم ، فإنها تكشف عن ناحية إنسانية فترز الوحدة والأخوة بين الناس .

« والأنسكو في نفس الوقت ترمى إلى ربط الثقافات الغربية بالثقافات الشرقية ، وذلك بترجمة الكتب من هاتين الثقافتين — وعلى هذا فالشرق والغرب يستطيعان أن يزيدا ثروتهما الثقافية وأن يكملأ ما فيهما من نقص .

موضعا للدرس ، فالمجمع يعمل على طريقته ، وللأمانة العامة للجامعة العربية أن تنظر في طريقة للتوفيق بين عمل المجمع وبين ما يراد من اشتراك الدول العربية اشتراكا على نحو خاص » (١) .

(٩) اتصال «مجلس الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة» بالمجمع في شأن ترجمة الكتب الكلاسيكية :

عرض على المجلس كتاب من رئيس مكتب الترجمة الكلاسيكية بمجلس الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة في شأن ترجمة الكتب الكلاسيكية التي يشير المجمع بترجمتها . وهذه صورة الكتاب :

« باريس في ٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧

« سادنى :

« لقد سمحت لنفسى بأن أكتب إليكم بوصنى رئيس مكتب الترجمة الكلاسيكية للأنسكو لأطلب منكم لما لكم من دراية كبيرة بتحقيق مشروع أنا واثق من أنه سيساعد على إيجاد التفاهم بين الشعوب ويوطد السلام الدائم .

« وربما وصل إلى علمكم أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد اعترفت بأن «أسس السلام موجودة في قلوب الناس وفي نفوسهم» وأنها تعتقد أن المعارف البشرية النبيلة ليست منتشرة في العالم كما ينبغي لها أن تكون ، ولهذا

(١) الجلسة الثانية للمجلس (١٣ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

« وقد وضع مكتب الترجمة هذه المبادئ
لحسب عينيه في دراسته لهذا الموضوع .

« وأول سؤال اقترح هو : من الذى يختار
المكتب الكلاسيكية ؟

« ولكى نتجنب كل تقدير ذاتى أو صادر
من جهة واحدة ، فإن سكرتارية الأتسكو
قد رأت أنه ينبغي لها الاتصال مباشرة بالأمم
التي تهتم بهذا المشروع ، والاطلاع على
النظم الثقافية للدول المختلفة ، وخاصة تلك
للنظم التي ترى فيها أنها تمدد بلجابات
دقيقة لهذا البحث الذى تقدم ، على الوجه
التالى :

١- ما هى الكتب التي تعدونها كلاسيكية
في نواحي العلم والأدب والفن والفلسفة
والدين وما إليها ، وتعتبرونها ممثلة خير
تمثيل لثقافتكم ولنموغكم القومى لتكون
جديرة بالترجمة إلى اللغات الأخرى ؟

٢- وما هى الكتب الأجنبية في النواحي
السابقة التي تعدونها كلاسيكية عالمية ؟
وما هى الكتب التي ترجمت ترجمة مرضية
إلى لغتكم - من بين الكتب المذكورة ؟
ثم ما هى الكتب التي يجب أن تترجم
أو ترجمت وترون ترجمتها من جديد ؟

٣- من هم أحسن المترجمين الذين يستطيعون
القيام بهذا العمل ؟

« والمعلومات التي تتفضلون بها علينا ،
ستكون خير عون لنا في مهمتنا ، وأملنا

وطيد في التفضل بالرد علينا ، ونرجو أن
تقبلوا خالص تحياتنا .

رئيس مكتب الترجمة الكلاسيكية
ن . كازانتزاكس »

وقد وافق المجلس على تأليف لجنة من
حضرتي العضوين المحترمين : الدكتور طه
حسين والأستاذ عباس محمود العقاد للرد
على كتاب مكتب الترجمة الكلاسيكية (١) .

(١٠) تأليف لجنة لوضع كتاب في النحو
على أساس القواعد التي أقرها مؤتمر
المجمع :

بحث المؤتمر في أمر قواعد تيسير النحو
التي سبق له إقرارها (٢) وإرسالها إلى وزارة
المعارف ، وفي سبيل الانتفاع بهذه القواعد ،
ووافق على القرارات الآتية :

أولاً - تأليف لجنة لوضع كتاب في النحو على
أساس قواعد التيسير التي أقرها مؤتمر
المجمع على أن يعرض على المؤتمر
قبل إذاعته .

ثانياً - تأليف اللجنة من حضرات الأعضاء
المحترمين الدكتور طه حسين والأستاذ
أحمد أمين والأستاذ على الجارم وندب
الأستاذ إبراهيم مصطفى عميد دارالعلوم
للاضمام إليهم .

(١) الجلسة الخامسة للمجلس (١٠ من نوفمبر
سنة ١٩٤٧) .

(٢) الدورة الحادية عشرة للمؤتمر . وانظر
الجزء السادس من مجلة المجمع من ص ١٨٠ إلى
ص ١٩٧ .

ثالثاً - استعانة اللجنة بمن ترى ممن لهم دراسة خاصة للنحو .

رابعاً - نظر المكتب في مكافأة من يختارون من خارج المجمع للمعاونة في هذا العمل .^(١)

ثم طالب حضرة العضو المحترم الأستاذ علي الجارم إعفاءه من عضوية اللجنة ، فوافق المؤتمر على هذا الإعفاء ، وعلى أن يُضم إلى اللجنة حضرة العضو المحترم الأستاذ زكي المهندس^(٢) .

(١١) في لجنة اللهجات :

وافق مجلس المجمع ، عند نظره في البحث الذي قدمه حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد عن « موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى » على أن يحال هذا البحث إلى لجنة اللهجات ، وأن يُضم إليها حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ عباس محمود العقاد ، والشيخ عبد الوهاب خلاف ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد^(٣) .

ثم وافق المجلس على ضم حضرة الأستاذ زكي المهندس إلى لجنة اللهجات أيضاً^(٤) .

وعندما نظر المؤتمر في تقرير اللجنة التي ألفت من بعض حضرات أعضاء المجلس والمؤتمر

لبحث موضوع العلاقة بين العامية والفصحى ، وافق على أن يُضم حضرات الأساتذة : إبراهيم أنيس ، وخليل عساكر ، وشارل كوينتز ، وعبد الحميد الدواخلي ، إلى لجنة اللهجات بوصفهم خبراء ، وعلى أن يحال الموضوع من جديد إلى لجنتي « اللهجات » و « الألفاظ والأساليب »^(١) .

ثم وافق المؤتمر على اقتراح قدمه بعض حضرات أعضاء لجنة اللهجات بضم حضرة العضو المحترم الأستاذ ا. لتمان خبيراً باللجنة طوال إقامته في القاهرة ، لتستفيد اللجنة من توجيهاته وأبحاثه القيمة في اللهجات العربية^(٢) .

(١٢) في لجنة الأدب :

إعفاء عضو وضم عضوين :

طلب حضرة العضو المحترم الأستاذ الشيخ محمود شلتوت إعفاءه من العمل في لجنة الأدب معتذراً بحالته الصحية ، فوافق المجلس على هذا الإعفاء ، وعلى أن يُضم إلى اللجنة حضرتي العضوين المحترمين : الأستاذ علي عبد الرازق والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني^(٣) .

(١٣) في لجنة المعجم الكبير :

وافق المؤتمر على ضم حضرة العضو المحترم الأستاذ ا. لتمان إلى لجنة المعجم الكبير خبيراً بها مدة إقامته بالقاهرة^(٢) .

- (١) الجلسة الثامنة للمؤتمر (٩ من فبراير سنة ١٩٤٨) . وانظر نص البحث وتقرير اللجنة في هذا الجزء من ص ٢٢٠ إلى ص ٢٢٥ .
(٢) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٨ من فبراير سنة ١٩٤٨) .
(٣) الجلسة الخامسة عشرة للمجلس (١١ من يناير سنة ١٩٤٨) .

(١) الجلسة التاسعة للمؤتمر (١٢ من فبراير سنة ١٩٤٨) .

(٢) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٨ من فبراير سنة ١٩٤٨) .

(٣) الجلسة الأولى للمجلس (٦ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

(٤) الجلسة الثانية للمجلس (١٣ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

(١٤) في لجنة التاريخ والجغرافية :

عرض حضرة الرئيس على مجلس المجمع
الملكرة الآتية التي تلقاها من حضرة العضو
المحترم الأستاذ محمد فريد أبي حديد :

«حضرة الأستاذ المحترم رئيس مجمع فؤاد
الأول للغة العربية

«تحية واحتراماً . وبعد . فقد سبق اختياري
عضواً في لجنة العلوم الاجتماعية والفلسفية
على أساس أنها تتناول التاريخ فيما تناوله ، ثم
ألقت لجنة خاصة بالتاريخ والجغرافية واخترت
عضواً بها .

« وأرجو التفضل بإعفائي من لجنة العلوم
الاجتماعية والفلسفية ، كما أني أرجو أن
تفضلوا بالإذن بعرض تأجيل عمل لجنة
التاريخ والجغرافية نظراً لأن أعضاء هذه اللجنة
لهم من الأعمال في اللجان الأخرى ما يمكن
أن يستوعب كل الوقت الذي يستطيعون تخصيصه
للأعمال في اللجان المختلفة .

« وتفضلوا حضرتكم بقبول أسمي احترامى .

إمضاء : (محمد فريد أبو حديد) «

١٩٤٧/١٠/١٩

فوافق المجلس على إعفاء الأستاذ محمد
فريد أبو حديد من عضوية لجنة العلوم
الاجتماعية والفلسفية ، على أن يُترك للجنة
التاريخ والجغرافية موضوع تأجيل عملها (١) .

(١) الجلسة الرابعة للمجلس (٣ من نوفمبر

سنة ١٩٤٧) .

(١٥) مقترحات تيسير الكتابة العربية :

وافق المجلس في الدورة الماضية على تأليف
لجنة من الخبراء في الخط والطباعة لنظر
مقترحات تيسير الكتابة العربية التي قدّمت
إلى المجمع (١) . وفي هذه الدورة قدمت
إدارة المجمع إلى مكتبه مذكرة في شأن مكافأة
أعضاء هذه اللجنة والمدة اللازمة لبحث تلك
المقترحات ، فأحالها المكتب إلى المجلس .
وهذا نص المذكرة :

« ألف مجلس المجمع لجنة فنية في الخط
والطباعة من ثمانية أعضاء لتتولى النظر في
مقترحات تيسير الكتابة الذي عقد له المجمع
مسابقة بين الباحثين .

« وقد اجتمعت اللجنة حتى الآن عشرين
جلسة في نحو شهرين ونصف شهر ، ونظرت
في نحو خمسة وسبعين مقترحاً استبقت أكثر
من ثلثها لإعادة النظر .

« فإذا لوحظ أن المقترحات تبلغ مائتي مقترح
أمكن القول بأن اللجنة قد فرغت من نحو
الربع من هذه المقترحات .

« وإذا روعي أن اللجنة تعقد ثمانى جلسات
في الشهر أمكن تقدير الزمن الكافى للنظر في
بقية المقترحات بسبعة أشهر .

« فأما من ناحية المكافآت التي تصرف لحضرات

(١) أنظر ص ٤٧ من هذا الجزء .

الأعضاء نظير الجلسات فتقديرها على الوجه الآتي :

أ - يعطى كل عضو خمسة وعشرين قرشاً ومائة قرش عن كل جلسة .

ب - نسبة الحضور في كل جلسة خمسة أعضاء على الأقل .

ج - عدد الجلسات المقدرة للفراغ من نظر المقترحات ثمانون جلسة على الأقل .

« وإذن فالمكافأة اللازمة لأعضاء اللجنة ينتظر ألا تقل عن خمسمائة جنيه .

« هذا إن لم تزد نسبة حضور الأعضاء ولم تزد المدة المقررة لدراسة المقترحات .

« وخلاصة القول أن اللجنة تمتد عملها إلى شهر مايو سنة ١٩٤٨ وأن مكافأتها عن عملها تزيد على خمسمائة جنيه . »

وقد وافق المجلس - بعد مناقشة - على أن يكتب إلى لجنة الخبراء ما يلي :

« اطاع المجلس على قرار اللجنة بأنها لا تستطيع الفراغ من فحص المقترحات المقدمة إلى المجمع في المدة التي حددها لها المجلس ، ونظراً لكثرة الاقتراحات ، ولضرورة الإسراع في الفصل فيها ، يرى المجلس أن يقتصر فيما يعرض على لجنة الخبراء على ما هو جدير ببحثها ، ولذلك يرجو المجلس أن تعيد إليه اللجنة المقترحات التي بين يديها ، ليحيل عليها بعد ذلك ما يرى لإحالة منها . » (١)

(١) الجلسة الثانية للمجلس (١٣ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

ثم عرضت على المجلس مذكرة من لجنة الأصول بزيادة عدد أعضائها ، حتى تستطيع الفصل في المقترحات المحالة إليها من اللجنة الفنية في الوقت المقرر ، فوافق المجلس على أن يضم إلى لجنة الأصول حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ عباس محمود العقاد ، والدكتور إبراهيم بيومي مذكور ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد (١) .

وفي الجلسة الأخيرة للمجلس (٢) ووفق على أن يبلغ إلى لجنة الأصول القرار التالي :

« يرغب المجلس إلى لجنة الأصول في إنجاز النظر في مقترحات تيسير الكتابة التي اشترك بها أصحابها في المسابقة ، وذلك لكي يتسنى عرض النتيجة على المجمع في دورته القادمة . »

(١٦) تمثيل المجمع في مؤتمر اللغويين والمستشرقين :

وافق المؤتمر على أن يمثل المجمع في مؤتمر اللغويين السادس ومؤتمر المستشرقين الحادي والعشرين ، اللذين تقرر عقدهما بباريس ، حضرتا العضوين المحترمين الدكتور طه حسين والدكتور إبراهيم بيومي مذكور . وذلك إجابة للدعوة التي وجهها القائمون بهذين المؤتمرين إلى المجمع (٣) .

(١) الجلسة الثالثة للمجلس (٢٠ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة السابعة والمشرون للمجلس (٣١ من مايو سنة ١٩٤٨) .

(٣) الجلسة الثانية للمؤتمر - لجنة عامة (١٥ من يناير سنة ١٩٤٨) . والجلسة الثالثة للمؤتمر (١٩ من يناير سنة ١٩٤٨) .

ثم وافق المؤتمر على أن يلتقي ممثلاً للمجمع للبحوث الآتية في هذين المؤتمرين :

١ - يلتقي حضرة الدكتور طه حسين الباحثين التاليين :

(١) «إصلاح النحو العربي» بمؤتمر اللغويين

(ب) «محاولات مجمع فؤاد الأول للغة العربية وضع معجم حديث مطول للغة العربية» في مؤتمر المستشرقين .

٢ - ويلتقي حضرة الدكتور إبراهيم بيومي مذكور الموضوعين التاليين :

(١) «المنطق والنحو العربي» في مؤتمر اللغويين .

Logique et Grammaire Arabe

(ب) «مبدأ العلية في علم الأصول» في مؤتمر المستشرقين .

Causalité dans les Principes du Droit Musulman

على أن يكون لكل من حضرتيهما الحق في إلقاء بحوث أخرى خاصة تتصل بعملهما العلمي والأدبي^(١)

وبعد ذلك ورد المجمع كتاب من حضرة وزير المعارف العمومية هذا نصه :

«حضرة صاحب المعالي رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ؛

أتشرف بإبلاغ معاليكم أن وزارة الخارجية

(١) الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٨ من فبراير سنة ١٩٤٨) .

قد أبلغتنا أن لجنة المؤتمرات قد نظرت في موضوع المؤتمرين الدوليين للغويين والمستشرقين، المزمع عقدهما بباريس في المدة من ١٩ إلى ٣١ يولية سنة ١٩٤٨ ، ورأت ألا يزيد عدد المندوبين الذين يمثلون مصر فيهما على ثلاثة .

ولما كانت جامعتنا فؤاد الأول وفاروق الأول سترشحان مندوباً عن كل منهما فالمرجو موافقتنا باسم من يرى المجمع ترشيحه بصفة أصلية واسم من يرى ترشيحه بصفة احتياطية لهذا الغرض ، تمهيداً لاستصدار قرار مجلس الوزراء .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام . وزير المعارف »

وقد عرض حضرة الرئيس هذا الكتاب على المجلس ، وأبلغه أن حضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم بيومي مذكور اطلع عليه وطلب إعفائه ، فوافق المجلس على الاكتفاء بحضرة الدكتور طه حسين بصفة أصلية لتمثيل المجمع في هذين المؤتمرين ، على أن يبلغ ذلك وزير المعارف العمومية والدكتور طه حسين (١) .

(١٧) تمثيل المجمع في المؤتمر الطبّي العربي التاسع عشر .

وافق المجلس على اختيار حضرة العضو المحترم الدكتور محمد شرف ممثلاً للمجمع في المؤتمر الطبّي العربي التاسع عشر الذي تقرر عقده بالقاهرة في المدة من ٢٣ إلى ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٤٧ (٢) .

(١) الجلسة الرابعة والمشرون للمجلس (١٠ من مايو سنة ١٩٤٨) .

(٢) الجلسة الأولى للمجلس (٦ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

(١٨) تمثيل المجمع في لجنة تعريب المصطلحات الهندسية بالمؤتمر الهندسي الثالث :

ورد المجمع الكتاب التالي من جمعية المهندسين الملكية المصرية :

« حضرة صاحب المعالي رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ؛

«أتشرف بإخطار معاليكم بأن المؤتمر الهندسي الثالث أصدر قرار « تأليف لجنة خاصة تضم إليها أحد اللغويين المطلعين تكون مهمتها تعريب المصطلحات الهندسية وإرسالها إلى اللجنة العامة للمواصفات والمصطلحات بمصر لتبويبها وتنسيقها وتبادل المقترحات بشأنها مع اللجان الأخرى ونشر هذه المصطلحات لإفساح المجال لمناقشتها من قبل الأفراد وتقديم ما يتم الاتفاق عليه منها إلى المؤتمرات القادمة لإقرارها » .

« وفعلاً ألفت جمعية المهندسين الملكية المصرية اللجنة الخاصة بمصر وأسندت رئاستها للأستاذ محمد شفيق بك عبد الرحمن عميد كلية الهندسة . وقد رأى عزته أن يضم الأستاذ مصطفى نظيف بك إلى هذه اللجنة كممثل لمجمع فؤاد الأول للغة العربية .

« ونرجو من معاليكم الموافقة على هذه الاختيار .

« وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام .

سكرتير اللجنة العامة للمواصفات

(توقيع)

١٩٤٧/١٢/١

وقد عُرِضَ هذا الكتاب على المجلس فوافق على أن يكون حضرة الأستاذ مصطفى نظيف ممثلاً للمجمع في اللجنة المذكورة (١) .

(١٩) تمثيل المجمع في مجلس المعهد الدولي للدراسات الإغريقية :

ورد المجمع كتاب من « مدير المعهد الدولي للبحوث الإغريقية » يطلب فيه من المجمع أن يعين ممثلاً له في مجلسه الذي تقرر عقده في مدينة الإسكندرية في شهر مايو سنة ١٩٤٨ ، فوافق على أن يمثل المجمع في هذا المجلس حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين (٢) .

(٢٠) تمثيل المجمع في الاحتفال بمرور خمسة وسبعين عاماً على تأسيس المجمع الهولوني للعلوم والآداب :

ووردت المجمع دعوة من « مجلس إدارة المجمع الهولوني للعلوم والآداب بكاراكوفيا » لشهود الاحتفال بمرور خمسة وسبعين عاماً على تأسيسه . فوافق المجلس على أن يمثل المجمع في هذا الاحتفال حضرتا العضوين المحترمين : الدكتور أحمد زكي والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني (٣) .

(٢١) الترشيح لشغل أربعة كراسي خالية في المجمع :

نظر مجلس المجمع في هذه الدورة في شغل

(١) الجلسة التاسعة للمجلس (٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة الثامنة والعشرون للمجلس (٢٦ من أبريل سنة ١٩٤٨) .

الكراسي الأربعة الحالية بوفاة أعضاء المجمع السابقين المغفور لهم: الدكتور علي إبراهيم باشا، والشيخ أحمد إبراهيم بك، والأب أنستاس ماري الكرمل، والشيخ مصطفى عهد الرازي.

وقد وافق المجلس أولاً على أن يُشغل كرسيان من هذه الكراسي الأربعة بعضوين مصريين، وحدد موعداً للفراغ من التزكية وفقاً للمادة السادسة من اللائحة (١)، وقرر أن يكون الانتخاب بأن يُطلب إلى كل عضو اختيار اثنين من المرشحين، فإن فازا بالنصاب المطلوب فيها، وإلا كررت عملية الانتخاب على النحو السابق حتى تبلغ العمليات أربعاً، فإن لم يتوافر النصاب لواحد أو اثنين من المرشحين أعاد المجلس النظر في طريقة الانتخاب (٢).

وأجريت عملية الانتخاب ففاز بترشيح المجمع حضرتا الأستاذين: علي عبد الرازي وإبراهيم عبد القادر المازني، وتقرر إبلاغ اسميهما إلى معالي وزير المعارف لاستصدار المرسوم الملكي بتعيينهما.

ثم ووفق على أن يستقبل الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف الأستاذ علي عبد الرازي، ويستقبل الأستاذ عباس محمود العقاد الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني (٣).

ثم بحث المجلس في شغل الكرسيين الباقيين ووافق على أن يُشغل أحدهما بعضو من العراق، ويُشغل الآخر بعضو من فلسطين (١). وبعد أن حُددت جلسة للتزكية (١) أُجريت الانتخاب، ففاز بالترشيح حضرتا الأستاذين: خليل السكاكيني (من فلسطين)، والسيد محمد رضا الشيباني (من العراق). وتقرر إبلاغ انتخابهما إلى معالي وزير المعارف لاستصدار المرسوم الملكي بتعيينهما (٢).

(٢٢) تأجيل الترشيح للكرسي الخالي بوفاة المرحوم أنطون الجميل باشا إلى الدورة القادمة:

وافق مجلس المجمع على أن يبقى باب الترشيح للكرسي الخالي بوفاة المرحوم أنطون الجميل باشا مفتوحاً إلى الدورة التالية، وأن يُنظر عند ذلك في تحديد موعد لجلسة الانتخاب (٤).

(٢٣) ترشيح أعضاء مراسلين للمجمع: في مؤتمر الدورة السابقة قدم حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد كرد علي مذكرة في شأن اختيار أعضاء مراسلين للمجمع، فوافق المؤتمر على أن يقدم حضرات الأعضاء أسماء من يرون ترشيحهم لهذا الغرض من علماء البلاد العربية ومن الأساتذة المستشرقين (٥).

(١) الجلسة العاشرة للمجلس (١٥ من ديسمبر سنة ١٩٤٧).

(٢) الجلسة الثالثة عشرة للمجلس (٥ من يناير سنة ١٩٤٨).

(٣) الجلسة الخامسة عشرة للمجلس (١١ من يناير سنة ١٩٤٨).

(٤) الجلسة الثانية والعشرون للمجلس (١٩ من أبريل سنة ١٩٤٨).

(٥) الدورة الثالثة عشرة — الجلسة العاشرة للمؤتمر (١٠ من فبراير سنة ١٩٤٧).

(١) الجلستان الخامسة والسادسة للمجلس (١٠ و ١٧ من نوفمبر سنة ١٩٤٧).

(٢) الجلسة السابعة للمجلس (٢٤ من نوفمبر سنة ١٩٤٧).

(٣) الجلسة الثامنة للمجلس (أول ديسمبر سنة ١٩٤٧).

(٢٤) شارة المجمع وبراءات الاعضاء المراسلين :

اقترح أن تكون للمجمع شارة خاصة به توضع على البراءات التي تعطى للأعضاء المراسلين ، على أن تكتب هذه البراءات بخط جميل على ورق خاص بذلك (١) .

وقد وافق المجلس على هذا الاقتراح ، وعرضت عليه نماذج للشارة وضعها أحد الفنانين (٢) . ثم اقترح ألا يكتب بالشارة بل يكون لأعضاء المجمع - كغيرهم من أعضاء المجمع في العالم - زى خاص للاجتماعات الرسمية ، فوافق على هذا الاقتراح أيضاً ، وألفت لجنة من حضرات الأعضاء المحترمين : الأستاذ أنطون الجميل ، والدكتور أحمد زكي ، والدكتور محمد شرف ، والشيخ محمود شلتوت ، لاختيار أصلح زى للأعضاء وشارة للمجمع (٣) .

ثم وافق المجلس على الاكتفاء بالزى الرسمي والاستغناء عن الشارة ، وضم حضرة العضو المحترم الدكتور أحمد أمين إلى اللجنة (٤) .

(١) الجلسة الأولى والنازية للمجلس (٦ و ١٣ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .
(٢) الجلسة الثالثة للمجلس (٢٠ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

(٣) الجلسة الرابعة للمجلس (٣ من نوفمبر سنة ١٩٤٧) .

(٤) الجلسة الثالثة والمشرون للمجلس (٢٦ من أبريل سنة ١٩٤٨) .

وفي هذه الدورة عُرضت على المؤتمر أسماء الأساتذة الذين زكاهم بعض حضرات الأعضاء العاملين لعضوية المجمع بالمراسلة ، فوافق على أن تعرض هذه الأسماء على المجلس لاتباع ما يقضى به مرسوم المجمع ولائحته في هذا الشأن (١) .

وقد وافق المجلس بالإجماع على ترشيح حضرات الأساتذة الآتية أسماءهم أعضاء مراسلين (٢) :

- ١ - الأستاذ جبريلي (روما)
- ٢ - الأستاذ آربري (لندن)
- ٣ - الأستاذ لاوست (ليون)
- ٤ - الأستاذ نيرج (أيسالا)
- ٥ - الأستاذ خليل مردم (سوريا)
- ٦ - الأستاذ شفيق جبري (سوريا)
- ٧ - الأستاذ محمد بهجة الأثري (العراق)
- ٨ - الأمير مصطفى الشهابي (سوريا)
- ٩ - الأستاذ طاهر بن عاشور (تونس)
- ١٠ - الأستاذ الشيخ محمد الحجوى (مراكش)
- ١١ - الأستاذ علال الفاسي (مراكش)
- ١٢ - الشيخ محمد نور الحسن (من السودان ومدرس بالأزهر)
- ١٣ - الأستاذ خير الدين الزركلي (الحجاز)
- ١٤ - الأستاذ عبدالله عبد الرحمن الأمين (من موظفي المعارف بالسودان)

(١) الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (١٠ من فبراير سنة ١٩٤٧) .
(٢) الجلسة الثامنة عشرة للمجلس (٢٢ من مارس سنة ١٩٤٨) .

(٢٥) الانتخاب لرئاسة المجمع :

أجرى الانتخاب لرئاسة المجمع وفقاً للمادة الخامسة من المرسوم الملكي المعدل لمرسوم إنشاء المجمع ، وكان الثلاثة الذين نالوا أكثر الأصوات هم على الترتيب :

حضرة الأستاذ أحمد لطفي السيد ؛ أحرز اثنين وعشرين صوتاً ؛

وحضرة الدكتور عبد الحميد بلوى ؛ أحرز اثني عشر صوتاً ؛

وحضرة الأستاذ أحمد أمين ؛ أحرز عشرة أصوات .

فتقرر إبلاغ أسمائهم إلى حضرة وزير المعارف لاستصدار المرسوم الملكي بتعيين أحدهم رئيساً للمجمع (١) .

(٢٦) ترشيح عضوين لمكتب المجمع :

عرض على المجلس أمر انتخاب عضوين محل عمل المرحوم أنطون الجميل باشا في مكتب المجمع ، وقد رجع المجلس إلى المادة الثالثة من اللائحة ، ونصها :

« يؤلف المكتب من رئيس المجمع ومن وكيل وزارة المعارف ومن أربعة من أعضاء المجلس يعينهم وزير المعارف بقرار من بين ثمانية ينتخبهم المجلس بالقائمة وبالأغلبية النسبية ويجتمع المكتب كلما دعت الحاجة » .

(١) الجلسة الثالثة للمؤتمر (١٩) من يناير سنة ١٩٤٨ .

فوفق على أن يرشح المجلس العضوين التاليين للمرحوم أنطون الجميل باشا في الانتخاب السابق للمكتب ، وهما حضرتتا العضوين المحترمين : الدكتور إبراهيم بيومي مذكور (وقد حصل على تسعة أصوات) والدكتور محمد شرف (وقد حصل على ثمانية أصوات) ليختار معالي وزير المعارف أحدهما خلفاً للمرحوم أنطون الجميل باشا في عضوية مكتب المجمع (١) .

(٢٧) في المسابقات الأدبية :

قرر مجلس المجمع أن ينص في الإعلان عن مسابقات تشجيع الإنتاج الأدبي المقبلة (بعد مسابقة ١٩٤٨ - ٤٩) على أنه لا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية أي متبار سبق أن أجازته المجمع على إنتاج له في فرع المسابقة المتقدم إليها (٢) .

(٢٨) في نظام الجلسات والمحاضر :

ووفق على أن تكتب إدارة المجمع إلى حضرات الأعضاء أن يبلغوا المجمع اعتذارهم من الحضور إذا طرأ لديهم مانع منه ، وأن يدرج بجدول أعمال كل جلسة طلب التصديق على محضر الجلسة السابقة لها (٣) .

ثم ووفق على أن تستخلص القرارات عند تحرير المحاضر ، ويرفق بمحضر كل جلسة بما اتخذ فيها من قرارات (٤) .

(١) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٨) من مارس سنة ١٩٤٨ .

(٢) الجلسة السادسة عشرة للمجلس (اوله مارس سنة ١٩٤٨)

(٣) الجلسة الثالثة للمجلس (٢٠) من أكتوبر سنة ١٩٤٧ .

(٤) الجلسة الرابعة والعشرون للمجلس (١٠) من مايو سنة ١٩٤٨ .

معجم ألفاظ القرآن الكريم

عُرضت على المجلس نماذج من عمل لجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم ، لاستطلاع وجوه الرأي فيه ، وكان ذلك في جلستين متعاقبتين : عرض في أولاهما (١) نموذجان لمادة « بكر » ومادة « بكم » ، وقد لوحظ أنهما يكتفیان بشرح الكلمة شرحاً لغوياً ، دون تفسيرها بحسب ورودها في الآيات : فقدمت اللجنة نموذجاً ثالثاً لمادة « ترك » ، « لوحظ فيه أن يكون وافياً بهذا الغرض ، وبعد أن نظر المجلس في هذا النموذج وافق على أن تجري اللجنة في وضع معجم القرآن الكريم على أساس التوسع وفقاً لما أبداه من ملاحظات (١) .

المعجم اللغوي الوسيط

نظر المجلس في نماذج من المعجم اللغوي الوسيط (٢) ، وفي أثناء البحث عرضت مسألة الكلمات الأعجمية التي لا يعرف أصل ألفها ، وطريقة وضع هذه الكلمات في القاموس ، ومسألة تقارن بعض الحروف في اللهجات العربية ؛ فووفق على القرارين الآتين :

١ - الكلمات الأعجمية التي لا يعرف أصل ألفها توضع في مواضعها بحسب حروفها المكتوبة على أن يُشار إلى ذلك في مقدمة القاموس (٢)

٢ - تكون للمعجم الوسيط مقدمة تبين خصائص اللهجات وتخصي الكلمات التي وقع فيها الاختلاف بين قبائل العرب ، حتى لا يُحتاج إلى ذكر كل كلمة في صلب القاموس (٣)

المعجم الكبير

كان من بين مقترحات لجنة تنظيم العمل في المجمع ، التي وافق عليها المجلس في الدورة الثانية عشرة : " أن تُنشأ لجنة فرعية من لجنة كان من بين مقترحات لجنة تنظيم العمل في المجمع ، التي وافق عليها المجلس في الدورة الثانية عشرة : " أن تُنشأ لجنة فرعية من لجنة

(١) الجلسة الثامنة عشرة للمجلس (٢٢) من مارس سنة ١٩٤٨ .

(٢) الجلسة الحادية عشرة للمجلس (٢٢) من ديسمبر سنة ١٩٤٧ وانظر أيضاً .

(٣) الجلسة السادسة عشرة للمجلس (١) من مارس سنة ١٩٤٨ .

(١) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٨) من مارس سنة ١٩٤٨ .

(٢) الجلسات الحادية عشرة والثانية عشرة والسادسة عشرة للمجلس (٢٢ و ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٤٧ وأول مارس سنة ١٩٤٨) .

الكلمات من حيث نشأتها وأصولها واستعمالها في النصوص المختلفة، وأن يُقترح على وزارة المعارف إنشاء خمس وظائف من الدرجة السادسة يعين عليها خمسة من الشبان الأكفاء يعمل كل واحد منهم مع عضو من أعضاء اللجنة الفرعية (١) .

ثم كان مما قرره مؤتمر الدورة الثالثة عشرة عند النظر في منهاج أعماله : " أن تضع لجنة المعجم اللغوى التاريخى المبادئ اللازمة للبدء فيه وترسم سبيل التنفيذ (٢) " . وقد اتصلت عناية المجلس بأمر هذا المعجم ، ونظر نموذجاً لمادة «أبد» وضعه حضرة العضو المحترم الدكتور محمد شرف . ثم رأى ألا يُكتفى بهذا النموذج بل تُعرض على المجلس نماذج أخرى قبل وضع قواعد العمل في هذا المعجم (٣) .

وفي هذه الدورة رأى مكتب المجمع أن يعرض موضوع المعجم الكبير على المجلس ليضع منهج العمل وطريقته ، قبل أن ينظر المكتب في شغل الدرجات الخمس التي قررت في الميزانية لوظائف المساعدين .

وقد تناقش المجلس في طريقة وضع هذا المعجم ، ووافق على أن تقترح لجنة المعجم التاريخى خطة العمل ، وأن يُضم إليها حضرات الأعضاء المحترمين : الدكتور عبد الحميد بدوى ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والدكتور

إبراهيم بيومى مذكور ، والدكتور محمد شرف ، والأستاذ محمد فريد أبو حديد ، والأستاذ مصطفى نظيف (١) .

وألقت لجنة المعجم اللغوى التاريخى لجنة فرعية من بين أعضائها ، وضعت تقريراً عن منهج العمل في هذا المعجم نظره المجلس (٢) ، وهذا نصه :

تقرير

عن منهج العمل في المعجم الكبير

قد لا يكون ثمت موضوع غنى به المجمع منذ نشأته عنايته بالمعجم اللغوى التاريخى ، فكون لبحت منهج العمل فيه بلحناً عدة اشترك فيها كثير من الأعضاء بين مصريين وشرقيين أو مستشرقين . وقد قسموا الأدب العربى إلى عصور ، مبينين ما يستشهد به في كل عصر . وحاولوا حصر المعاجم وكتب اللغة التي يرجع إليها ، واقترحوا على مكتبة المجمع اقتناء طائفة منها . وبحثوا في ترتيب الكلمات واشتقاقها وتدرجها وتلاحق المواد وتتابعها . وعنوا بالإشارات والرموز التي لا غنى عن استعمالها منعاً للتكرار ورغبة في التخفيف والاختزال . ولم يفتهم أمر الجزازات وما تكون عليه ، فبينوا أبعادها وحددوا

(١) الجلسة الثالثة للمجلس (٢٠ من أكتوبر سنة ١٩٤٧) .

(٢) الجلسة السادسة والسابعة للمجلس (١٧ و ٢٤ من نوفمبر ١٩٤٧) .

(١) انظر الجزء السادس من مجلة المجمع ص ٢٣٦ .

(٢) أنظر ص ٤١ من هذا الجزء .

(٣) أنظر ص ٤٥ - ٤٦ من هذا الجزء .

طبعه كما هو وتحت إشراف مؤلفه ، واعتمد المال اللازم له منذ خمس سنوات أو يزيد ، وفي الميزانية الحالية مبلغ ١٥٠٠ جنيه لهذا الغرض ، ولكن الحرب وأعقابها حالت حتى الآن دون أن يتولى الأستاذ فيشر الإشراف الذي عهد إليه . وعلى كل حال بقي على المجمع أن ينظر في معجمه التاريخي ويعد العدة لوضعه .

ولكن من جهة أخرى يخيل إلينا أن البحوث التي تمت في هذا الشأن من قبل كانت نظرية أكثر منها عملية ، فعنى بالجزازات وتحديداتها أكثر مما عنى بمن يتولى ملأها ، ونوقشت المبادئ العامة لوضع المعجم دون أن تعرف الأداة التي تشرف عليه وتخرجه إلى حيز الوجود ، خصوصاً وهو عمل شاق وطويل المدى .

على أن الجانب النظري نفسه لم يكن - فيما يظهر - متفقاً عليه دائماً تمام الاتفاق . فهل نحن بصدد معجم تاريخي يبحث فيه عن تاريخ كل كلمة وتطورها على مدى العصور ؟ وكيف السبيل إلى تحقيقه وكثير من الكلمات لا تاريخ له وما له تاريخ يعز علينا أن نقف على بعض حلقاته ؟ وهل بهذا المعجم نلتي كل معاجنا القديمة ونعدل عنها برغم ما اشتملت عليه من بحوث قيمة وثروة نفيسة ؟

أم الأمر مجرد معجم واسع يعول فيه أولاً وبالذات على جهود أصحاب المعاجم السابقين ،

الأمر التي يجب أن تشتمل عليها . ووضعوا في اختصار القواعد الفنية الهامة التي يجب مراعاتها في تأليف المعاجم وأبوا إلا أن يوضحوها بنماذج فعلية لمواد لغوية تبادلوها فيما بينهم وكانت موضع نقد وملاحظة .

وقد عرض معظم هذه المقترحات على المجلس فأقره ، وطلب اعتماد المال اللازم لتنفيذه . ومع ذلك لا يزال موضوع المعجم التاريخي مجرد فكرة تثار من حين لآخر ، ويحتج لضرورة تنفيذها بأنها من أهداف المجمع الأولى ، وأن قانونه الأساسي قد نص عليها .

ومنشأ ذلك فيما نعتقد أمران : أولهما أن المجمع قد شغل بمعجم الأستاذ فيشر عن معجمه التاريخي ، وتساءل هل يغني أحدهما عن الآخر ؟ وإذا كان فيشر قد أتم معجمه أو كاد فن الأيسر أن نكتفي بطبعه ونتقي الأعباء الثقيلة لوضع معجم جديد . ولكنه قد وقف به عند العصر الأموي ، والمعجم التاريخي ينبغي أن يستوعب عصور اللغة كلها ، هذا إلى أن المنهج الذي ارتضاه كان محل مراجعة وملاحظة . وإذن لا بد من معجم آخر يعتمد على معجم فيشر ويتم ما بدأ ، أو ينشأ كاملاً من جديد ويقوم بجانبه . وقد قضى المجمع زمناً في مناقشة هذه المسألة ، وانتهى به الرأي إلى فصل هذين المعجمين أحدهما عن الآخر فلمعجم فيشر أسس بني عليها ، وغاية يرمى إليها ، والواجب أن ندعه يسير في طريقه على النحو الذي تصوره واضعه . لذلك أقر

وإذا كانوا قد وقفوا باستشهادهم عند العصر الأموي ، فن الواجب أن نخطو خطوات أخرى وتتبع الأدب العربي في شتى مراحله ، ونضيف إلى معجم اليوم ما جدّ من لفظ وما ابتكر من مصطلح ، فتتدارك ما فات علماء اللغة المتقدمين ونكمل ما نقصهم . ويكفي هذا المعجم تجديداً أنه سيوضع بلغة العصر وروح العصر ، وسيجعل من الأدب العربي كلا مرتبط بالأجزاء وسلسلة متصلة الحلقات ؟

إن المطلع على محاضر جلسات المجلس والمجان يلاحظ أن هذه النقطة أثرت غير مرة وكانت موضع نقاش وخلاف . والواقع أن هذا الخلاف ظاهري ، فإن أي معجم تاريخي لا يلزم واضعوه إلى أنهم يقدمون تاريخاً لكل كلمة ، ذلك لأن هناك كلمات كثيرة لا تاريخ لها . والمعجم الكبير يشتمل على تاريخ بعض المفردات وتطورها ، وإن لم يسم باسمه التاريخي . ومهما يكن من شأن هذا الخلاف فإنه كان من العوامل التي وقفت حجر عثرة في سبيل أن نخطو المجمع خطوات عملية نحو وضع المعجم الكبير .

• • •

وفي رأينا أن وضع هذا المعجم يقوم على أساسين : أحدهما فني والآخر إداري ، فلا بد من رسم خطة محكمة تبين المصادر التي يرجع إليها ، وتفرق بين المهمل والمستعمل من الكلمات وبين الأصلي والمجازي من المعاني ، ونحدد ما يؤخذ من المصطلحات العلمية

والألفاظ الحديثة ، وتبرز ما استحدث من المفردات والتراكيب في مختلف العصور اللغوية وتشرح كيفية البحث عن أصول الكلمات ومشتقاتها وطريقة ترتيبها .

ومعجم كهذا يتطلب جهوداً متضافرة وعملًا مستمرًا في عشرات السنين ، ولا سبيل لتجميع هذه الجهود وتنسيقها واستمرار هذا العمل ودوامه إلا بتكوين هيئة إدارية خاصة تشرف عليه وتتولاه حتى النهاية .

وإذا كان المجمع فيما مضى قد شغل بالجانب الفني ، فإنه ترك جانباً تقريباً الناحية الإدارية ، ويحسن بنا الآن أن نبدأ حيث انتهى . وتقرح اللجنة أن يكون تنظيم إدارة المعجم على النحو الآتي :

١ - مقرر المعجم وهو عضو من حضرات أعضاء المجمع يختاره المجلس ، على أن يكون لديه من سرعة الوقت ما يمكنه من الاضطلاع بهذه المهمة الكبيرة ، وما يسمع له بأن يشرف على عمله في المجمع كل يوم ساعتين على الأقل . وينبغي أن يمنح مكافأة خاصة على هذا التفرغ والعمل المستمر ، ونرى ألا تقل عن ثلاثين جنيهاً شهرياً .

٢ - سكرتارية مكونة من أربعة أو خمسة من المحررين توضع تحت تصرف المقرر فتعد البحوث المطلوبة وتصبح مركز الدائرة في هذا العمل الواسع . وينبغي أن تزود هذه السكرتارية بما هي في حاجة إليه من مراجع وورق وجزازات وصناديق .

وفي الميزانية الحالية خمس درجات لهذا الغرض ، ويجب المسارعة إلى ملئها كي يحل شاغلها محل من يختارون من المحررين الحاليين لسكرتارية المعجم .

...

٣ - مساعدون من الخارج ، توزع عليهم أعمال بمكافآت كما حدث في المعجم الوسيط ويستطيع المقرر أن يستعين بمن يرى من الأدباء أو المشتغلين بالبحوث اللغوية والعلمية في معاهد التعليم المختلفة ، وأن يقترح ندب من يرى ندبه ممن لهم صلة بوضع المعاجم وتأليفها .

ويمكن البدء بخمسة من المساعدين بمنح كل واحد منهم مكافأة شهرية قدرها ٦ جنيهات كما هو الشأن في المعجم الوسيط .

٤ - بلجنة المعجم ، التي لا بد لها من عقد اجتماعات دورية مرة كل أسبوع لتعرض عليها نتائج الجهود السابقة ، ويحسن أن يعنى أعضاؤها من اللجان الأخرى كي يتوفروا على مهمتهم . فإذا ما أقرت هذه اللجنة جزءا رفع إلى المجلس لينظر فيه بدوره ، وبعد إقراره له يصبح صالحاً لأن يكون مادة من مواد المعجم . وعند هذا فقط يسجل في الجزازات . وهي بمثابة الأصول المعتمدة التي يعول عليها عند طبع المعجم .

ونعتقد أنه إذا أقر المجلس هذه المقترحات ، ورأى البدء في العمل فوراً ، فلن تزيد التكاليف المطاوعة في الجزء الباقي من السنة المالية عن ٥٠٠ جنيه ، وفي الإمكان تديرها

من بنود الميزانية الحالية ، ولكن ينبغي أن يحسب لذلك حسابه في الميزانية المقبلة .

...

وإذا ما نظمت هذه الهيئة الإدارية ، فواجب المقرر أن يبدأ فيضع المنهج الفني للعمل في المعجم على نحو ما يرى وفي ضوء ما أقرته اللجان السابقة ، وأن يعرضه على لجنة المعجم لتقره ويصبح دستوراً يهتدى به في مراحل السير المقبلة .

عن لجنة المعجم الفرعية.

١٩٤٧/١١/١٥ (إبراهيم مذكور)

...

وقد قرر المجلس أن يفضى حضرات الأعضاء برأيهم في اختيار المقرر إلى رئيس المجمع ثم يعرض حضرته أمر اختيار المقرر على المكتب ويعود المجلس بعد ذلك إلى النظر في الموضوع .^١

ثم عرضت على المجلس مذكرة من مكتب المجمع في شأن اختيار المقرر ، وهذا نصها :

مذكرة

برأى المكتب في اختيار مقرر للمعجم اللغوي الكبير

« عرض على مكتب المجمع بجلسته الرابعة والثلاثين بتاريخ ٣ من ديسمبر سنة ١٩٤٧ ، التقرير الذي أحاله المجلس على المكتب وهو

(١) الجلسة السابقة للمجلس (٢٤ من نوفمبر سنة ١٩٤٧) .

الذى قدمه حضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم بيومي مذكور إلى المجلس عن لجنة المعجم اللغوى الكبير الفرعية وتضمن هذا التقرير اقتراحاً باختيار أحد الأعضاء ليكون مقرراً للمعجم ، يشرف على أعماله ، ويمنح مكافأة لا تقل عن ثلاثين جنيهاً شهرياً ، وقد قرر المجلس بجلسته المنعقدة في ١٩٤٧/١١/٢٤ إحالة هذا التقرير على المكتب على أن يتصل حضرات الأعضاء بمعالى الرئيس ليلغوه رأيهم فيمن يختارونه مقرراً للجنة من الأعضاء قبل عرض الموضوع على المكتب ، وأن يبلغ الرئيس المكتب ما انتهى إليه الرأي في هذا .

« وقد أبدى حضرة الرئيس أن القيام بوضع معجم تاريخي للغة العربية غرض من أغراض المجمع تنص عليه الفقرة (ب) من المادة الثانية من مرسوم إنشاء المجمع . وأن أعضاء لجنة المعجم بالمجمع - وفيهم المقرر - يؤدون عملهم فيه كما يؤدي باقي أعضاء المجمع أعمالهم في لجانهم الأخرى في ظل نظام المكافآت العام الذى يطبق على جميع الأعضاء في جميع اللجان .

« وقد ناقش حضرات أعضاء المكتب هذه المذكرة ، وأضاف حضرة العضو المحترم الدكتور منصور فهمي إلى ذلك أن من الممكن ، تخفيفاً للعمل ، أن توزع أعمال المقرر على عدد من الأعضاء الذين يشتركون متعاونين في القيام بهذه الأعمال في ظل نظام

المكافأة العام دون حاجة إلى مكافأة خاصة ودون حاجة إلى تعيين مقرر من الخارج .
« وبعد تبادل أوجه النظر في هذا الموضوع .
استقر الرأي على ما يأتي :

« أولاً - أنه بما أن المعجم من أعمال المجمع فيجب أن يكون الإشراف عليه لأعضاء المجمع دون سواهم وبدون مكافأة خاصة .

« ثانياً - تخفيفاً لأعباء الإشراف في هذا المعجم يمكن توزيعه على عدد من حضرات الأعضاء تختارهم اللجنة . »

وبعد نقاش وافق المجلس على مخاطبة وزارة المعارف لندب أستاذ كفء من بين موظفي الوزارة تكون مهمته الإشراف المباشر على أعمال هذا المعجم ، على أن يترك لحضرتي العضوين المحترمين الأستاذ أحمد أمين والأستاذ على الجارم أمر اختيار هذا المشرف والاتصال بمعالى وزير المعارف في هذا الشأن .

وقد قدم حضرة العضو المحترم الأستاذ على الجارم مذكرة إلى المجلس برأيه ورأى حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد أمين في اختيار أستاذين يشرفان على عمل هذا المعجم ومساعدتين يعملون بإشرافهما . وبعد مناقشة مستفيضة في طبيعة عمل المشرف أو المقرر ونوع صلته بالمجمع وافق المجلس على اختيار

(١) الجلسة التاسعة للمجلس (٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

حضرة العضو المحترم الدكتور طه حسين
مقررًا للمجمع بدون مكافأة - بناء على
اقتراح حضرته - على أن يقدم إلى معالي
رئيس المجمع تقريراً بما يراه في شأن هذا
المعجم والمشرفين عليه والمساعدين الذين
يعملون فيه قبل الجلسة التالية ١ .

وقد عرضت على المجلس في الجلسة التالية
مذكرة من حضرة العضو المحترم الدكتور طه
حسين هذا نصها :

« حضرة صاحب المعالي رئيس المجمع اللغوي
« أتشرف بأن أرفع إلى معاليكم أني أقترح
تشديداً لقرار مجلس المجمع بشأن المعجم اللغوي
الكبير ندب الأساتذة : مراد كامل وإبراهيم
الأيباري وحسين موسى للعمل معي في إعداد
هذا المعجم .

« والأستاذ مراد كامل متخصص في اللغات
السامية تخرج في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول
ثم درس في ألمانيا حتى ظفر بدرجة الدكتوراه
الخاصة . وهو الآن أستاذ مساعد بكلية
الآداب .

« والأستاذ إبراهيم الأبياري تخرج في دار
العلوم وأنفق أعظم الجهد في نشر الأدب العربي
القديم وهو الآن يعمل في اللجنة التي تنشر
آثار أبي العلاء . قله دراية دقيقة بالخطوط
القديمة وحسن الانتفاع بها .

والأستاذ حسين موسى تخرج في دار العلوم
وهو الآن مدرس أول في المدرسة الحديوية
وقد أخرج مع الأستاذ عبد الفتاح الصبيدي
مراقب المجمع كتاب الإفصاح وهو خلاصة
للمخصص قد رتبت ترتيباً حديثاً ملائماً لروح
العصر الحديث . فله دراية حسنة بعمل
المعجم .

« وإذا تم ندب هؤلاء الأساتذة الثلاثة عملت
معهم في إعداد المعجم ورسم خطته ووضع
نماذج تطبيقية لهذه الخطط تعرض على المجلس
ليقرها . وفي أثناء ذلك يكون اختيار الموظفين
الآخرين حتى إذا تم هذا الاختيار مضينا في
العمل موفقين إن شاء الله .

« وأرجو أن تفضلوا فتقبلوا تحيتي الخالصة
ولإجلالي العظيم .

١٩٤٨/١/٥ (طه حسين)

فوافق المجلس على أن يكتب إلى الثلاثة
المراد انتدابهم ليتصلوا بالدكتور طه حسين
لوضع الخطط والنماذج للمعجم اللغوي الكبير
كي تعرض على المجمع ، على أن ينظر المكتب في
مكافأتهم مكافأة مؤقتة حتى ينتظم سير
العمل (١) .

وقد عُرِض على المؤتمر نموذج لمادتي
« أبر » و « أجر » وضعه حضرة العضو
المحترم الدكتور طه حسين ومعاونوه . وبعد
مناقشة قرر المؤتمر ما يلي :

(١) الجلسة الثالثة عشرة للمجلس (٥ من
يناير سنة ١٩٤٨) .

(١) الجلسة الثانية عشرة للمجلس (٢٩ من
ديسمبر سنة ١٩٤٧) .

أولاً- السير في العمل في المعجم على أساس النموذج المعروض مع رعاية ما أبدى في المناقشة من ملاحظات . ثانياً - أن ينظر مكتب المجمع في تقدير مكافأة مساعدى الدكتور طه حسين في عمل المعجم كما ينظر في شغل وظيفتين لهذا من بين الوظائف الحالية بالمجمع .	تمهيداً لعرض المواد على المؤتمر (١) . ثم عُرِضَ على المجلس بحث في الهمزة ورسمها أعد لهذا المعجم ، وبعد مناقشة (٢) ووفق على أن " يُنقل موضوع « رسم الهمزة » في المعجم الكبير إلى بحث خاص يعقد لرسم الحروف ويوضع في مقدمة هذا المعجم " (٣)
(١) الجلسة التاسعة للمؤتمر - لجنة عامة (١٢) من فبراير سنة ١٩٤٨ ، والجلسة المباشرة للمؤتمر (١٦ من فبراير سنة ١٩٤٨) . (٢) الجلسة التمهيدية العشرين والجلسة الحادية والعشرون والجلسة الثانية والعشرون للمجلس (٥ و ١٢ و ١٩ من أبريل سنة ١٩٤٨) . (٣) الجلسة الثانية والعشرون للمجلس (١٩ من أبريل سنة ١٩٤٨) .	ثالثاً - بعد إعداد طائفة من المواد تعرض على لجنة المعجم وتدون في جزازات ثم تحال إلى المجلس وكذلك ترسل إلى أعضاء المؤتمر جميعاً لتكوين ملاحظاتهم عليها

من تعبيرات المحدثين

قرارات مجلس المجمع في استعمال بعض الألفاظ والتراكيب (١)

١ - "التهريج"

كلمة التهريج عربية صحيحة ، فقد ورد في اللغة : هَرَجَ في الحديث : خلط فيه ؛ وتضعيف المادة صحيح استناداً إلى ما قرره المجمع من جواز تضعيف الثلاثي للتعدية والتكثير على ألا يقر المجمع مثل هذه الكلمات إلا بعد تمحيصها . وتستعمل هذه الكلمة في التخليط سواء أكان تخليطاً للإضمحاك أو تخليطاً في المنطق والرأي مثل التهويش السياسي .

٢ - "أكوام"

كلمة «أكوام» صحيحة جمعاً لكَوْم . فقد ورد في اللغة ما يدل على أن الكوم اسم جنس جمعي يطلق على أكثر من واحد ، وأن مفردة كومة . وورد فيها ما يؤخذ منه أن الكوم قد يطلق ويراد منه الشيء الواحد ، وجمعه أكوام . وفي الحديث : « حتى رأيت كومين من طعام وثياب » . وهذا دليل على صحة كوم وجمعه أكوام .

٣ - "الطراز"

كلمة «الطراز» بمعنى النموذج صحيحة استناداً إلى ما جاء في شعر حسان بن ثابت في قوله :
بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم
شمُّ الأنوف من الطراز الأول

(١) درستها لجنة الألفاظ والأساليب وعرضتها على مجلس المجمع في الجلسات من الثالثة والعشرين إلى السابعة والعشرين (٢٦ من أبريل و١٠ و١٧ و٢٤ و٣١ من مايو سنة ١٩٤٨) .

٤ - "الكستني والقسطلي"

وافق المجلس على صحة كلمة «كستني» وكلمة «قسطلي» وصفاً للون بعد أن استمع لهذا البحث الذي أعده حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد :

كستنا : كستني اللون ؛

لا يوجد هذا اللفظ في أي كتاب من كتب اللغة العربية لأقدميها ولأحدثيها .

ولأنما ورد لفظ «قسطنة الهند» في «قاموس النبات» لأرمنالك بدفیان وهي ثمرة تعرف بالإنجليزية باسم Chest-nut وبالفرنسية باسم Chataigne وبالطليانية باسم Castagna والاسم الطلياني أقرب الأسماء للفظ المستعمل في اللغة العربية الدارجة للثمرة المعروفة باسم «أبو فروة»

وجاء في «أقرب الموارد» أن «أبو فروة» هي ثمرة البلوط ، ويقال هو الشاهبلوط المعروف بالكستنا . فاللفظ كما يلوح تعريب للفظ الطلياني الذي ينطق «كستنيا» وقد يكون أهل سواحل مصر وسواها من البلاد التي تتكلم العربية قد سمعوا اللفظ ونقلوه نقلاً إذ لم يحلوا لفظاً آخر يقوم مقامه في لغتهم ؛ فالثمرة «أبو فروة» ليست من ثمار جنوب البحر الأبيض المتوسط فلم يعرفها العرب إلا باسمها المنقول إليهم ممن نزلوا السواحل من

أهل إيطاليا ، وقد يحرف بعض أهل السواحل هذا اللفظ فيقولون « قسطنة » أو « قسطل » فإن وجود كلمة « القسطل » في اللغة العربية جعل لفظها مقبولا عندهم خفيفاً على أسماعهم.

ولكن القسطل في اللغة العربية إنما يطلق على الغبار أو غبار الحرب خاصة فليس له علاقة بالنبات ولا بالثمار .

ولم يرد في مفردات ابن البيطار لفظ « القسطل » ولا لفظ « القسطنة » ولا لفظ « الكستنا » .

ومهما يكن من الأمر فإن هذا الاسم يطلق على ثمرة غير معروفة في البلاد التي تتكلم اللغة العربية ولم تكن معروفة في بلاد العرب وإنما سميت باسم « أبو فروة » لأن قشرتها الداخلية يغطيها تخمل لطيف كأنه فروة . وهذه التسمية يبدو عليها الروح العامي إذ ليس فيها سوى تسمية عامية لمظهر سطحي .

ونحن نحيرون بين هذا اللفظ وبين اللفظ الفرنسي الطلياني . وأبو فروة اسم ظريف مع أنه عامي ولا بأس باستعماله إذا أردنا تسمية الثمرة . ولكن النسبة إلى هذا اللفظ تعرضنا للبس كما أنها نسبة عسيرة فلا يمكن أن يقال لون فروى ولا أن يقال أبو فروى ولست أتصور صيغة نسبة من هذا اللفظ يمكن للدوق العربي أن يقبلها .

وأما لفظ الكستنا فإنه وإن كان أعجمياً خفيف على اللسان وإذا جعل آخره تاء مربوطة كانت صورته قريبة من صور الكلمات العربية

ولست أجد مانعاً يمنعنا من أخذ أسماء الفواكه والثمار التي لم يعرفها العرب ولم

يتخذوها أسماء من قبل . وأغلب الظن أنهم لو عرفوا تلك الثمرة لسموها بالاسم الذي سمعوه من أصحابها .

وقد أخذ العرب كثيراً من أسماء عن الثمار غيرهم كالجوز والبندق .

لهذا لست أرى مانعاً من استعمال لفظ الكستنة أو الكستنا للدلالة على واحدة ثمرة « أبو فروة » وهو عندي أظرف وألطف . ويمكن جمعه على « كستنات » والنسبة إليه « كستني » .

واللون الكستني لون لا يمكن التعبير عنه ولا وصفه بما هو أدق من هذه النسبة . فإضافة هذا اللفظ إلى اللغة العربية ضرورة لا غنى عنها .

٥ - " تأكدت من كذا "

في اللغة : أكَّدْتُ الأمر ، فتأكَّد الأمر ، والأمرُ مؤكَّد . وأصل المادة معناه الربط والشد . وعلى هذا فالتأكيد لا يقع حقيقة على الأشخاص بل على الأشياء والأمور . تقول : تأكَّد الأمر ، ولا تقول : تأكَّدت منه ولا تأكَّدته . هذا ما نصت عليه كتب اللغة وما يستقيم في الاستعمال من غير تأويل .

ولكن بعض الكتاب يقوِّلون : تأكَّدت من الشيء ، وأنا متأكد منه ، ونحو ذلك . وهذه التعبيرات لا تُصحَّح إلا بتأويل بعيد . فالصواب أن يقال : تأكَّد لي كذا ، أو تأكَّد عندي كذا .

٦ - " وبالكاد . . . "

نظر المجلس في قولهم : « جرى وراءه وبالكاد أدركه » . ووافق على أنه لا دام في

اللغة كلمة «كثود» ، وهي فعول من الثلاثي ، فلا بد أن يكون هناك الفعل الثلاثي «كأد» بمعنى شق وصعب ، وهذا يستلزم وجود المصدر وهو الكأد . وإذا يصحح هذا الأسلوب على أن الألف مسهلة من الهمزة .

٧ - «وبالتالي ...»

ونظر المجلس في قولهم : «فعل كذا» ، وبالتالي يستحق كذا» ، ورأى أنه تعبير دخيل وإن لم يكن خاطئاً ، واختار أن يهجر هذا الأسلوب ويستعمل مكانه : «فعل كذا ومن ثم أو من ثمة يستحق كذا» ، أو يستغنى عنه بالفاء ، أو يقال : «وبالتلوة يستحق كذا» .

٨ - «جاء فوراً»

ونظر المجلس في قولهم : «جاء فوراً» ، «ودفع الثمن فوراً» ، «وجاء فوراً الحين» ، «وفور الساعة» ، ولاحظ أن التعبير المألوف في العربية : «جاء من فوره» بمعنى جاء ولم يُعَرَّج أو جاء من ساعته ؛ «وجاء على الفور» أي لا على التراخي . ورأى المجلس أنه يصح أن يُقال : «جاء فوراً» ، «ودفع الثمن فوراً» على الحالية ، والفور السرعة وعدم التراخي . وأما قولهم : «فور الحين» «وفور الساعة» فلا وجه لها .

٩ - «ساهم»

بعض الكتاب يتجنب كلمة «ساهم» ، ويستعمل «أسهم» والكلمتان بمعنى واحد ، وهما في الأصل أخذ سهم في الميسر بين آخرين ، ثم انتقل المعنى إلى أخذ نصيب مع غيره من الآخذين ، ثم استعملتا أخيراً في المشاركة في شيء ما . فالمجلس يرى أن كلتا الكلمتين صحيحة في معنى المشاركة ، وأنه لا مسوغ لتجنب الكتاب كلمة «ساهم» .

وقد استأنس المجلس بما ورد في مقدمة لسان العرب (ص ٣) حيث يقول : «فاستخرت الله سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب المبارك ، الذي لا يساهم في سعة فضله ولا يشارك» ١٠ - «تكاتفوا»

نظر المجلس في استعمال كلمة «تكاتفوا» بمعنى تعاونوا ؛ ولم ترد هذه الكلمة في كتب اللغة ، وكل ما جاء في لسان العرب مما يمكن أن يُنتَفَع به هنا هو : الكَتَف : «شدُّك اليدين من خلف» ، وكتَف الرجل يكتِفُه كَتَفًا وكتَفه : شد يديه من خلفه بالكتاف ، والكتافُ : ما شُدَّ به ... ؛ وجاء به في كِتَاف : أي في وثاق .

ولكن اللجنة رأت قبولها استناداً إلى شيوعها في استعمال الكتاب المحدثين ، ولأن أقيسة اللغة لا تأبأها ؛ كما اشتقوا من العَضْد «تعاضدوا» ، ومن السند «تساندوا» . ففي القاموس في مادة (عضد) : «العَضْد بالفتح وبالضم وبالكسر وكتِف وفدُس وعنق ما بين المرفق إلى الكتف ... وتعاضدوا : تعاونوا» . وفي اللسان : «عاضده : أجانته . وعاضدني فلان على فلان أي عاونني والمعاضدة : المعاونة» . وفي المعيار : «وتعاضدوا ، على تفاعلوا : تعاونوا» . وفي القاموس في مادة (سند) : «وتساند : استند . وساند فلانا : عاضده وكاتفه» . وفي التاج : «يقال : ساندته إلى الشيء فهو يتساند إليه أي أسندته إليه ... وفي حديث أبي هريرة : خرج ثمامة بن أثال وفلان متساندين ، أي متعاونين ، كأن كل واحد منهما يسند على الآخر ويستعين به . وفي الأساس : «ومن الهجاز : أقبل عليه الذئبان متساندين وغزا فلان وفلان متساندين» .

جوائز المجمع الأدبية

في مسابقة ١٩٤٧ - ١٩٤٨

٢ - مسابقة القصة

« وفي الاجتماع عينه درست اللجنة آراء حضرات الأعضاء ، عن الخمس والعشرين قصة التي وردت اللجنة وقرأها الأعضاء ، ثم رأت أن قصة « خان الحليلي » للأستاذ نجيب محفوظ تمتاز بالروعة القصصية الفنية مع ما يلاحظ على أسلوبها ، كما رأت أن قصة « علي باب زويلة » للأستاذ محمد سعيد العريان على ما فيها من محاولة فنية مقبولة تمتاز بصدق التاريخ وسلاسة الأسلوب وصفاء الديباجة وصحة اللغة .

« ومن أجل ذلك قررت اللجنة تقسيم مبلغ ٣٠٠ جنيه المرصدة للقصة بالتساوي بين قصة « خان الحليلي » الأستاذ نجيب محفوظ وقصة « علي باب زويلة » للأستاذ محمد سعيد العريان .

٣ - مسابقة الشعر

« وفي ١٣ من ربيع الثاني سنة ١٣٦٧ هـ (الموافق ٢٣ من فبراير سنة ١٩٤٨ م) اجتمعت اللجنة ودرست كل آراء حضرات الأعضاء عن النواوين الشعرية التي وردت اللجنة وقد بلغ عددها ٣١ ديواناً ، ثم انتهت إلى توزيع مبلغ ٣٠٠ جنيه المرصدة لجائزة الشعر على النحو الآتي :-

وافق مجلس المجمع (١) على تقرير لجنة الأدب عن المسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٧-٤٨ وهذا نصه :

« منذ أن انتهى الميعاد المحدد لقبول الإنتاج الأدبي (وهو آخر نوفمبر سنة ١٩٤٧) أخذت لجنة الأدب تتابع دراسة كل ما قدم إليها من الإنتاج الأدبي في الشعر والقصة والبحوث الأدبية ، ثم انتهت أخيراً إلى البت في المسابقات الأدبية على الوجه الآتي :

١ - مسابقة البحوث الأدبية

« في ٦ من ربيع الثاني سنة ١٣٦٧ هـ (الموافق ١٦ من فبراير سنة ١٩٤٨ م) درست اللجنة آراء حضرات الأعضاء الذين قرعوا البحثين المقدمين في مسابقة البحوث الأدبية عن الموضوعين الآتين :-

١ - مهيار الديلمي وشعره .

٢ - البيئة الأدبية في المدينة أيام بني أمية .

« ثم قررت منح البحث المقدم عن مهيار الديلمي وشعره للأستاذ علي علي الفلال ٢٠٠ جنيه .

(١) الجلسة السابعة عشرة للمجلس (٨ من مارس سنة ١٩٤٨) .

وألقى كلمة الشعر حضرة العضو المحترم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ، ثم تلاه حضرة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف فتحدث عن حكم المجمع فيما قدم إليه من البحوث الأدبية ، وأعقبها حضرة الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي مذكور متحدثاً عن القصة وما أجز منها هذا العام .

ثم أعلن حضرة الدكتور منصور فهمي كاتب سر المجمع قرار المجلس في شأن المسابقات الأدبية ، وهنا السابقين بسبقهم ، وتمنى لهم اطراد النجاح . وبذلك انتهى الحفل .

وفيما يلي نصوص الكلمات التي ألقى عن الشعر والبحث والقصة :

٨٠ جنيه لديوان « أغاريد السحر » للأستاذ على الجندى .

٨٠ جنيه لما ورد اللجنة في حدود شروط المسابقة من شعر الأستاذ عثمان حلمي .

٧٠ جنيه لديوان « الملك » للأستاذ محمود حسن إسماعيل .

٧٠ جنيه لما ورد اللجنة من شعر الأستاذ إلياس فرحات (١) .

واحتفل المجمع بإعلان هذه الجوائز في مساء الأربعاء ١٠ من مارس سنة ١٩٤٨ ، بدار الجمعية الجغرافية الملكية ، وشهد الحفل مع من شاهده من أعضاء المجمع عدد من الوزراء والكبراء والأدباء ، وجمهور من المعنيين بالحركة الأدبية في أقطار العربية .

كلمة الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني عن الشعر

التي تلائم المعاني المقصودة وتصورها في نفس السامع على قدر ما يدخل في طاقة الصوت الصرف أن يفعل ذلك ، وأداة التصوير الألوان من بسيطة ومركبة أو متزاوجة ، وأداة الشعر تأليف الكلام على نحو يفيد القارئ أو السامع معاني الجمال أو الجلال التي يراد العبارة عنها .

وأما أن السلم طويل فأحسب أن المراد به — أو على الأقل ما نفهم نحن في زماننا أنه المراد به — هو اكتساب المراتبة والمرونة في الأداء ، فإن كل فن — ككل صناعة —

يقول الشاعر :

الشعر صعب ، وطويل سلَّمُهُ
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
هوت به إلى الخضيض قدمه

فأما أنه صعب فصحيح ، ووجه الصعوبة فيما يبدو لي ، أن الملكة وحدها لا تكفي وأنه لا معدى عن الأداة التي يتسنى بها للملكة أن تظهر وتبدي ، ولكل فن أدواته فأداة الموسيقى مثلاً الأصوات المؤتلفة أو المنسقة أو المتجاوبة

(١) تبرع الأستاذ إلياس فرحات بقيمة جائزته لأحدى الجمعيات الخيرية .

الشاعر أو الكاتب أشبه بالمرأة التي تظهر في حفل من الزينة ، وتحمل كل ما ملكت يداها من حلى ، ولو اقتصدت أو آثرت العطل لما كان ذلك ضائرها ، ولا كان من شأنه أن يغض من حسنها الطبيعي .

ولقد قال النقاد في شيلر الشاعر الألماني إن الألفاظ التي استعملها في قصائده ورواياته الشعرية قليلة ولكنه استطاع بهذا القليل أن يؤدي معانيه جميعاً أحسن أداء وأجمله ، وكان جوتييه معاصره وزميله يمتاز بالثراء اللغوي ، ومع ذلك لا يخلو كثير من شعره من الغموض المتعب ، لا لأنه كان أعمق ، فإن العمق ليس عذراً للعجز عن الإبانة ، وما من معنى يدور في النفس بوضوح إلا وفي وسع اللغة أن تكشف عنه ، وذلك لأننا لانستطيع إلى الآن أن نفكر إلا بمعونة اللفظ ، فإذا دار في النفس معنى فإنه لا يمكن أن يتضح إلا إذا اتخذ صورته اللفظية ، إذ كان لا يمكن أن يتبدى بغير ذلك ، أي مجرداً من اللفظ الذي يكشف عنه ، فإذا جاءت العبارة عن المعنى غامضة ، فلأنما يكون ذلك لأن صاحبه لم يستطع أن يخلوه لنفسه ، ولذلك تجيء عبارته عنه مضطربة أو غير دقيقة ، أو غير كافية لإبراز المعنى ، ولا ذنب للغة ، ولا قصور فيها ، لأنك حين تريد العبارة عن شيء فلأنما أن يكون هذا الشيء قد تجلى لك ووضح وضحاً تاماً ، وحينئذ يكون قد اكتسب لفظه لأنه لا سبيل إلى معنى بغير لفظ يكتسبه ، ولأنما أن يكون هذا الشيء لا يزال غامضاً في نفسك ، ومعنى ذلك أنك لم تستطع أن تحيط بجوانب هذا الشيء وأن تتبينه على وجه جلي ،

نكتسب المرونة فيه على الأيام ، ولا يخلو أمره في البداية من بعض العسر . وأذكر أن المرحوم حافظ إبراهيم كان في مجلس شهادته ، فأوحى إليه الحديث الدائر معنى ارتجله في بيتين ، فقال له بعضهم « ارتجلتهما أم كنت نظمتهما من قبل ؟ » فقال حافظ « لي أربعون من السنين وأنا أنظم الشعر فكيف لا أقدر على ارتجال بيتين اثنين ؟ » وقد كان حافظ شاعراً ليس إلا ، ولم يكن ممن يعنون أنفسهم بالبحث ، ولكنه أصاب في جوابه الذي نطق به على البديهة ، فإن سهولة النظم أو سهولة الإعراب عما يدور في الذهن أو النفس من ثمرات المزاولة الطويلة ، ولا أحتاج أن أقول إن السرعة في النظم لا علاقة لها بجودة المعنى أو سموه ، فإن هذا شيء آخر يختلف جداً ، وإنما أردت أن أقول إن القدرة على الأداء — سواء أكان المعنى جيداً أم سفسفاً — تزداد بطول المراتبة حتى يمكن أن يقال إن الأمر من هذه الناحية يصبح صناعة .

وليست العبرة في حسن الأداء ووفائه بكثرة المحفوظ ، وإنما هي بالقدرة على تخير الرموز الدالة على المراد أوفى دلالة ، وكما أن الغنى الواسع الثراء لا يحتاج إلى كل ماله في مطالب العيش ، كذلك لا يحتاج الكثير المحفوظ إلى كل ما حفظ أو عرف ، وكل ما تفيدته الكثرة هنا هو الخبرة بأساليب التعبير وألوانه ، والثقة بالنفس ، والاطمئنان إلى توفر المادة ، على أنها — أي الكثرة — قد تكون مبعث حيرة ، أو تغرى بالإسراف والتظاهر والإغراب ، فيجنى ذلك على الدقة والإحكام ويشوه جمال المعاني ، أو يفقدها جلالها وروعها ، ويصبح

وأنت لهذا لم تستطع أن تكسوه الثوب الذى يتبدى فيه لك وللناس .

وليس الشعر « علما » كما يمكن أن يتوهم الذى يقرأ قول الشاعر « إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه » وعسى أن تكون القافية قد جنت عليه فى هذا التعبير ، ولو كان الشعر علما لكان أولى بالنبوغ فيه المتأخر دون المتقدم ، ولكن الأمر « يكاد » يكون على النقيض . على أنه ليست هناك قاعدة مطردة ، فالشعراء ينبغون فى عصور البداوة وفى عصور الحضارة على السواء تقريبا ، ولا ضابط هناك ولا قاعدة ولا مقياس يعول عليه ، لأن الأمر فى الشعر ليس مرجعه إلى العلم أو الثقافة أو الحضارة ، بل إلى المواهب الشخصية وإلى الأحوال الاجتماعية التى تساعد على ظهور هذه المواهب . والحقيقة الوحيدة التى يمكننى ، فيما أرى استخلاصها من تاريخ الأدب فى الأمم المختلفة ، هى أن نهضة الأدب فى بلد ما تكون إبداعا نهضة عامة فى هذا البلد ، فى كل باب . وقد رأينا مصداق هذا فى تاريخ اليونان والرومان والعرب والفرس ، وإيطاليا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وروسيا ، فما من نهضة قومية فى بلد من هذه البلاد إلا وقد سبقتها نهضة أدبية . ولهذا ينحى إلى ، وإن كنت لا أستطيع أن أجزم بصحة هذا رأى ، أن حالة البداوة لعلها أعون على ظهور المواهب الشعرية ، على أنى أوثر أن أضيق نطاق هذا رأى فأقول إن حالة البداوة أعون على رواج سوق الشعر ، وأبعث على الإقبال عليه والاستمتاع به ، وتعليل ذلك بسير ، ولكن شرحه يطول ،

والجمال ضيق ، ويكنى أن أقول الآن - وإن كان هذا فى الحقيقة لا يكنى - إن الشعر فى هذه الحالة يكون أشبه بعمل من أعمال الجماعة وأوثق صلة بحياتها العامة ، وهو يقترن فى هذه المرحلة التى تعد إلى حدا ما ، بدائية ، بالرقص والموسيقى ، كما يقترن أيضا بمساعي الجماعة وآمالها ومخاوفها ، وقد كانت هذه الفنون الثلاثة فى كل جماعة بشرية فى هذا الطور ، أى قبل أن تتحضر ويحدث فيها التخصص ، مجتمعة غير مفترقة ، وكان الموهوب من أفراد الجماعة يرفع صوته بالكلام الموقع على حركة الرقص ، والذين يتولون الطبل والزمير وغير ذلك ، يتبعون الحركة والصوت ، ويعملون نقرهم أو نفخهم على مقتضى ما يسمعون ، ويرون ويحسنون أيضا . والشعر فى هذه المرحلة من حياة الأمة يعد كما قلت - أشبه بعمل من أعمال الجماعة أو تعبيرا عن آمالها ونزعاتها ، والغامض المستبهم من غاياتها التى فى نفوسها دون اتضاح . ولست أظن أنى أبعد حين أقول إن الشعر فى هذا الطور يكون مستوحى من حياة الجماعة ، ومردودا إليها فى الوقت نفسه ، ومن هنا قال العرب ما معناه أن الشاعر كان لسان القبيلة والمنافع عنها والذائد عن حياضها ، ومن هنا أيضا كانت أسواق العرب التى كانوا ينشدون فيها الشعر ويتنافسون فى ذلك ، إلى جانب التجارة .

ثم تتحضر الأمة فيحدث التخصص ، ويذهب كل فن مذهبه ، ولكن الصلة القديمة ما زالت باقية ، فالرقص لا يستغنى عن

الموسيقى ، وإن استغنى عن الشعر . والشعر وثيق الصلة بالموسيقى ، وإن كان لا يفترق إلى جماعة ترقص وتصفق ، وطبلة تفرع ، ومزمار ينفخ فيه . ومع الحضارة واتساعها ، صارت الفنون ، وفي جملتها الشعر (ذاتية) ، وأصبح الشاعر يستمد وحيه من روحه وتجربته ، ونوع استجابته للحياة .

فالشعر كان عملاً من أعمال الجماعة ، أو لعل الأصح أن نقول إنه كان عملاً توحى به روح الجماعة وتشجع عليه ، وتشارك فيه حتى لقد ضاعت حقوق التأليف في بداية هذا الطور ، كما تضيع حقوق التأليف إلى الآن بين جماعات العمال وهم يزاولون ما يكلفون ، ويستعينون على الجهد المطلوب بالغناء والإنشاد والترجيع ، ثم أصبح — أى الشعر — عملاً فردياً ذاتياً ، وما زال يستمد بواعثه من روح الجماعة ولكن نطاقه اتسع وأفق مرحب . وتراوجت فيه العاطفة والعقل وتعددت أغراضه ومناحيه ، وصارت له أصول وفروع وظلال .

وفي كل أمة ، وكل عصر ، يظهر الشعراء ، ولكن أكثرهم ينسون كأنهم ما كانوا . لأن النبوغ لا يؤتاه إلا الأقلون ، ولأن دنيا الشعر — كدنيا الفنون قاطبة — لا يخلد فيها إلا الأعلون أو الذين يقول فيكتور هيغو إن حرارة نفوسهم تبلغ درجة الغليان التي ما فوقها درجة وما أكثر من قالوا الشعر في كل أمة ، وكل جيل من أجيالها ، وما أقل من بقيت حتى أسماؤهم مذكورة . لأن الأوساط لا يحصون وذاكرة الدنيا أضعف وأضيق من أن تعي غير الأقداد . والوسط كالرديء في ميزانها وحسابها ، كلاهما يسقط من الحساب أو يشيل في الميزان .

ولقد أقام مجمعنا مسابقة للشعر ، فتقدم إليه أكثر من ثلاثين ديواناً ، كلها من الوسط ، ولا غرابة في هذا فإن الوسط في كل باب وكل ميدان هو الجمهور الأكبر ، فكان بين أمرين : أن يتشبث بالمثل الأعلى ، وذلك عزيز ، أو أن يؤثر التشجيع ، وسيله أهدي قآثره ، ونظر في الشعر الذى عرض عليه ، متساعاً ، وراعى أمرين : الشاعرية والصورة ، ذلك أن الشاعرية هبة واستعداد وليست بالذى يكتسب ، وإن كانت القدرة على النظم تستفاد ، أما الصورة التى تبدى فيها المعانى — أى الأداء — فلكة واكتساب في آن معاً .

وعلى هذا غربل ونخل ، واستخلص أربعة دواوين ستسمعون بعد قليل أسماء أصحابها وما فازوا به من جوائز رؤى توزيعها عليهم وقسمتها بينهم لتعذر المفاضلة الصريحة مع التقارب الشديد .

من هذه الدواوين الأربعة ما يجرى على النهج القديم أو التقليد ، وما يؤثر نهجاً جديداً وما يتبع القديم حيناً وينحرف عنه حيناً ، ولكن فيها كلها اجتهداً واضحاً ، وإخلاصاً بيناً ، وكثير مما تركت إجازته ليس دون هذه كثيراً ولكنه كان لا بد من مقياس للمفاضلة ، وقد قلت إن المقياس هو موضوع الشاعرية وحسن الأداء ووقاؤه ، أو على الأقل سلامته من الشوائب .

والآن المجمع ليرجو أن يكون فيما آثره من التشجيع استحضاث للهمم ، فإن نهضة الأدب بشير لا يكذب بنهضة الأمة عامة ، وما من أمة ينبع فيها ولو شاعر واحد إلا وذلك إيدان بأنها قاب قوسين أو أدنى من العزة والمجد .

كلمة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف

عن البحوث الأدبية

في عرفنا التشريعي المذكورة الإيضاحية لأي قانون هي النور الذي يجلو مواد هذا القانون ، وهي التي يستعين بها القاضي على فهم مواد القانون حق فهمها ، وتطبيقها على وجهها . ولن يستطيع كل قارئ للقانون أو فاهم له أن يضع مذكرته الإيضاحية ، إنما الذي يستطيع أن يضع المذكرة الإيضاحية للقانون هو من أحاط علماً بجملة وتفصيله ، ووقف على مقاصده ومرامي ، وقارن بين الأحكام التي جاءت فيه وما سبقها من الأحكام ، ووقف على أسباب التعديل أو التغيير أو النسخ . وفي رأي أن البحث الأدبي في شاعر وشعره ، أو كاتب ومؤلفه ، ما هو إلا مذكرة إيضاحية يضعها الباحث لهذا الشاعر وشعره ، أو لهذا الكاتب ومؤلفه ، ولا يستطيع كل من درس التاريخ السطحي للشاعر أو قرأ ديوانه أن يكتب مذكرة إيضاحية عن الشاعر وشعره ، إنما يستطيع أن يكتب هذه المذكرة الإيضاحية من درس هذا الشاعر وشعره دراسة طويلة عميقة ، ودرس عصره والبيئة التي أنبتته ، ومزاجه والعوامل التي كونت شاعريته ، وخصائصه والطابع الذي امتاز به ، هذا الباحث الذي أحاط علماً بذلك كله هو من يستطيع أن يكتب مذكرة إيضاحية عن الشاعر وشعره . وقل مثل ذلك فيمن يبحث كتاباً قيماً من كتب الأدب . فليس من الميسور لأي من كان أن يكتب مذكرة إيضاحية عن كتاب الأغاني لأبي الفرج

الأصفهاني ، أو عن كتاب العمدة لابن رشيق ، أو عن الكامل للمبرد ، إنما يستطيع أن يكتب عن أصل من هذه الأصول الأدبية من امتزج بهؤلاء الأعلام سنين طويلة ، وتمثل عصرهم ، ولس أغراضهم ، وكأنه عاش في بيئتهم . وهذا عمل مجهد وعسير ، ولكنه منتج ومفيد . ولقد أحسن المجمع إذ جعل من موضوعات المسابقة البحث الأدبي . فإن كل باحث له كرامة يحرص عليها لا يستطيع أن يتقدم للمجمع يبحث أدبي إلا بعد عناء طويل ، وجهد جهيد وبحث متصل ، يجلي صورة لهذا الشاعر الذي يكتب عنه المذكرة الإيضاحية ، أو لهذا الأصل من أصول الأدب الذي يعرضه للناس .

وكلنا نعلم أن كثيراً من شعر الشعراء وكثيراً مما يكتبه الكتاب لا تنجلي معانيه للقارئ حق الجلاء إلا بدراسة الملابسات التي قيل فيها الشعر أو كتب فيها الأدب . وأقرب شاهد على ذلك أننا الآن بمشاكلنا الحاضرة ، وقضايانا الظاهرة وثوراتنا المتصلة ، نستطيع أن نفهم كثيراً من شعر شوقي وحافظ ، وغيرهما من شعراء هذا العصر ، لأن معانيهم مما نشاهده ونعيش فيه ، ولكنني لا أدري هل يفهم أهل الجيل القادم مثلاً قول شوقي :

ولن نرتضى أن تقد القنا

ة ويفصل من مصر سودانها

وحجتنا فيهما كالصبأ

ح وليس بمعيك برهانها

لا أظن أن من لم يعرف مشكلاتنا القومية الحاضرة ، ولم يعرف الشخص الذي يخاطبه شوق بهذه الكلمة ، يستطيع أن يفهم من معنى هذين البيتين بعد جيل مانفهمه الآن . لاجرم أن معرفة الملابسات والعوامل والبواعث هي خير معوان على فهم الشعر والأدب حق فهمهما .

• •

في سنة ثلاثين وتسعمائة وألف طبعت دار الكتب ديوان مهيار الديلمي في أربعة أجزاء ، ضمت قرابة خمسمائة قصيدة ، تشمل على نيف وعشرين ألف بيت ، وقد قرأنا الكثير من هذا الديوان وفهمناه ، ولكن كثيراً من شعر مهيار لم يفهم للكثيرين على جليلة ، فهو يخاطب أشخاصاً ويثير مشاكل ، لو أحطنا بها خبراً لكان فهمنا لشعره أدق وأسلم ، واجتلاؤنا لمراميه أوضح وأبين .

ولهذا اعتقد أن هذا الباحث الذي قدم إلينا بحثه الأدبي في مهيار وشعره وفق إلى حد كبير إذ عني عناية كبيرة بدراسة عصر مهيار ، وقد عاش مهيار في بغداد في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس ، فعكف ذلك الباحث على دراسة عصر ملوك بني بويه ، من مبدئه إلى منتهاه ، ورجع العوامل التي أحاطت بمهيار وأثرت في شعره إلى خمسة عوامل :

أولها : فقره . فقد كان في أكثر شعره يشكو الفقر ويندب سوء الحظ ، وأكثرنا نحفظ له مثل هذه الأبيات :

عيش كلا عيش ونفس مالها
من متعة الدنيا سوى حسراتها
وتودّ حين تود لو ما بدلت
أحبابها من جورها بعسراتها
ويزيدها جلدأ وفرط تجلد
بين العدا الإشفاق من إشماتها
إن كان عندك يازمان بقية
مما يضام به الكرام فهاتها

ومثل قوله في قصيدته الحائية :

شد ما مني غرورا نفسه
تاجر الآداب في أن يربحها
أبدأ نبصر حظاً ناقصاً
حيثما نبصر فضلاً رجحاً
والمنى والظن باب أبدأ
تغلق الأيدي إذا ما فتحا
قد خبرت الناس خبري شيمي
بخلاء وتسموا سُمحا

وتكاد لا تخلو قصيدة من قصائد مهيار من شكوى الزمان وندب سوء الحظ . وقد عني باحثنا ببيان عامل الفقر الذي أثر في شعر مهيار وبين أن هذا الفقر لم يكن داء خاصاً بمهيار وإنما كان عرضاً عاماً لسوء سياسة الدولة في عصره ، وذلك أن الدولة في هذا العهد كانت دولة بؤس وفقر ، وكان ملوك بني بويه يلقبون بجلال الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة ، والحقيقة أن أكثرهم كانوا شقاء الدولة وبؤس الدولة وفقر الدولة . ولقد ملكني العجب حين تذكرت ما في كتاب الخراج الذي ألفه أبو يوسف لهرون الرشيد عما كان يجي من سواد العراق من أموال طائلة ، ورأيت

كيف أصبح هذا السواد بعد قرن أو يزيد قليلاً موطن الفقر ، وموئل البؤس ، ودار الشقاء ، عجباً ! كيف تبدلت الحال ؟ فها دجلة ما غاض ، وسواد العراق ما أملح ، ولكنها العقول أجذبت ، والأيدي شلت ، وليست العبرة بالمكان بل العبرة بالزمان ، وليست العبرة بالأرض بل العبرة بالسكان .

ووضع الباحث عاملاً ثانياً من العوامل التي كان لها أثر في شعر مهيار ، وهو النزاع الذي كان مستعراً بين بني بويه وبين جيشهم ، وما كان يلحق هذا النزاع من شقاق عنصري ، فهؤلاء الجند من الترك وأولئك من الفرس ، وما كان يحمره هذا النزاع على البلاد من خراب ودمار ، وما كان يتركه من بؤس وفقر ، ولذلك كان مهيار فقيراً ، وكثر في شعره نذب الحظ وشكوى الزمان .

ثم بين الباحث عاملاً ثالثاً من العوامل التي أحاطت بمهيار ، وهو الانقسام الديني إلى سنة وشيعة . ومن أكبر السيئات التي تسجل للملوك بني بويه أنهم غرسوا شجرة الخزبية الدينية في الإسلام . وقد نشأ مهيار على دين المجوس ، ثم أسلم وتشيع ، وغلا في تشيعه حتى قال له بعضهم : إنك بإسلامك انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية ، انتقلت من زاوية المجوس إلى زاوية الروافض .

وعامل رابع بينه الباحث ، وهو الانقسام القومي الذي استشرى في ذلك العهد ، فقد انتشرت فكرة الشعوبية ، واعتز الفرس بفارسياتهم ، ونطق شعر مهيار بهذه العصبية في كل مناسبة ومنه هذه الأبيات :

قوى استولوا على الدهر فنى
ومشوا فوق رؤوس الحقب
عمموا بالشمس هاماتهم
وبنوا أبياتهم في الشهب
وأبي كسرى علا إيوانه
أين في الناس أب مثل أبي ؟
فلما تم عن شعوبيته وعصبيته ، وفي أكثر قصائده ما ينم عنهما .

كذلك منى مهيار بوفاة كثير ممن كان يعتز بهم ويركن إليهم ، وأهمهم الشريف الرضى فقد كان الشريف أستاذه ، وكان تشيع مهيار راجعاً في الحقيقة إلى تبعيته للشريف وقد كان فقد هؤلاء الأئمة عاملاً من العوامل التي أنطقت الرجل بالجلد .

فقد بين الباحث هذه العوامل واستشهد لكل منها بشواهد من شعر مهيار فجلى مهياراً أحسن الجلاء ، ثم زاد بأن عقد موازنات بين مهيار والشريف الرضى في المدايح ، وبين مهيار وغيره من الشعراء في جملة موضوعات أهمها الغزل في الحبيبة ، وبذلك رسم هذا الباحث صورة واضحة لمهيار وعصره وأن حاجة مهيار إلى المال لسد عوزة وإلى الجاه لتعزيز تشيعه وشعوبيته يرجع إليها أهم الأسباب في كثرة مداخله وإسرافه في مدحه . وكلمتي في الختام أني لو كنت هذا الباحث لأخذت جائزة المجمع وضممت إليها مثلها من مالي ثم عدت إلى هذا الكتاب فاستوفيت مراجعه وعينت بشواهد وضبطتها وشرحت غريبها وزدت في الموازنة شيئاً حتى إذا طبع هذا الكتاب بعد مراعاة ما لاحظته زملاؤنا الذين قرءوه كان قد أضاف إلى المكتبة العربية كتاباً قيماً نافعاً .

كلمة الدكتور إبراهيم بيومي مذكور عن القصة

ففي ذلك ما يطمئنتهم على ازدهار غرسهم ونجاح دعوتهم ، وما يشعرهم بأن الأمانة التي سهروا عليها قد لقبت من يحسن أداؤها ، وأن الرسالة التي اضطلعوا بها قد صادفت من يعرف كيف يتعهد بها . وفي مسابقات مجمع فؤاد الأول الأدبية ما يكشف عن جيل جديد يبعث على الأمل ويخلق الثقة في المستقبل . وإذا كان بعض شباب المتأدين تنقصه الإجابة ولا يعني بالروية والإتقان ، ففي مثل هذا المهرجان السنوي ما يحفز الهمم ويستثير النفوس .

* * *

ولا شك في أن القصة باب هام من أبواب الأدب ، كان لها حظها في الآداب القديمة ثم انتهت إلى منزلة سامية في الآداب الحديثة . فطغت على الرسائل والمقالات ، وحلت محل القطع الوصفية والاعترافات ، وتكاد تستأثر بالأدب المنشور المعاصر . وإذا كان المسرح قد أخذ بيدها بالأمس ، فإن السينما تفتح اليوم أمامها آفاقا فسيحة . وإذا كان الخيال والخرافة قد غدتا قديما بغذاء شهى جذاب فإن الرحلة والأسفار تمدها الآن بالطريف من أخبار القبائل والشعوب ، والغريب من وصف الكائنات والبقاع .

تساير القصة الناس في طبائعهم ، وتجري مجرى لفهم وعاداتهم ، لذلك صادفت هوى

لقد كنا نتوق منذ فجر هذا القرن إلى أدب قومي تمليه آمالنا وأمانينا ، ويرجم عن عواطفنا وشعورنا ، ويحلل عاداتنا وتقاليدها ، ويصور بيئتنا ووطننا ، أدب يحكي معالم الماضي ويبرز مظاهر الحاضر ، ويرسم أهداف المستقبل أدب له خصائصه ومميزاته ، وشخصيته ومقوماته بحيث يذكر إلى جانب الآداب الأخرى فيتحدث عن أدب مصرى كما يتحدث عن الأدب الفرنسى والإنجليزى . أدب يعيد إلى العربية مجدها وعزتها فيؤخذ منها كما تأخذ من غيرها ويرجم عنها كما يترجم إليها .

هذه هي الأمنية ، ويسعدنا أن نلاحظ - ولما يعض عليها نصف قرن - أنه قد تحقق ما اقسط كبير . فلإنتاجنا الأدبي خصب متنوع قد تناول أبواب الثقافة المختلفة ، من علم وفلسفة وتاريخ واجتماع ، واقتصاد وسياسة . كتب بلغة العصر وروح العصر ، فاستساغته النفوس وامتزج بالأفئدة . وبلغ بعض كتابنا وشعرائنا اللدوة أو دنوا منها ، فأضضوا ولهم عشاق وأتباع في مختلف الأقطار الشرقية ، بل لقد امتد أثرهم إلى بعض العواصم الغربية . ونظرة إلى الوراء قليلا كافية للتدليل على ماخطونا في هذه السبيل من خطوات .

وليس شيء أحب إلى حملة راية النهوض الأول من أن يروا في الميدان الجنود والأنصار

من نفوسهم ، وأضحت من أشد أنواع الأدب تأثيراً في الجماهير . فيها مناجاة نفسية ، وتخفيف للوعة إن كانت قد أملت ظروف شخصية ، فإنها لا تلبث بمجرد وصفها أن تصبح قدراً مشتركاً وملكاً مشاعاً يتبناه كل من اهتدى إليه . وفيها كشف عن مكنون الصدور وخفي الطباع ، يكشف الكاتب فيها نفسه لنفسه أو عن النفس البشرية لقرائه ، ويلبس القارئ فيها أموراً كان يتوهمها دون أن يقف على كنهها أو يجد السبيل إلى التعبير عنها . ومع هذا تحمل شيئاً من طابع السرية وإن نشرت وأذيعت بين الناس ، لهذا يحرص قارئها على أن يختل بها ويفرغ لها على انفراد وفيها سحر قد ينسى المرء من حوله ، ويصرفه عن طعامه وشرابه ، ويجد فيها من المتاع والأنس ما لا يجده في حلم لذيد أو مجلس لم يكدر صفوه مكدر .

والقصة أداة نافعة من أدوات نشر المعرفة والثقافة ، ساغ موردها ، وكثر قراؤها ، فنقلت إليهم فروعاً شتى من العلم والفلسفة ، وصورت لهم آيات الفن والحضارة . وهناك أشخاص يرجع قسط كبير من ثقافتهم إلى ما قرءوا من قصص وروايات ، وهناك آراء ونظريات خدمها الأدب القصصي وساعد على نشرها أكثر مما خدمها الباحثون والعلماء . وفي كلمة واحدة يمكن أن يقال إن القصة وسيلة من وسائل اشتراكية العلم وجعله في متناول الجميع .

وللأدب العربي القديم جانبه القصصي ،

وإن كان دون ما يلحظ في الآداب القديمة الأخرى . ومن يدري ، فقد يكون القصص الجاهلي قد ضاع فيما ضاع من آثار أدبية أخرى على أن كتب الأدب الكبرى كالأغاني والأمالى والعقد الفريد تحتفظ بأقاصيص مختلفة ، والمعلقات في قسط كبير منها قصص منظوم . وما أن اختلط المسلمون بالأمم الأخرى حتى تأثروا بقصصها ، كما تأثروا بالوان ثقافتها الأخرى ، وكتاب كليله ودمنة ، وألف ليلة وليلة من أوضح الأمثلة على ذلك . وقد أنشأوا ضروباً جديدة من الأدب القصصي ، كالمقامات والرحلات ، وفي مقدمتها مقامات بديع الزمان والحريري ، ورحلة ابن جبير وابن بطوطة .

غير أن القصة مع هذا لم تبرز في الأدب العربي بروزها في الآداب الحديثة . ولهذا قام أدبنا القصصي المعاصر أول نشأته على التقليد والمحاكاة والنقل والترجمة . وإذا استثنينا « حديث عيسى بن هشام » ، وجدنا أن القصص والروايات التي صادفت نجاحاً في العقدين الأولين من هذا القرن إنما كانت في أغلبها مترجمة . ثم أخذت القصة المصرية ترسم لنفسها طريقها ، وتستكمل شخصيتها ، فخطت الأقصوصة رويداً رويداً إلى أن أضحت قصة ، وقرأنا من القصص المصرية المبتكرة ما لا يقل روعة وبهاء عن بعض القصص الأجنبية المترجمة ، وأملت عاداتنا وتقاليدنا وماضيها وحاضرنا على الكتاب قصصاً فيه نقد وتحليل وعظة وحكمة . وبدا وادي النيل في سمائه الصافية وشمسه الزاهية

وطبيعته الهادئة على صورة لوحات فنية أحكم القصصيون صنعها وأجادوا التعبير عنها .

وبذا تعدد القصص المصري وتنوع ، فنه المسرحي وغير المسرحي ، والخيالي والواقعي ونحنا القصص مناحي شتى ، فمنهم من أولع بالحوار يفضل به على أى أسلوب آخر ، ومنهم من اختار السرد والرواية المتصلة ، ومنهم من جمع بين هذا وذاك . ويبدو على بعضهم أنه إلى النقد الاجتماعى أميل وفى مناقشة العادات والتقاليد أرغب ، وعلى بعض آخر أنه بالتاريخ ألصق ، يستمد منه مادته ويرسم فى ضوئه أبطاله .

ولا أدل على هذا التنوع من تلك المجموعة التى قدمت لمجمع فؤاد الأول للغة العربية فى المسابقة التى تعرض جوائزها الليلة . فقد أعلن عن هذه المسابقة فى يونيه الماضى ، وحددت نهاية نوفمبر آخر موعد لقبول القصص التى ألقت سنتى ١٩٤٦ و ١٩٤٧ الميلاديه ، وبالرغم من هذا التضييق والتحديد تقدم إلى المجمع فى القصة وحدها نحو عشرين متسابقا ، وبأيديهم ما يقرب من الثلاثين قصة . وواضح أن هذا الرقم لا يمثل كل إنتاجنا القصصى فى هذه الفترة ، إلا أن له على كل حال دلالة ، خصوصا والمتسابقون فى أغلبهم شباب أشربوا حب القصة وتعلقوا بأدبها . وفى إقبال الشباب على القصة ما يبعث على الأمل فيها ويؤذن بمستقبلها الزاهر .

...

ويعيننى أن أقف عند قصتين اثنتين من هذه القصص الثلاثين أولاهما « على باب زويلة » للأستاذ محمد سعيد العريان ، والأخرى « خان الخليلي » للأستاذ نجيب محفوظ .

فأما الأستاذ العريان فقد تخرج فى مدرسة دار العلوم منذ سبع عشرة سنة أو يزيد ، تفرغ تطواها لتدريس اللغة العربية ، وعنى بتصحيح العبارات وتقويم الأساليب . ويظهر أنه أحس أن مكتبة الطفل المصرى فقيرة ، وأن وسائل سمره وتسليته محدودة ، فاتجه مع بعض زملائه إلى وضع كتب تلائم ، ووجد فى القصة خير وسيلة لتسلية . وكان من نتائج ذلك « سلسلة القصص المدرسية » التى ظهر منها حتى الآن أربع وعشرون قصة فى أسلوب سهل مبسط .

وإلى جانب مساهمته فى هذه السلسلة ، استقل بمجموعة أخرى قدم فيها اثنتين وثلاثين قصة صغيرة تحت عنوان « من حولنا » وهى أقرب إلى الأقصوصة منها إلى القصة ، تعرض صوراً مصرية ، وتعالج بعض مظاهر حياتنا العامة ، وتتجه نحو الكبار فتقابل « القصص المدرسية » التى وضعت خصيصاً للصغار .

غير أن إنتاجه القصصى الهام قد نحنا منحى آخر ، فاتخذ من التاريخ مادته ، وعالج بعض أشخاصه وأحداثه ، يتحدث عنها بأسلوبه ويصورها بنفنه . والقصة فى حقيقتها تاريخ للحاضر أو للماضى ، نحكى الواقع

أحياناً إلا أن يفلسف القصة، ويسبغ عليها ألواناً من النظريات الأخلاقية والآراء السيكولوجية ولأمر ما قدر له أن يبدأ إنتاجه القصصى بما يصح أن نسميه «القصصى الفرعونية» فقد وضع منها ثلاثاً متوالية هي: «عبث الأقدار» و«رادوينس» و«كفاح طيبة» وإنها لبداية موفقة سما فيها خياله سمواً ملحوظاً، وظهر استعداده القصصى واضحاً، وأفاد كثيراً من كتاب «مصر القديمة» الذى سبق له أن ترجمه. ولا نزاع فى أن هذه القصص الثلاث تربطنا بالتراث الفرعونى، وتكشف عن دعامة من دعائم الشعور القومى، وتغذينا فى ناحيته يسرنا أن ندخل فى صميمها ونستمع بها.

ولا أظن أن كاتبنا يسرف أبداً إن عاد إليها، وعاد الكتابة فيها وتبع شتى أطرافها.

ولكنه شاء أن ينتقل نقلة واسعة، فرحل من مصر القديمة إلى مصر الحديثة، وجاوز طيبة ومنفيس إلى الفجالة والدق. وألف فيها يمكن أن نسميه «القصصى المصرية» ثلاثاً أخرى هي «خان الخليلي» و«القاهرة الجديدة» و«زقاق المدق». وإذا كان يتحدث فى القصص الأولى عن الماضى ويحكى مجد الفراعنة فإنه فى الأخيرة ينغمس فى حياته الاجتماعية الحاضرة، فيكشف عن كثير من خباياها، ويعرض منها صوراً تقرب من الواقع كل القرب. ففيها دراسة واقعية تحليلية لضرب من الأخلاق والعادات فى مختلف البيئات، وتصوير صادق لبعض التقاليد.

وتبرز معالمة، وتمزج بين الحقيقة والخيال. وقد شاء الأستاذ العريان أن يقف عند التاريخ المصرى الإسلامى، فكتب أولاً «قطر الندى» التى تصور عصر الدولة الطولونية منذ بدته حتى نهايته، ثم أتبعها «بشجرة الدر» التى جاءت عنواناً صادقاً لعهد الدولة الأيوبية.

وما هو ذا يقدم لنا أخيراً «على باب زويلة» التى تعرض لقانصوه الغورى وخليفته طومان باى، فن الدولة الطولونية إلى الأيوبيين، ومن هؤلاء إلى المماليك. ولا شك فى أن القصة الأخيرة تفضل سابقتها، فهى أغزر مادة، وأدق تحليلاً وأعظم عناية بالتاريخ ودقائقه. يؤخذ القارئ بأسلوبها العذب وعباراتها الجزلة، ونسجها المحكم. إلا أنها من ناحية أخرى كثيرة الشخصيات بحيث عز على كاتبنا أحياناً أن يوفى جميعاً حقها من التصوير والتحليل، ومتلاحقة الحوادث بحيث يخشى أن تتداخل ويطنى بعضها على بعض.

وممها يكن من أمر هذه الملاحظة فإن الأستاذ العريان فى صفاء أسلوبه وقوة تعبيره وصدق تصويره واندماجه فى جو الوقائع التى يريد إخراجها قد توفر لديه كثير من وسائل الكاتب القصصى ولهذا استحق جائزة المجمع.

• • •

وأما الأستاذ نجيب محفوظ فقد نشأ نشأة فلسفية، وتخرج فى قسم الفلسفة بكلية الآداب، إلا أن أدب القصة قد بهر—فما يظهر—فشغف به ووجد فيه من رقة الحواشى ما كاد ينسيه جفاف الفلسفة وقسوتها. على أنه يأبى

المؤلف ما يدعو إلى نقد أو ملاحظة فإن فنه القصصى معث تقدير واستحسان، وإذا كانت نشأته الفلسفية قد باعدت بينه قديماً وبين القراءة الأدبية المستهضة فإن واجبه اليوم وقد تفرغ للأدب القصصى أن يستكمل كل وسائله وأدواته. ومهما يكن من أمر هذه الناحية فإن الأستاذ نجيب محفوظ قد أقام الدليل على قدرته القصصية، وفي ماضيه وحاضره ما يؤذن بأنه سيكون من كتابنا القصصيين الممتازين، ولهذا استحق جائزة المجمع وتقديره.

و«خان الخليلي» بوجه خاص يعرض أمامنا أياماً عاشها كثيرون منا ويستعيد ذكريات شعر إزاءها بشيء من العذوبة. وفيها ما يدل على أن الكاتب شرقى صميم في شرقيته، قاهري ملم تمام الإمام بعوائد مدينته. هذا إلى أنها ترمز للتطور الاجتماعى الذى نمر به، وتشير إلى مرحلة الانتقال الحضارى التى نجتازها.

كل ذلك فى خيال بديع وتصوير دقيق وتحليل نفسى بارع. وإذا كان فى أسلوب

النحت

وقد عقدت اللجنة عدة جلسات تناولت فيها موضوع النحت من مختلف أطرافه ، وراجعت أقوال المتقدمين فيه ، ثم أسندت إلى فضيلة الشيخ إبراهيم حمروش وضع البحث المطلوب ، فوضعه فضيلته وقررت اللجنة على النحو التالي لهذا . ثم عرض البحث على المؤتمر فوافق على إباحة النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية (١) .

اقترحت لجنة إعداد أعمال المؤتمر في هذه الدورة تأليف لجنة من حضرات الأعضاء المحترمين : الشيخ إبراهيم حمروش ، والشيخ محمود شلتوت ، والدكتور أحمد زكي ، والأستاذ مصطفى نظيف ، والشيخ عبد القادر المغربي ، لبحث موضوع " النحت ومدى الاستفادة منه " (١) .

تقرير اللجنة

والكبتة لم يؤخذ فيهما حرف من حروف لفظ الجلالة .

ثانياً - أنه لا يجب أن تؤخذ الكلمة الأولى بتمامها كما هو واضح .

ثالثاً - أنه لا تجب المحافظة على حركات الحروف ومكانتها في النحت فإن الشين في مشكنة ساكنة وهي في المنحوت منه متحركة .

أما ترتيب الحروف في النحت فهو محل كلام ، فقد ذكر ابن فارس أن حوقل بتقديم القاف على اللام منحوت لاحول ولا قوة إلا بالله وأن الجعفلة منحوت قول جعلت فداك ، ونقل عن بعض العلماء أن عدم الترتيب يكون تفنناً .

النحت ضرب من الاختصار وهو أخذ كلمة من كلمتين فأكثر . وقد نحتوا على منهاج الأفعال الرباعية في الأفعال والخماسية في الأسماء ، فنحتوا من الجملة فقالوا سبحل سبحلة في النحت من سبحان الله وحمدل حمدلة من الحمد لله وبسمل من بسم الله ومشكن من ماشاء الله كان ، وحسبل من حسبي الله ، ودمعز من أدام الله عزه ، وكبتع من كبت الله عدوك ، وجعقد من جعلت فداك ، وحولق من لاحول ولا قوة إلا بالله ، وطلبق من أطال الله بقاءك ، إلى آخر ما جاء عنهم .

ويؤخذ من النحت المتقدم : -

أولاً - أنه لا يجب في النحت الأخذ من كل كلمة من المنحوت منه فإن الدمعزة

(١) انظر القرار الثالث من « القرارات العلمية » لهذه الدورة .

(١) انظر القرار الأول من « القرارات الادارية والتنظيمية » لهذه الدورة .

وابن دحية ينكر أن تكون الحوقلة منحوت قولك : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول إن الحوقلة مشية الشيخ الضعيف . قال الشاعر :

يا قوم قد حوقلت أو دنوت
وبعد حي قال الرجال الموت

ويقول أيضاً إن الجعفلة باللام خطأ وإن منحوت جعلت فذاك الجعفلة .

وذكر بعض العلماء أن ترتيب الحروف في المنحوت والمنحوت منه لا بد منه ولذلك خطأ العلماء الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل لأنه ذكر الطبقة بتقديم الباء على اللام .

وجاء عن المتأخرين أنهم قالوا الفذلكة من قولهم حين يجمل الحساب بعد تفصيله فذلك كذا .

وقالوا : الحزومة من الحزم والرأى وقال الزمخشري : البلكفة من قولهم بلاكيف .

ويقول المؤلفون : الفنقلة من قولهم فإن قيل .

ونحتوا من المركب الإضافي فقالوا في النسب إلى عبد القيس عبقسي وإلى عبد شمس عيشمي وإلى عبد الدار عبدري وإلى (امرؤ القيس) الشاعر مرقسي .

وقالوا في النسب إلى (امرؤ القيس) سما لقبيلة مرثى قال الشاعر :

ويسقط بينها المرثى لغوا
كما ألغيت في الدية الحوارا

وقالوا في النسب إلى دار البطيخ (محلة ببغداد) دربنخي ، وفي التسهيل لابن مالك وشرحه : قد يبنى من جزأى المركب فعلل بقاء كل منهما وعينه ، فإن اعتلت عين الثاني كملت بلامه كما في عبد القيس ، وإن اعتلت عين الأول كملت بلامه كما في دار البطيخ فيقال دربنخي .

ويجب بناء على القاعدة أن يقال في النسب إلى دار البطيخ دربطي .

وقالوا في النسبة إلى سوق مازن سقزني فقد حذفوا فاء الكلمة الثانية وهذا من تفتنهم في هذا الضرب فلم يلتزموا فيه طريقة واحدة .

وجاء من هذا النحت قولهم حصكني نسبة إلى حصن كيفا ورسعني في النسبة إلى رأس عين ويقول المتكلمون البهشية لفرقة تنسب إلى أبي هاشم .

قال ابن فارس في باب النحت من فقه اللغة : العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار يقولون رجل عيشمي منسوب إلى اسمين وأنشد الحليل .

أقول لها ودمع العين جار
ألم يحزنك جيلة المنادى

من قولهم حي على ، وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت مثل قول العرب ضبط للرجل الشديد

وقد حذا حذو ابن فارس بعض الأندلسيين
فذكر أن جحفل منحوت من جحف وجفل
لأن الجحفل يححف ما يمر عليه ويقشره وأن
نهشل منحوت من نهشته ونشله ... إلى آخر
ما ذكر . ولا يخفى أن الجحف والجفل بمعنى
واحد .

النحت بين القياس والسمع

المقدمون على أن النحت سماعي فيوقف
عند ما سمع وليس لنا أن ننحت . ولعل هذا
لأن النحت اختراع ألفاظ لم تعرفها العرب
فلا تدخل في لغتهم . وقد نقل عن بعض المتأخرين
نسبة القول بقياسته إلى ابن فارس ، قال الخضرى
في حاشيته على ابن عقيل : ونقل عن فقه
اللغة لابن فارس قياسيته ، ومثل ذلك نقل
عن الشمونى . وقد نقلنا فيما تقدم عبارة ابن
فارس في فقه اللغة وهى لا تفيد القياسية
إلا إذا نظر إلى أن ابن فارس أدعى أكثرية
النحت فيما زاد عن ثلاثة ومع الكثرة تصح
القياسية والاتساع .

ونحن نقول يجوز النحت فى العلوم والفنون
للحاجة الملحة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ
عربية موجزة .

وهذا نموذج لكلمات منحوتة وضعت
لمصطلحات كيمائية وهى من وضع لجنة
الكيمياء والطبيعة فى المجمع :

وصهصلق وصفا للصوت والمرأة أنه من صهل
وصلق وفى الصلدم أنه من الصلد والصلدم ،
قال : وقد ذكرنا ذلك بوجوه فى مقاييس
اللغة .

وقال فى مقاييس اللغة : اعلم أن للرباعى
والخماسى مذهباً يستنبطه النظر الدقيق ، وذلك أن
أكثر ما نرى منه منحوت . ومعنى النحت أن
تأخذ كلمتين وتنحت منهما كلمة واحدة آخذة
منهما جميعاً بحظ ... فعلى هذا الأصل بينا ما ذكرنا
من مقاييس الرباعى - ويكون النحت على منهاج
الرباعى والخماسى ، وقد حمل على النحت
البرجد وهو كساء مخطط مأخوذ من البجاد
والبرد والجلصور للباقي من أصل السعفة إذا
قطعت . من الجلدم والجلدر وهما الأصل .
وجرثومة قرية النمل من جرم وجثم كأنه اقتطع
قطعة من الأرض وجثم عليها . وجعفر للنهر من
جعف لأنه يصرع ما يلقاه من النبات ومن الجفر
وهى البثر التى لم تطو أو طوى بعضها .

ولا يخفى أن ابن فارس ركب التعسف والشطط
فى حمل ما زاد على ثلاثة على النحت ، فقد
ذكر أن كلمة صهصلق منحوتة من صهل وصلق
والصهل والصلق بمعنى واحد وأن جلصور
منحوت من الجلدم والجلدر وهما بمعنى واحد
أيضاً .

وذكر أن البرجد منحوتة من البجاد والبرد
مع أن البجاد هو الكساء المخطط فلا معنى إذا
لضم البرد إليه .

To hydrolise	حلمأ (حلل بالماء)
Hydrolysis, to hydrolyse	الحلمأة - حلمأ يحلمئ
Hydrolitic agent	عامل حلمئ
Anhydrous	لامائى
Dehydrate	لمأ
Dehydrated	ملموء
Albuminoid	شبزال ، شبزالى (شبه الزلال)
Alcoholyse, Alcoholysis	حلکح يحلکح حلکحة ، حلکل يحلکل حلکلة (حلل الكحول)
Alkaloid	شبقيلى (شبه قلى)
Amphoteric	برمائى (نحت من البر والماء)
Colloid	شغراء (شبه غراء) شغتروى
Deamination	لأمن (نزع الأمين)
Debromination	لبرم (نزع البروم)
Dechlorination	لكلر (نزع الكلور)
Dehydrogenation	نزجنة (نزع الایدروجين) لدرجة
Carbohydrates	فحمثيات (م. فحمئ) (فحم وماء)

موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى

والمؤتمر لبحث هذا الموضوع (١) ، وقدمت تقريراً عُرض على المؤتمر (٢) ، فوافق على إحالته إلى لجنة اللهجات على أن تستعين في عملها ببعض الخبراء المختصين (٣).

وفيما يلي نص البحث وتقرير اللجنة :

كان حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد قد قدّم إلى مجلس المجمع قرب انتهاء الدورة الماضية (١) بحثاً عنوانه « موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى » ، فوافق المجلس على تأجيل النظر فيه إلى هذه الدورة ، إذ ألفت لجنة من أعضاء المجلس

بحث حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبي حديد :

(والأثر الثاني) أن اللغة العربية منذ استقرت فقدت كثيراً من المرونة الضرورية لتطور اللغات ولا سيما فيما يتصل بالحياة اليومية والمعاملات. فنشأ من ذلك شيء من الانفصال بين لغة الثقافة والأدب والفكر، وبين لغة الأسواق والمعاملات اليومية وما إليها. وما زال ذلك الانفصال يتزايد كلما جددت في الحياة ظروف تحتاج إلى التعبير والأداء فيما بين بعض الناس وبعض في زحمة الأعمال حتى أصبح من الضروري لمن أراد الاتصال بالتراث الثقافي والفكري أن يتوفر على دراسة اللغة الفصحى وتخليصها من آثار عامية الأسواق والمعاملات. وهكذا أصبحت الفصحى دراسة بعد أن كانت أداة الحياة في كل ميادينها.

- (١) انظر القرار الأول من « القرارات الإدارية والتنظيمية » في هذه الدورة .
(٢) الجلسة السابعة للمؤتمر (٥ من فبراير سنة ١٩٤٨) .
(٣) الجلسة الثامنة للمؤتمر (٩ من فبراير سنة ١٩٤٨) .
(٤) انظر القرار المباشر من « القرارات الإدارية والتنظيمية » في هذه الدورة .

ليست اللغة العامية في اللغة العربية بدعا في تطور اللغات ، بل هي مثل جديد يدل على أن اللغة ما هي سوى مظهر من مظاهر حياة الشعوب . والذي يتبع تاريخ العربية الفصحى يستطيع أن يدرك أنها كانت تتغير وتتطور دائماً في ألفاظها وأساليب تعبيرها حتى بعد أن جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم بلغة قريش وخلع عليها نوعاً من الثبات جعل تطورها محدوداً .

وقد كان للاتصال بين اللغة العربية والقرآن الكريم أثران :

(الأول) أن اللغة العربية احتفظت بصورة كادت تكون مستقرة مدة تزيد على ثلاثة عشر قرناً . وصار التراث الثقافي المتخلف من تلك القرون كلها ملكاً سهل التناول لكل من يقرأ الفصحى إلى يومنا هذا .

- (١) الدورة الثالثة عشرة للمجلس . الجلسة الثانية والمثرون (١٩ من مايو سنة ١٩٤٧) .

وما زال هذا الانفصال يزداد مع تغير الأحوال وتبدل ظروف الحياة لأن اللغة الفصحى قنعت بأن تكون أداة التعبير الفكري والعلمي . وكانت القداسة التي خلعتها عليها القرآن الكريم من أقوى أسباب شدة اتصالها بالدراسة العقلية وقلة قبولها للتطور الذي يبعدها عن صورتها الأولى - نقصد الصورة التي نزل القرآن الكريم بها .

وقد كان من أول ما هجم على العربية الفصحى من آثار تطور الحياة شيوع اللحن فيها . ولهذا الأمر دلالة كبرى فإنه ينم عما شعرت به الشعوب المتكلمة بالعربية من ثقل وطأة حركات الإعراب وصعوبتها على الناس إذا احتاجوا إلى التعبير في حياتهم اليومية .

وقد كان أصحاب اللغة العربية في موقف يضطرم للاختيار بين خطتين :

إما أن يختاروا تطوير لغتهم والبعث بها عن صورتها الأولى وإسقاط الإعراب جملة واحدة وفي هذه الحالة كان الذي ينتج هو أن تستمر اللغة العربية لغة التعامل وتندفع في تطورها إلى غايته ، وكان هذا لابد يؤدي بها آخر الأمر إلى أن تصبح لغة جديدة إلى مدى كبير .

ولما أن يختاروا تجميد لغتهم والمحافظة على صورتها والاقبال على درسها وضبطها والاحتفاظ بكل خصائصها ، وبذلك يحتفظون بوحدها واتصال ثقافتها على مر العصور .

ولقد اختاروا الخطوة الثانية في حاسة عجيبة يدل عليها كل ما تخلف من أخبار الرواة والعلماء والخلفاء والأدباء . وكانت حركة ضبط اللغة العربية ودراستها والحرص على بقاء صورتها من أعجب الحركات وأقواها في تاريخ اللغات كافة . ومنذ اختار أصحاب اللغة العربية هذه الخطوة كان لامفر من اتساع الفرق بين لغة أدبية فصحى ميدانها الفكر للخاصة ، ولغة عامية ميدانها الحياة كلها للكافة . بدأ هذا الانفصال منذ أول التاريخ الإسلامي وما زال يزداد حتى بلغ مداه الذي نراه اليوم بين لغة المثقفين القارئ وبين لغة التعامل الحر . وذلك يشبه ما حدث في بلاد أوربا إذ تطورت اللغة اللاتينية في الوطن اللاتيني وما يليه من البلاد التي كانت لغة الثقافة فيها هي اللاتينية ، ونشأت من ذلك اللغة الإيطالية والفرنسية والإسبانية وتباعدت الصلة بين اللاتينية وبين سلاسلها تباعدا مختلفا يقل في بعضها ويزيد في بعضها تبعا لما داخلها من آثار الأقوام الذين مزجوا لغاتهم الأجنبية باللغة اللاتينية الأصلية .

وقد حدث مثل هذا التطور إلى حد كبير في اللغة اليونانية فإن يونانية اليوم ليست هي اليونانية القديمة وإن كان المصدر لا يزال واحدا .

غير أن البعد بين العربية الفصحى وبين العربية العامية لم يكن مثل ذلك البعد الذي نشير إليه بين لاتينية أميس وإيطالية اليوم . فإن الأمم العربية لم تحط بها الظروف التي أحاطت بأمم أوربا فلم يفرقها طوفان من

اللغات الأجنبية كما أغرق اللاتينية والاعريقية طوفان الأمم الجرمانية والسلافية .

ولكن مهما يكن الفرق بين موقف العامية من العربية الفصحى وبين موقف اللغات الأوروبية الحديثة من اللغات القديمة ، فإنه من الواضح أن الاتجاه واحد في نوعه في الحالين ، وإذا استمر في سبيله كان من المحتم أن تصير اللغة العربية الفصحى لغة الكتاب ، على حين يزيد تطور العامية مع الحياة وتزداد تبعاً لذلك شقة الخلاف بينا وبين الفصحى التي تصبح بعد حين في حكم اللغات القديمة (الكلاسيكية) ولو حدث مثل هذا التباعد لما كان للأمم العربية مفر ولو بعد حين من أن تقف مرة أخرى في موقف الاختيار بين أحد أمرين كل منهما ينطوي على أضرار كبيرة :

(الأول) أن تختار الاتصال بالتراث القديم المائل في اللغة الفصحى وتضحى في سبيل هذا الاتصال بأعز ما عند أمة حية تتطلع إلى حياة مليئة قوية — وهو اتصال اللغة بالفكر — اتصال الشعب الذي يتكلم بأصحاب الفكر الذين يكتبون. وعند ذلك يكون لامناص لنا من أن نقنع بحركة فكرية منعزلة عن كتلة الأمة وأن نرضى لأنفسنا بديمقراطية سطحية لا تتعدى المظاهر الكاذبة ، على حين تبقى جماهير الأمة في حالة أمية وعقم عقلي ونفسي .

(والأمر الثاني) أن نختار الحياة الحاضرة والمستقبلية مضحين بكنوز الثقافة القديمة وما فيها من أصول حضارتنا ومثلنا العليا

ونقطع ما بيننا وبين ماضينا الكريم السامى . ويكون علينا في هذه الحالة أن نعود إلى حيث بدأت الأمم أول خطواتها نحو الحضارة إلى أن نستطيع بعد أحقاب طويلة تحصيل ثروة فكرية جديدة تصلح لأن تكون غذاء لعقول أمة حديثة .

والأمران كما هو ظاهر ينطويان على أخطار جسيمة ويوقعان بنا خسائر محقة. فإذا شئنا أن نتجنب الوقوف في مثل هذا الموقف الذي يضطرنا إلى الاختيار بينهما مرغمين — إذا شئنا ذلك كان لا غنى لنا عن التفكير الجدى الصريح منذ الآن في الموقف قبل أن يصل إلى مداه .

ونرى أن الخطوة الأولى في تفكيرنا هي أن نتأمل في حال هذه اللغة العامية وأن نحاول تحديد خصائصها وما بلغت في تطورها . ثم نسأل أنفسنا بعد ذلك في صراحة عما يجدر بنا أن نفعله للمحافظة على حياتنا الفكرية أولاً ، ولتجنب كل ما يمكن تجنبه من الخسارة ثانياً .

ولما كانت مثل هذه الكلمة المختصرة لا تتسع للاستقصاء كان المقصود منها هو مجرد الإشارة إلى ما يجدر بالبحث أن يتجه إليه من المسائل :

المسألة الأولى

الألفاظ العامية :

لا شك أن الكثرة الكبرى من الألفاظ العامية

إما عربية قرشية صحيحة وإما محرفة عنها تحريفاً قليلاً ، وإما عربية من لهجات قبائل أخرى غير قریش أو محرفة عنها تحريفاً قليلاً. فمن المعروف أن القبائل العربية التي جاءت إلى مصر في العصور المختلفة كانت من أصول مختلفة. وكان مقامها في العواصم والريف وعلى حدود الصحراء سبباً في وجود لهجات متباينة في الأقاليم المختلفة. ولكن العامية المصرية - أي التي نشأت حول العاصمة مصر - هي الأكثر انتشاراً. وقد امتزج فيها أثر كثير من القبائل وكان رائدها دائماً التسهيل في النطق والتيسير في التداول.

ويستطيع كل منا أن يخلو إلى نفسه ويثبت ما يرد على خاطره من الألفاظ المعروفة المتداولة ومنها يتبين أن الألفاظ العامية ليست سوى صور من ألفاظ عربية ليس من العسير أن تصحح بل إنه ليس من العسير أن يرد إليها اعتبارها وترفع عنها الوصمة التي لصقت بها على مر القرون.

فأما على مكتبي : قلم . مجلة . كتاب . قزازة حبر . (قارورة حبر) علبة سجائر . حنة بنور (حنة الشيء) (البَلُّور والبيُّلور) وقلب اللام إلى النون كثير في اللغة كما هو معروف في عنوان وعلوان وقلة الجبل وقتنة واسماعيل واسماعيلين الخ . . . ورق . منفضة . كبريت . سفنجة . خرامة . تقالة . . . الخ ولو شئت أن أذكر كل ما في الغرفة لم أجد سوى ألفاظ جوهرها عربي وكثير منها لا يزال سليماً . على أن اللغة العامية تحتوي على كثير من الألفاظ التي أهملتها الفصحى تعالياً منها . أذكر منها :

طريقة . قفة . سلة . دخان . مزارب
فلان (يطّوح) (أي يتطوح) الخ .

ونرى أن بعد الألفاظ العامية عن العربية مبالغ فيه فالفرق لا يزال ضئيلاً بينها وبين الفصحى ومن اليسير تدارك الأمر إذا نحن عينا يجمع كل المفردات العامية وعينا بإعادة الاعتبار إلى كل ما يمكن رد الاعتبار إليه وصححنا كل ما يمكن تصحيحه منها بغير إيعاد لها عن صورتها كلما أمكن ذلك . والأمر في نظرنا يسير إذا عكفت عليه فئة قليلة من الباحثين فاتخذت أحد القواميس العربية البسيطة (كالمنجد) أساساً ، واستطردت منه إلى ما هو قريب من ألفاظه في اللغة العامية حتى تستوعب الألفاظ العامية ثم تقبل عليها بالتصحيح أو الإجازة .

والتحريف في العامية ناشئ في أغلب الأحوال من القصد إلى التخفيف في النطق إذا لم يكن ناشئاً من تأثير لهجة بعض القبائل العربية .

ويحدث أكثر التحريف إما بزيادة حرف كما هو الحال في (راجل) بدلا من رجل ، باط (بدلا من لبط) ، صباع (بدلا من أصبع) . وإما بتخفيف الهمزة مثل فار (بدلا من فأر) وبير (بدلا من بر) . . . الخ .

وقد يكون باتباع حركة أول الكلمة للحرف اللين الذي في وسطها مثل : بيت بدل بَيْتٌ وغَيْط بدل غَيْطٌ وكوكب بدل كَوَكَبٌ ومُولد بدل مَوْلد .

وقد يكون مجرد تسهيل النطق مثل قولنا :
رُباط وفُخَّار وأزْمِيل .

ونلاحظ هنا أن حركة الكسر شائعة في
العامية سواء في أوائل الكلمات أو أواسطها
أو أواخرها .

فنحن نقول : حَقَّتْنا نَعْمَلُ كل يوم شيء
وَنَسْتَمِر ... الخ .

وليس كسر أول المضارع بالشيء الغريب
عن اللغة العربية فهو في لهجة بهراء وأظنه
في لهجة أسد .

وهناك تحريف شائع في العامية وهو كسر
آخر الاسم المضاف إلى ضمير المؤنثة المخاطبة
مثل قولنا : وانتِ مالِك .

وضم آخر الاسم المضاف إلى هاء الغائب
دائماً مثل قولنا : كتابُه .

وفتح آخر المضاف إلى المخاطب المفرد :
كتابك .

واسكان آخر المضاف إلى هاء الغائبة
أو الجمع الغائب مثل : كتابُها وكتابيهم .. الخ

وفي لهجات العرب كثير من مثل هذا
نذكر منها لهجة لحم التي تكسر ما قبل كاف
المخاطبة المؤنثة .

ومن التحريف الشائع إبدال بعض الحروف
بأخرى أسهل في النطق مثل : بحتر بدلا من

بعثر - ثلاثه بدلا من ثلاثة . اتاوب بدلا
من تئاب . اتمطع بدلا من تمطى . فضل
(ظل) سابت (ثابت) .. الخ .

ويلاحظ هنا أن العامية تضيف في كثير
من الحالات ألفاً في أول بعض الكلمات
تسهيلاً للنطق مثل اتمتع بدلا من تمتع - اتاكل
بدلا من تأكل .. الخ ..

وكذلك تخفف النطق بإبدال الحرف
المضاعف ياء مثل قولنا : (مدَّيت)
وحطيت وفكيت وبلت الخ وهذا شائع في
بعض لهجات العرب .

وتحذف العامية جزءاً من حروف الجر
في مثل قولنا : ع الرف - ف البيت -
م السوق الخ . وهذا شائع في بعض لهجات
العرب أيضاً .

والخلاصة : أن أكثر الألفاظ العامية إما
صحيحة قرشية وإما صحيحة في لهجة من لهجات
العرب وإما محرفة تحريفاً قريباً يقصد به
التسهيل .

وهذا يدعو إلى الاعتقاد أنه من اليسير رد
الألفاظ العامية إلى الفصحى إذا راعينا
شرطين :

- ١ - إجازة كل ما يمكن إجازته .
- ٢ - رد اللفظ إلى أقرب صورة في
الفصحى .

وليس مثل هذا الاتجاه مأمون العاقبة إلا
إذا أخذناه بالرفق والتدرج وتوصلنا فيه
بإقبال الأدباء عليه بغير تخرج منه .

المسألة الثانية

قواعد اللغة العامية :

تسير اللغة العامية على قواعد تكاد تكون مطردة نضرب لها أمثلة فيما يلي :

١ - فهي مثلا تتبع طريقة مطردة في تركيب العبارات المنفية : ماجاش - ماراحش - مش حايجي - ما اعرفش - مش حااعرف - ما كتبتش - ما كتبناش . الخ .

ويبدو عند النظرة الأولى في هذا صدى لما عرف في لهجات العرب ، ولكننا لسنا في موضع مناقشة أصل هذا التركيب ، فلا نقصد سوى أن نشير إلى أن هذه قاعدة عامة مطردة تسيّر العامية عليها .

٢ - صيغ الماضي والمضارع والاستقبال معدة :

كتب - يكتب - كان يكتب - حا يكتب .

وللمضارع صيغة عادية أخرى مثل قولنا لا يكتب - بكره يطلع الصيف الخ .

٣ - يستعمل الفعل المطاوع في محل المبنى المجهول :

ينضرب - ينكتب - بنفرش الخ .

٤ - هناك قياس وسماع في جمع الأسماء وأكثر ذلك مستمد في الأصل من اللغة العربية أو سائر على غرارها - فنقول مثلا :

مدرسة . مدارس . مكتب . مكاتب . راجل . رجاله . امرأه . نسوان . بيت . بيوت الخ .

ولكن هناك شبه قياس في مثل : أودة - أود . شونة - شون . بدله - بدل . سكة - سكك . الخ .

٥ - تستعمل الياء والنون دائما في الجمع السالم :

حداد - حدادين . نجارين . خبازين . مدرسين . فاكيرين . ناسيين . رايحين . الخ .

٦ - خفة النطق باللفظ هو أول ما يعتبر في الكلمة سواء أكان ذلك في حركة الحروف أو في بناء الكلمة . فثلا نقول في جمع بدله - بدل . ولكننا نقول في جمع يَفْطُه يَفْط لا يَفْط .

٧ - التشابه في شكل الكلمات أو التماثل في الأشكال له أثر في صيغة الجمع . فثلا نقول : مصباح - مصاييح . مفتاح - مفاتيح . ونقول أيضا : فدان - فدادين . شباك - شباييك . كتكوت - كتاكيت . الخ .

ويلاحظ أن الخروج عن أحد الأوزان السماعية أو القياسية يكون له من الوقع ما للخطأ اللغوي في الفصحى .

فلذا قال فرنجي مثلا في جمع شباك : شباكات أو شبابك . أو لو قال في جمع قلم : قلوب بدل أقلام لكان قوله غريبا .

وهكذا يمكننا أن نقول إن اللغة العامية قد كونت لنفسها قواعد النحوية والصرفية وأصبحت لها صورتها وأصولها المعترف بها . فالخروج عنها يعتبر خطأ .

٨ - هناك بعض فروق صغرى مثل ضغط حرف العلة في الفعل الأمر مثل : قول . بيع - الخ . وهناك مميزات عظمى يفرق بين العامية والعربية عند النظرة الأولى بغير فحص أسلوب أو حرفيات الكلام .

فإن العامية تقف في أواخر الكلمات كلها بالسكون ولا تعرف الإعراب .

على أنها مع ذلك تحرك أواخر بعض الكلمات بقصد تخفيف النطق ووصل الكلمات بعضها ببعض . فمثلاً نقول : لما رحت له في البيت لقيته ركب العربية .

وهناك الحركات التي تلازم الضمائر ، فمثلاً نقول في خطاب الرجل :

ده كتابك - وللمؤنث ده كتابك
ده كتابهم - دى كتابتهم دى كتابتكم
دى كتابتنا .

ويلاحظ أن هذه الحركات ثابتة تلازم كل منها الضمير الخاص بها في كل الأوضاع ، فنقول مثلاً : شفتكم كلكم - انتو رحتو كلكم ، دا بيت الناس كلهم . أكلت الفاكهة كلها - جت الناس كلها - كلام الناس كلها . فالعبرة بقولنا كلهم أو كلها ، أى بالضمير اللاحق .

ونحن نقول : ربنا يفتح عليك . وربك كريم . وللأنثى - ربك كريم . ولهم ربهم . ويعرفو ربهم . ولكواجر عند ربكم . فالعبرة هنا بالضمير اللاحق للكلمة ولا تتغير الحركة بتغير موضع الكلمة في الجملة .

المسألة الثالثة

أسلوب اللغة العامية :

ليس أسلوب اللغة العامية هو عين أسلوب العربية الفصحى وإن كان قريباً منه . فهناك فروق كثيرة نذكر منها البعض على سبيل التمثيل :

١ - نقول في العربية عادة : جاء محمد وكتب لى أخى كتاباً وهكذا . وذلك بتقديم الفعل على الفاعل ، فإذا قدمنا الفاعل وابتدأنا به كان لنا في ذلك قصد . وأما في العامية فالمعتاد أن نقول : محمد جه وأخويا بعث لى جواب وهكذا .

٢ - إذا أردنا التنى في العربية قلنا : ما جاء فلان أو لم يكتب لى أخى . وأما في العامية فنبدأ دائماً بالاسم فنقول فلان ما جاش ، وأخى ما كتبش لى جواب الخ .

٣ - في الاستفهام نستعمل في العربية أسماء الاستفهام أو حروفها ، فنقول : هل جاء محمد ؟ ومن كتب هذا ؟ وأما في العامية فلا نستعمل حروفاً بل نكتفى بنغمة الصوت فنقول : هو محمد جه . أو نكتفى بأن نقول : محمد جه ؟ بغير تفریق بين صيغة الإخبار

وصيغة الاستفهام . وأما أسماء الاستفهام
فنستعملها أحيانا مقدمة في العامية كقولنا :
مين قال كده ؟ ونستعملها أحيانا مؤخرة
مثل قولنا : أعمل ايه ؟ بدلا من قولنا :
ماذا أعمل ؟

٤ - تكثر في العامية العبارات التي تدل على
حركة النفس والإشارات واللفظات وهذا
لشدة امتزاجها بالحياة اليومية .

فنحن نقول : « لا يا شيخ ؟ » إذا سمعنا
خبراً غريباً .

ونقول : « ايه ؟ » مع إطالة الياء
للدلالة على التحدى أو عدم المبالاة الخ .

وسأورد عبارة عامية في وصف حالة
ليان ما فيها من اللفظات والإشارات التي أقصدها :

« كنت مرة ماثي في الطريق رايح
للوزارة . وبصيت لقيت الدنيا بردت والمطر
نزل زى القرب ووحلت الأرض وبقت حاجة
عيبسة . وكنت مستعجل وعندى ميعاد مهم
فركبت تاكسي عشان أوصل في ميعادى .
وحطيت إيدى في جيبى عشان أطلع فلوس
أدفع أجرة التاكسي ما لقيتش المحفظة .
يا خبر ! أعمل ايه في دى الواقعة ؟ يا ترى
أكتب للسواق سند والا أنزل أدور على حد
يدفع لى الأجرة والا والا ، وفصلت طول
الطريق مختارمش عارف أعمل ايه لحد ما وقف
التاكسي ونزلت والعرق نازل من جسمي ومش

عارف أقول ايه للجديع اللي بص لي وقال ٢٠ قرش
يايه . وبصيت هنا وهنا أبحث عن واحد
صاحبي فلاقيتش إلا ... ، الخ الخ .

ومثل هذا الأسلوب لا يتفق والأسلوب
العربي المعتاد ، فننسايره من الكتاب كان
قصده تقريب أسلوبه من العامية .

ومن الممكن استقصاء الخصائص التي تميز
الأسلوب العامي باستعراض العبارات المختلفة
واستخلاص الأصول التي تسير وفقها .

ومهما يكن من الأمر ، فلنما نريد أن نوجه
النظر إلى أن اللغة العامية قد ابتكرت لنفسها
نظاما كاملا في تعبيرها وأصبح الخروج عنه
خروجاً عن طريقة معترف بها .

ومن ثم يمكن أن نقول إن العامية قد كادت
تصير لغة قائمة بنفسها في قواعدها وفي أسلوبها .
فلماذا أردنا أن نردها إلى الفصحى كان علينا
أولاً أن نحصر تلك المميزات لكي نلتمس السبيل
الطبيعية المؤدية إلى غايتنا . فقد نجد عند حصر
هذه الأساليب أن فيها ما يساعد على تطوير
اللغة الفصحى نحو ما هو أسمى مع الاحتفاظ
بسلامتها ، فنكسب بذلك مكسباً مردوجاً .

المسألة الرابعة

الأدب العامي :

١ - العنصر الأول من المسألة :

عندما اضطرت الحياة الشعوب المتكلمة
بالعربية إلى تطوير لغتها شعرت هذه الشعوب

في الوقت عينه أنها مهددة بالحرمان من التعبير الأدبي منبذ بعدت الشقة بينها وبين اللغة الأدبية . والشعوب لا يمكن أن تحيا بغير تعبير عن خلجات نفسها في الأغاني والأناشيد والأمثال والعبر . فوجد الموهوبون من عامة الشعب وبعض الأدباء المتصلين بالشعب أن اللغة التي يتخاطبون بها ويتعاملون ويفكرون في حاجة إلى أن تؤدي ما يحتاج إليه الناس من التعبير . وأنحلوا يحاولون مرة بعد مرة أن يجعلوها أداة أدبية - فتحللوا من الأساليب الأدبية المعروفة في اللغة الفصحى لأنها لا تلائم تلك اللغة الساذجة المبسطة التي تولدت منها . فاخترعوا الموشحات والموااليا والدوبيت والكان كان والقوما والزجل وهي جميعاً أوزان تناسب مقاطع العامية وتحللها من الإعراب .

ومن المشاهد أن هذه الأساليب الأدبية العامية نشأت في كافة الأقطار العربية على اختلاف فيما بينها بحسب ما يناسب لهجات الأقوام المختلفة . وقد كان هذا الاتجاه نحو اتخاذ العامية وسيلة للتعبير الأدبي من أخطر ما ظهر في تطورها . فلو كانت العامية لا تزيد على أنها استخدمت أداة للتعامل في الأسواق والحياة اليومية لكان أمرها هيناً . ولكنها منذ برهنت على صلاحها للتعبير الأدبي صار من الممكن أن تنطلق في سبيلها متباعدة عن الفصحى حتى ينتهي بها الأمر إلى الاستغناء عنها . بل إن جمال أساليب التعبير العامي إذا بلغ مداه كان أجدر أن يسترق القلوب لأن تلك الأساليب أقرب إلى النفوس والأفهام من الفصحى لشدة اتصالها بحياة الكافة .

ولقد كان من أكبر ما عمل على تقويض أركان اللاتينية ظهور كتاب مبدعين في اللغات القومية ، الأوربية وقد كانت تلك اللغات عامية في وقت من الأوقات بالنسبة للغة اللاتينية فقد ظهر دانتى في إيطاليا وكتب روائعه بلغة قومه ، وكذلك فعل تشوسر وشكسبير في إنجلترا ، وسرفانتيز في أسبانيا ، وتغني التروبادور بالعامية في فرنسا . وأمثال هؤلاء هم الذين أغنوا شعوب أوروبا عن اللاتينية وجعلوها لا تتردد في خلعها عن عرشها . واثبتت اللاتينية في المدارس والمعاهد الثقافية قروناً بعد ذلك ، فقد كان محتوماً عليها أن تنقرض وتدفن في بطون الكتب على رفوفها بعد حين . ولقد احتفظت اللاتينية بشيء كثير من الإجلال القديم لها بوصفها لغة الثقافة والعبادات ، ولكنها لم تلبث أن تعرضت لثورة كبرى من جماهير الشعوب والمفكرين والمصلحين ، لأنهم رأوها تقيد حركة النهضة الفكرية . ولما زاد التراث الأدبي في لغات أوروبا الحديثة (العامية) على توالي الزمن ، قويت حجة الثائرين على اللاتينية لأنهم وجدوا ما يغني الشعوب عن ثقافتها . فلم يبق لها اليوم إلا أثر تاريخي لا يكاد يمس جماهير الشعوب الأوربية في حياتهم .

ولكننا لانخشى على العربية الفصحى أن يكون ما لها هو ما ل اللاتينية ، وذلك يرجع إلى عدة أسباب :

(١) أن العامية لم تستطع إلى الآن أن تتسامى إلى آفاق الفكر العليا ، فإنها لم تزد بعد على أن

تكون وسيلة للتعبير الساذج والأحاسيس البدائية ، ولم يظهر بعد فيها أمثال النواذب الذين أنتجوا روائعهم الخالدة بلغاتهم الأوربية الحديثة الدارجة .

(٢) أن الفارق بين العامية والفصحى لم يبلغ شيئاً يقرب من الفارق بين اللغات الأوربية الدارجة وبين اللاتينية. فما زال التفاهم ممكناً في سهولة بين المثقف وغير المثقف بلغة سليمة بسيطة فصحية .

وهنا موضع الأمل الكبير في الإصلاح .

غير أننا لا ينبغي لنا أن نتجاهل الخطر المائل في لياقة اللغة العامية وصلاحتها كأداة للتعبير الأدبي ، فهو إن كان اليوم من ذلك محدوداً ، فقد يكون غداً أقوى ، وقد تصبح أقدر على الأداء الأدبي السامى من الفصحى إذا فتن الشباب المثقف بالإنتاج الفكرى باللغة العامية وعملت أجيال منهم على الارتفاع بها إلى المستوى الأدبي الذى يجعلها لغة فكر وتعبير صحيح . وليس يجدينا أن نقاوم عوامل الحياة بالعنف والقسر لأن الطبيعة تأبى كل عنف ، وهى أقوى من كل قوة . ولسنا نملك أن نقاومها إلا بأن نطيعها ونعرف أسرارها ثم نتجه بها ومعها إلى حيث نحتاج أن نصل بها . والذى يجعلنا نحرص على اللغة الفصحى واضح لا يحتاج إلى بيان . فلو لم تكن العربية لغة القرآن الكريم ولو لم تكن كنوزنا القديمة هى أكبر ما نملك من ثقافة إنسانية لكان من الهين علينا أن نقبل على هذه العامية بكل جهودنا ، فنسمو بآدابها ونودعها ثمار كل مافى شعوبنا من عبقرية ،

فتصبح هى لغتنا ولاضرر علينا أن تكون لنا لغة ليست هى الفصحى .

ولكن الخسارة التى تقع علينا من وراء هذا التحلل أفدح من كل ما يمكن أن نجنيه فى جهودنا لمدة قرون طويلة . فلسنا نرضى أن نبعد عن لغة القرآن الكريم ولا عن لغة سلسلة الأدباء والمفكرين الذين ندين لهم بأكثر ما عندنا من عناصر السمو . ولنا فوق هذا مندوحة عن هذا التحلل إذا نحن واجهنا المشكلة فى أناة وحزم وتبصر ، وحاولنا أن نجد منها مخرجاً . فهل تمت أمل فى أن نجد ذلك المخرج من المشكلة ؟ لعل فيما نثيره هنا من المسائل ما يوضح لنا الطريق الذى يخرجنا منها .

٢ - العنصر الثانى :

إذا نحن نظرنا إلى اللغة العامية وجدناها هى الأخرى على وشك أن تبلغ فى تطورها إلى انفصال جديد بين لغة المتأدين ولغة العامة .

فلذا نظرنا إلى الأزجال القديمة وجدناها لا تزال سهلة على أكثر العامة يمكنهم فهمها والتمتع بها . ولكنها ليست اليوم من صميم لغتهم ، فقد كانت قريبة إلى الفصحى لا يكاد ينقصها إلا حركات الإعراب .

ولنضرب لذلك مثلاً وهو مواليا قديم ينسب إلى صنى الدين الحلى :

طرقت باب الحبا قالت من الطارق
فقلت مفتون لاناهب ولا سارق
تبسمت لاح لى من ثغرها بارق
رجعت حيران فى بحر أدمعى غارق

وقال :

باحادى العيس أزجر بالمطايا زجر
وقف على منزل احبابي قبيل الفجر
وقعت في حبهام يامن يريد الأجر
ينهض يصلى على ميت قتيل المهجر

...

وقال آخر :

عيني اللي كنت أراكم بها باتت
ترعى النجوم وبالتسديد اقتاتت
وأسهم الين صابتنى ولا فاتت
وسلوته عظم الله أجركم ماتت

...

ولآخر :

هويت في قنطرتكم ياملاح الحكر
غزال يلى الأسود الضارية بالفكر
غض إذا ما انتنى يسبي البنات البكر
ولان تهلل فما للبدر عندو ذكر

...

ومن قول القبارى أبو عبد الله خلف بن
محمد وهو من علماء عصر قلاوون ، قال
في زجل طويل :

ومن أساء لك كن أنت محسن
واستعمل الصبر فهو أنفع
وانظر بلذع النخيل في روضه
يحمل تمره أزهر وأينسج
إذا رجته بحجر يجود لك
بالتمر حتى تأكل وتشبع

قمنا ضربنا مشـلـ وقلنا
كان ليه بتحمل دا الدل كله
تجود بتمرك لمن أساء لك
قال كل من هو يعمل بأصله

...

ثم أخذت لغة الأزجال تنحدر تدريجياً
وتبعد عن الفصحى في لفظها وتركيبها .

فن كلام ابن عروس - وهو من عصر
نهضة الأدب التي أعقبت أيام إبراهيم بك
ورضوان بك وعلى بك الكبير - قال من زجل
طويل :

إن رعيت ارضى نـوار
والمر لا ترضى فيه
وان ركبت اركب مـهار
أصـيل بايدك مـريـه

...

النـدل له طعم مـالح
وله خصايل ذميمة
القـرب منه فضـاحـج
والبعـد عنه غنـيمـة

...

ولكن الأمر لم يخل من السمو إذا كان القائل
من العلماء ، وعلى هذا فالأسلوب والألفاظ
فيهما بعد واضح عن الفصحى .

فن كلام الشيخ الفحام وهو من عصر
محمد على باشا :

قال في زجل رائع :

في بحر حسنك والغرام والجمال
كام في محاسن منهلك من هلك
وإن كان عدولى شبك بالهلال
يابسدر من لا يعرفك يجهلك
في بحر عشقك زاد شجونى شجن
من مدمعى بحر الجوى قد وفى
وجه منادى الشوق على سأل
بالوجد والبلبال وطال واكتفى
ونبت أشجاني لعب به هواك
وصرت غارق في لجاج الهلك
وإن كان عدولى شبك بالهلال
يابسدر من لا يعرفك يجهلك

...

ولكن الأزجال المتأخرة تقرب إلى لغة
العامية ، وإن كانت تلك اللغة لاتزال تسبقها
إلى تطور بعد تطور ، وهى دائماً مستمرة فى
الانفصال عن العربية الفصحى .

فن كلام عبد الله نديم من زجل انتقادى
طويل :

اسمع حكاية تهدى الشوق لابن الدوق
وتعجب الإنسى والجان
رأيت جدع فى إيدى مكبه زى القبه
فقلت أهلا بالمنصان
مديت له إيدى أكشفها لجل أعرفها
قال إرتجع يا شيخ رسلان
فقلت له بدى اتفرج حد مخرج ؟
قال لى تعالى فى البستان

طاوعت شورته ومشينا على رجلىنا
حتى رأينا غصن البان . . . إلخ

...

ومن كلام الشيخ النجار ، وهو من الجيل
الماضى (أواخر القرن الماضى) :

قال في زجل طويل :

ياللى انت فى حسنك عديم المثل
وأنا بحبى فيك ضرب بى المثل
وفى غرامى شرح حالى طويل
لو كنت أحكى لك على اللى حصل
ياللى الغزالة وهى شمس الضحى
من نور ضيا خدك بقت فى خجل
ياللى الغزال من لفتتك فى النفات
ومن سواد عينيك أعاره الكحل
ياللى الغزل فى وصف حسنك غلا
سعره وشعره فيه مذاق العسل
أصبحت من وجدى عليل ياجميل
أهوى الغزالة والغزال والغزل

إلى أن قال :

سحر الجفون طلسم على ناظرى
وما انفتح للوصل باب مطلبه
فى القفر استأنس بوحش الفلا
والدمع زادى كل يوم واشربه
ولدى ذلى وعذب العذاب
ومر صبرى كام حلى مشربه
والجسم من جفنه السقيم صار عليل
ورق من خصره النحيل وانتحل

وقد بدأت في العصر الحديث حركة نحو الارتفاع بلغة الزجل ، ولكن هذا يبعدها من العامة ، وكانت هذه الحركة ترمى إلى إغناء العامية بالأدب الصحيح .

فللأستاذ حسين مظلوم ترجمة طريقة لرباعيات الخيام يقول فيها :

به النائم على فرش الأمل
كم أمل في حلم تفسيره الأجل
فوز بكأس الصفو دى الأيام دول
والحياة يومين مرور يؤم وارتحال
بعد كأس الأنس يوم كأس القدر

غرد الطائر بالحنان النديم
في طلوع الشمس بالصوت الرخيم
املا كاسك واغتم صافي النسيم
دى سنين العمر غايتها الزوال
ما ارتفع طير في السما الا انحدر

ومن هذا المثل يظهر أن اللغة العامية إذا أرادت أن تعالج موضوعاً أدبياً بعدت عن لغة العامة ، فلا هي عربية سليمة ، ولا هي عامية بحتة .

ومن هذه الأمثلة يمكن أن نرى كيف أن اللغة العامية نفسها تتعرض لمثل الخطر الذى تعرضت له اللغة الفصحى ، فهي دائماً في

تطور وتجدد تسير العصور المختلفة إسفاً أو سمواً ، فإذا تخلف فيها نوع من الأدب الشعبي عن عصر من العصور ، لم يلبث أن يبعد كثيراً أو قليلاً عن لغة الكلام في العصور التى تليه .

ولعلنا نستطيع أن نستخلص مما سبق بعض أمور :

(١) أن اللغة العامية ألفاظها عربية على الأكثر مع شئء كثير من التحريف في النطق بقصد التخفيف والتيسير .

(٢) أن أسلوبها قد استقر على صورة اعتادها الناس ، وفي ذلك الأسلوب خلاف كبير للأسلوب العربى الفصيح .

(٣) أن اللغة العامية لا تزال تتطور عصرًا بعد عصر ، وأن هذا التطور ناشئ من حياة الناس ، فهي وليدة الحياة نفسها ، وفيها من المرونة كل ما للكائن الحي .

(٤) أنها أداة صالحة للتعبير الأدبى الساذج ، فإذا أرادت التعبير عن المعانى الدقيقة السامية كان لا مفر لها من الاقتراب من الفصحى .

(٥) أن العامية ليست مجرد مسخ أو تشويه للعربية بل قد أصبحت لغة قائمة بذاتها ، ولها قواعدها وأصولها . وإذا شذ عنها شاذ عد ذلك خروجاً عن طريقة مقررة .

وهنا لابد أن يعرض لنا سؤال طبيعى ، فإذا كانت العامية قد تطورت حتى بلغت هذا المدى فهل من الممكن أن نقف هذا التطور ؟

فهناك الألفاظ المحرفة والدخيلة . وهذه أهون المشاكل ، لأنه لا يتعذر أن ترد الألفاظ إلى الصحة وأن يقبل من الدخيل مالا غنى عنه .

ولكننا نصطدم بعد ذلك بعقبات أكبر من هذه الألفاظ . فهناك قواعد العامية وأساليبها التي استحدثتها في تطورها وهي لصيقة بحياتنا نفكر بها ونتحدث ويفضى بعضنا إلى بعض بخلجات نفسه بوساطتها . فالتغلب على ذلك يتطلب هدماً ثم بناء . وستبقى هذه الأساليب العامية المستقرة دائماً ماثلة في الأذهان تسبب العثرات وتجذب المتكلمين والكتاب إليها .

ولكن ليس معنى هذا أن الأمر قد استعصى على العلاج . فلإننا إذا درسنا بكل قواعد العامية وحصرنا كل خصائصها كان من الممكن القصد إلى كل واحدة من هذه الخصائص لعلاجها . ونرى أنه من الضروري في هذا الأمر أن نتوصل في العلاج بالرفق والتدرج ، وأن نعمل على تيسير الأساليب الصحيحة بحيث تكون قريبة إلى التعبير الطبيعي ولا سيما فيما نكتبه للصغار الناشئين . فهذا التدرج وحده هو الذي يمهّد السبيل إلى جعل لغة الكلام تقترب من اللغة الفصحى .

وهنا موضع بعض أسئلة لانجد بدا من طرحها :

(١) كيف يمكن التغلب على الصعوبة الكبرى وهي أول صعوبة قابلت المتكلمين بالعربية — أعني صعوبة الإعراب وخصوصاً

حركات أواخر الكلمات ؟
(٢) ألا يمكن أن نقبل في الفصحى غير ما يصح في لغة قريش ؟

(٣) هل نجعل الأصل هو منع مالم يستعمل في الفصحى من قبل أم نجعل الأصل إجازة كل ما يمكن إجازته ، مادام قائماً في لغة الحياة ؟

(٤) ألا يمكن أن نتجرد من التحيز إلى أساليب القدماء في الكتابة والتعبير إذا كانت لاتعبر حقاً عن إحساسنا وتفكيرنا ؟

إن الأسلوب ماهو إلا قالب الذي نصوغ فيه أفكارنا ونصور فيه مشاعرنا . فهو من إملأ الإحساس والنفس . ويمكنني شخصياً أن أقول إن كثيراً من الأساليب العامية أصدق أداء للمشاعر من بعض الأساليب القديمة . فوضوح الصور وتتابع الأحاسيس لاتحتمل التقييد بأسلوب تقليدي .

ولو استطعنا أن نتجرد من قيود الأساليب المنقولة لسهل علينا تطوير الفصحى بحيث تقترب من العامية خطوة جريئة في الطريق السوي ، بغير أن يعود ذلك بضرر على الفصحى بل يكسبها قوة وشباباً .

هذه إشارات قليلة إلى موقف العامية من الفصحى ، لم أقصد بها سوى أن أثير بعض مشاكل لتكون موضعاً لبحث أعمق وأجدى وتفكير أدق وأحصف .

تقرير لجنة العامية والفصحى

عرضه حضرة العضو المحترم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

قرئ على هيئة المجلس في أواخر الدورة الماضية بحث في موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى، ورأى المجلس أن يجعل موضوع ذلك البحث من بين ما يعرض على المؤتمر في مفتتح هذا العام .

وكان ذلك البحث عبارة عن تتبع تاريخي لنشأة اللغات العامية من أمهاتها الفصحى والعوامل التي تؤدي إلى ذلك وكيف نشأت اللغة العامية العربية من الفصحى وما طرأ عليها من تغيير في ألفاظها وأساليبها .

ولاحاجة بنا إلى بيان ما قد ينتهي إليه الأمر من وجود لغتين في أمة إحداهما للحديث والمعاملات اليومية والأخرى للكتابة والتعبير عن الآراء والمشاعر الدقيقة . فإن الفرق الذي بين لغة الحياة اليومية ولغة الفكر إذا زاد واتسعت معه شقة الخلاف بين المتخاطبين باللغة العامية وبين الكاتبين باللغة الفصحى لم نلبث الأمة أن تنقسم في ثقافتها إلى قسمين متباينين : قسم منهما يتمثل في القلة المثقفة التي أتت لها تعلم الفصحى والإلمام بما فيها من آثار الفكر السامي والفن الرفيع، وقسم آخر يتمثل في عامة الأمة ممن لم يستطع أن يتعدى حدود اللغة العامية الشائعة في الحياة اليومية والمعاملات

ونحن نعيش في عصر شعاره الديمقراطية والتضامن الاجتماعي، فلا يمكن أن تستقر حياتنا الحديثة على مثل هذا الانقسام في الأمة الواحدة فإن المفكرين والأدباء ونوابغ الفن إنما هم رواد الحياة ولا قيمة لهم إلا أن تكون أفكارهم وأن يكون أدبهم وفهم هبة للكافة يؤثر في عامة الناس وخاصتهم على السواء . ولاتستطيع أمة أن تشارك في الحياة السليمة في وقتنا هذا إلا إذا كانت تسيرها كتلة واحدة يشيع فيها روح واحد وتثأثر بتيارات فكرية وعاطفية واحدة .

من أجل هذا كان من واجب كل حريص على سلامة الحياة في مصر والبلاد المتكلمة بالعربية أن يعمل على رتق ذلك الفتق الذي أصاب الألسنة العربية، حتى تتمكن أفكار قادة الفكر أن تصل إلى صفوف الأمة جميعاً وتتجاوب أصداء التفاعل بين المفكرين والأدباء وبين كتلة الأمة، ويزول ذلك الحجاب الذي كان ولا يزال يفصل بين القلة المفكرة الشاعرة وبين الكثرة العاملة المنتجة .

إن أكبر عيب نشكو منه في آدابنا وفنوننا وأفكارنا في الشرق العربي الحديث هو أن آدابنا وفنوننا وأفكارنا محصورة في دائرة ضيقة تقتصر على عالمها الضيق المحدود .

فأدبنا لا يزال في برجه المغلق لم يستطع بعد أن يتصل بالحياة اتصالاً وثيقاً ، مع أن ميدانه الطبيعي الأكبر هو تلك الحياة دون غيرها . ولا يزال جمهور الأمم العربية يعيش بمعزل عن ميادين المفكرين والأدباء والفنانين ، فإذا هو حاول أن يقرب منها قامت دونه موانع كثيرة أهمها أن اللغة التي يعبر بها المفكرون بعيدة عن إدراكه ، فإذا هو أدرك منها طرفاً كان غامضاً لا يستأثر بوجدانه ، فيرتد عنها عاجزاً خائباً قانعاً بما يجده في لغته العامية من أدب ضئيل سطحى ، ومن أفكار متخلفة من عصور الجحود والحمول واليأس الماضية .

وقد أشار البحث الذى ألقى في أواخر العام المنصرم إلى الخطورة التى تنطوى عليها هذه الحال . فإن جمهور الأمة لا يستطيع أن يعيش بغير غذاء من الفكر والعاطفة ؛ فالفراغ محال فى الوجود ، وإذا لم يمتلئ الفضاء بالهواء الصافى الذى يبعث الحياة فلا بد أن تملأه مادة أخرى لا تحتوى على ما يحتويه الهواء الصافى من عناصر الحياة . وتدل ظواهر الأحوال على أن اللغة العامية قد أخذت تستحدث لنفسها أدباً مستقلاً وإن كان متصفاً بالسطحية والفضالة وقد كانت العامية فى أول الأمر قريبة من الفصحى ثم زاد البعد واتسع الخلاف بينهما على مر العصور . فإذا لم يجد جمهور الأمة سبيلاً إلى الأدب الصحيح والفكر السليم والفن السامى لم يجد أمامه إلا أدبه الضحل . فلما أن يتاح له من المفكرين من يرتقى به فى اللغة العامية فيزيد بذلك الشقة بين الفصحى والعامية

ولما أن يبقى الجمهور فى سجن أدبه الضئيل السطحى . وكلا الأمرين شر لاشك فيه . فى الحالة الأولى — إذا ما أتيح للعامية من المفكرين والأدباء من يرتقى بأدبها وفنونها انتهى الأمر إلى القطع بين حاضرتنا وماضينا ، ولم تلبث البلاد العربية أن يستحدث كل منها لغة تستقل فينقطع ما بينها من روابط لاشك أنه من الخير أن تستمر وتقوى . وأما فى الحالة الثانية — إذا لم يتح للعامية من يرتقى بأدبها وفنونها بقيت جماهير البلاد العربية فى حالة من الحرمان الفكرى والعاطفى ، فلا هى قادرة على إدراك الفصحى السابقة إدراكاً كاملاً ولا هى تجد ما يغنيها فى لغتها العامية ، وبذلك لا تستطيع أن تتضامن مع القلة المفكرة فى بناء حياة حديثة سليمة .

فالطريق الواضح هو بغير شك أن تكون لغة الفكر ولغة الحياة واحدة ، أو على الأقل أن تكون لغة الفكر قريبة سهلة التناول يستطيع الكافة أن يدركوا كل ما بها من ظلال المعانى .

وليس هذا الاتجاه جديداً ، فقد بدأ المفكرون يتجهون إليه من عهد بعيد ، وبذلت جهود كبيرة مشكورة فى سبيله . ولكن الأمر ما زال محتاجاً إلى أن نستقر فيه على رأى قاطع ، وأن نتجه إليه مستوضحين غرضنا ووسائلنا . ويخيل إلى أن الطريقة المثلى هى أن نعرف أولاً هذه اللغة العامية التى يتكلم الكافة بها ، فنحن وإن كنا نستخدمها فى حياتنا اليومية لا نعبأ إلا قليلاً

العقبات التي تعرّض سبيل إصلاح لغتنا، وهان علينا التقريب بين العامية والفصحى .

لست في حاجة إلى البرهان على أن اللغة العربية الفصحى كانت في صورتها الأولى من أوضح اللغات وأبسطها أسلوباً . ولكن جاء وقت على كتاب العربية كانوا يتعمدون فيه أن تكون كتابتهم بعيدة عن الساطة والسلاسة التي كان العرب الأوائل يتكلمون بها .

ولست أريد أن أطيل في تفصيل مالا ضرورة للإفاضة فيه من هذا المعنى، وحسبي أن أقتطف لحضراتكم بعض فقرات من كتاب لأحد أفاضل الكتاب (عليه رحمة الله) وقد كان معتبراً من فحول الكتاب في عصره، ولا يزال بعض المتأدبين يحتنون حذوه ويعدون له إماماً .

جاء في أحد كتبه في مقال يتحدث فيه عن الفقر والفقراء :

«أظنهم (أى الأغنياء) يقولون إن في الأرض شيئين بمعنى واحد : قبور الأموات في بطنها وأكواخ الفقراء على ظهرها . وليس من فرق بينهما في النسيان لأنه يشملهما جميعاً . وإنما الفرق بينهما في حالتهما المتناقضتين ، هذا قبر ميت وهذا قبر حي ، نعم صدقوا وبروا وقالوا حقاً : أليسوا جفاة القلوب غلاظ الأكباد ؟ وإلا فما الفرق بين موت منسى كموت الغريب وحياة منسى كحياة الفقير إلا على الفرق الذي لا يبالي به هؤلاء الأغنياء حين يكون لأحدهم ظاهر حي وضمير ميت» .

بدراسة حقائقها وخصائصها ، ولا أقل من أن نعدّها بمثابة العليل الذي نحاول أن نجد له سبيل الشفاء، ولا يمكن أن يوصف دواء لعليل حتى نعرف مواطن علته أولاً . ماهذه العامية؟ وما مقدار بعدها عن الفصحى في ألفاظها؟ وما مقدار بعدها عن الفصحى في أساليب تعبيرها؟

ولأنه لمن دواعي الغبطة أن البلاد العربية تظهر أعظم الاهتمام بكل ما يتصل بلغتها : وقد بلغ من ذلك الاهتمام العظيم أن الناس يغضبون لكل ما يُشتم منه أن هناك محاولة للمسّاس باللغة العربية الفصحى من قريب أو من بعيد، حتى أنهم ليذهبون أحياناً مع الوهم في تصور المسّاس باللغة العربية ، مبالغة منهم في الحرص على سلامتها . وهذا بغير شك مما يغتبط به كل حريص على اللغة الفصحى، فإن احترام الشعب لغته وغيرته عايبا هما أقوى ما يحفظها وفيهما أكبر ضمان لحيويتها .

فالآراء كلها متفقة على أن الواجب حفظ اللغة الفصحى وتعميمها حتى تكون لغة الشعوب العربية جميعاً . كما أنه من المتفق عليه أن تكون هذه اللغة الشريفة سليمة بليغة تؤدي وظيفتها في ربط الأفكار والاتصال الوجداني بين كل طبقات الشعوب المتكلمة بها .

ولكن هناك نوعاً من الغموض حول ما يقصده الناس إذا هم تكلموا عن العربية الفصحى ، وأغلب ظني أننا إذا اتفقنا على معنى الفصاحة زالت من سبيلنا عقبة من أكبر

وقال في موضع آخر:-

« ففقر فلان التاجر الغنى مثلاً ليس هو في الحقيقة أن لا يصيب القوت ولا يجد المأوى كغيره من الفقراء وإنما هو المتاجرة في الآمال بعد الأموال ، وقبض الريح بعد قبض الربح واستقبال الأبواب والجلوران بعد استقبال الأصحاب والجيران ، وهلم من هذا الباب الذي يفتح من جهة الغنى على سائر الجهات الثلاث للحياة البائسة وهي الفقر والمذلة والألم . وإنما هو رجل ككل رجال المال متى خرج المال من يد أحدهم خرج سمه من أفواه الناس وخرج حبه من قلوبهم الخ ... »

وقال في موضع آخر :

« هذا هو الفقر في أو هامهم . ولكن لاتنس أنه فقر فقط . فقر المال المترابط في مكانه أو الداهب في حلق الأرض وبين أضلاعها . أما سائر الناس فهم عند هؤلاء أهل دعوى يُزنون بكل ريبة ويقرفون بكل تهمة إذ ينتحلون الفقر ويدعونه ليعادوا نعمة الغنى بالحسد . فالجوع فقر والمرض فقر والتعب فقر والضجر فقر واشتهاء ما ليس هم فقر وقلة الأصحاب فقر ، وحتى لو أن أحدهم استنطته زوجه لنسب ذلك إلى الفقر . وبالحيلة فكونهم ليسوا كالأغنياء هو الفقر . »

وقال في حديث له عن التوفيق بين قوة الفرد وقوة المجموع :

« غير أن هذه الوسائل (أى وسائل التوفيق

بين قوة الفرد وقوة المجموع) لم تكن ولا تزال إلى عهدنا - عهد الاشتراكية العلمية - إلا ثورات مهما كانت فإنها أشبه شيء بمجموع الحيوان إذ يحمي أنفه فيجمع ثم يسترسل في جاحه ثم يشتد ثم يعتز صاحبه على رأسه ويملك نفسه منه . ثم ماذا ؟ ثم يسكن مكرها بعد أن جمع راضياً . فان لم يسكته الألم من صاحبه أسكته التعب من نفسه ، لأن التخلص من شيء في فطرة الإنسان وانتزاعه من فورة في نفسه لا يكون بالتخلص من الإنسان بعينه . »

ولو شئت أن آتي بأمثلة كثيرة من هذا الصنف لخرجت عن الحدود في مثل هذا البحث .

وخسبي أن أقول إن العرب لم يكونوا في أول الأمر يتحدثون بمثل هذه الأساليب . لقد كانوا يتكلمون على أسلوبهم الطبيعي الساذج ليعبروا عن المعاني التي يحسونها ويسمعوا من أرادوا أن يبلغوه ما عندهم من تلك المعاني .

ولو أننا قرأنا ما ألفه الشعراء من الشعر في الجاهلية لما وجدنا في اللغة العربية غموضاً ، إلا أن يكون لفظ قد أهمل اليوم وكان من قبل معروفاً ، فصار عنا غريباً بعد أن كان عندهم مألوفاً .

ولست في حاجة إلى ضرب الأمثال من ذلك فالأمر واضح لا يحتاج إلى برهان .

قال امرؤ القيس :-

فما نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمال
ترى بحر الآرام في عرصاتها
وقيعائها كأنه حب فلفل
كأنى غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحى ناقف حنظل
وقوفا بها صمى على مطيهم
يقولون لاتهلك أسى وتجمل
وإن شفتائى عبرة أن سفتها
وهل عند رسم دارس من معول
وقاضت دموع الغين منى صباية
على النحر حتى بل دمعى محملى
الخ .

فهذا الشعر على ما فيه من غرابة بعض
الألفاظ لا عوج في أسلوبه ولا تكلف، فإنى
أستطيع أن أترجمه إلى اللغة العربية الحديثة
السهلة بغير أن أبدل موقع كلمة من جملة ،
اللهم إلا أن أضيف لفظاً هنا أو أ حذف لفظاً
هناك .

فإذا نحن تحدثنا عن اللغة الفصحى كان
أجلد بنا أن نتحدث عن هذه الفصحى
السلسة الصحيحة لا عن تلك الفصحى المزيفة
التي لجأ إليها الأعاجم متأثرين بأساليب لغاتهم
العربية ، فانحرفوا بها عن مسالك العربية
الأصلية .

وأستطيع أن أقول أن أساليب اللغة العربية

الفصحى ما تزال حية بيننا في عاميتنا لأننا ورثة الذين
كانوا يتكلمون بالفصحى . حتماً إن أساليب
اللغة العامية قد دخلها كثير من التحريف
والتبديل على توالى العصور . ولكنها في روحها
وتكوينها عربية لا شك في عروبتها . فإذا أمكن
أن نشك في لغة بعض الكتاب ونشك في
نسيئها إلى العربية السهلة الفصحى فإننا لانستطيع
أن نشك في الألسنة التي تتوارث التعبير جيلا
بعد جيل .

فاللغة العامية في الشعوب العربية جزء من
تراث أجدادنا العرب الخالص وإن كان ذلك
التراث قد دخل إليه التحريف والتبديل كما
قدمنا .

والطريقة السليمة لإصلاح ما دخل عليه
الفساد هو أن ننظر إلى هذه اللغة الموروثة في
صفوف الأمة ونعمل على درسها كما أشرنا إليه
من قبل ، حتى نتبين منها الصحيح والفساد وحتى
نعرف مدى ما داخلها من ذلك التحريف
والتبديل .

وقد سبقت نخبة من الفضلاء الغيورين
على اللغة العربية فأقبلت على اللغة العامية تدرسها
وتحاول أن ترد ألفاظها وعباراتها إلى السلامة
وقد سمعنا طرفاً من هذه السيرة في حديث
حضرة العضو المحترم فضيلة الأستاذ عبد التامر
المغربى في مفتح هذه الدورة ، وقد
نستطيع أن نقول كما قال حضرته إن أكبر
جهود هؤلاء الفضلاء قد ضاعت سدى . فما
هى العلة التي حالت دون وصولهم إلى القصد
الذى كانوا يقصدونه ؟

يلوح لنا أن السبب في ذلك أن بحوثهم كانت تنجبه إلى أشياء مفردة تعرض لهم عفو الخطأ في مناسبة من المناسبات . فإذا خطر لهم خاطر في شأن لفظ من الألفاظ العامية عطفوا عليه وحاولوا أن يجدوا لفظاً آخر فصيحاً يحل في مكانه ، والطريقة التي يلوح لنا أنها الطريقة المثلى هي أن ننظر إلى العامية في مجموعها وأن نمسحها مسحاً كما يمسخ المهندس ميداناً من الميادين ليعرف حدوده وخصائص سطوحه ومعادن أرضه .

فإذا ما تبين للباحثين مدى العامية من خصائص وطبائع أمكنهم أن ينظروا في الحقائق التي تبدو لهم وتكون عند ذلك أحكامهم شاملة سليمة .

ويلوح لنا في هذا الموضوع بعض أصول نرجو أن نعرضها للمناقشة لعلها تكون جدرة بأن تتفرع عنها أحكامنا :

(١) فالألفاظ والعبارات ما هي إلا مطايا للمعاني والمشاعر الإنسانية . فإذا أردنا أن نصل بها إلى حيث نريد كان أول ما نقصده منها الوضوح والتحديد .

والألفاظ ليست تلك القطع الجامدة الميتة التي نجدها دفينة في القواميس لكل منها معنى يعبر عنه لفظ آخر من نفس عالمه بل هي كائنات حية وإن كانت حياتها في عالم الصور .

فإذا نحن أخرجنا الكلمة من عالمها ونزعناها من صورها لم تلبث أن تصبح جسداً هامداً

كالحيوان المائي إذا أخرجناه من عنصره . والكلمة كذلك يعثر بها ما يعثر كل كائن حي من التأثير بما يحيط بها في عالمها . وليس من الوهم أن نقول أن لكل كلمة حالة تحيط بها في عالمها تجعلها تحمل من ظلال المعاني الدقيقة ما لا يمكن أن تحيط به التعريفات في قواميس اللغة .

فإذا نحن نطقنا بالكلمة أو استعملناها في كتابتنا ، حملت معها تلك الظلال الدقيقة ، وأثارت في الأذهان صوراً تحيط بها ظلال من المشاعر التي تثيرها حالتها . واسمحوا لي أن أعرض مثالا من اللغة الفصحى يوضح هذا المعنى :

قال الشاعر يذكر أخاه بريداً وقد هلك :

أحقاً عباد الله أن لست لاقياً
بريداً طوال الدهر ما لألأ العفر

وقوله طوال الدهر ما لألأ العفر تحمل للسامع صورة العفر وهي ترعى في الأودية المعشبة وهي لا تدري أن بريداً وأخاه يرصدان لها ويعدان الدهام لرميها . فالشاعر إذ يذكر أخاه ويمزن لأنه لن يراه طوال الدهر يدخل في قوله ذكر هذه الظباء العفر التي كانت تلتألي بأذنبها إذ هما يمرحان معاً في الأيام الصافية في الصحراء القسيحة ذات الهواء الصافي والشمس اللامعة - وذلك اللفظ يعبر عما أحسه الأخوان في حياة بريد من نشوة الشباب والحياة . ويعبر عما أحسه الشاعر من اللوعة إذا ما تذكر أخاه الفقيد الذي كان يتمتع في صحبته بمثل هذه اللذة البارة .

وهكذا كل لفظ يحمل حوله من الصور ما يتداعى في الأذهان كلما ورد في عبارة ويحمل من المشاعر ما تثيره تلك الصور في القلوب . والاستعمال في الحياة هو الذى يحمل الألفاظ تلك الظلال الدقيقة من المعانى فكأما كان اللفظ أكثر استعمالاً في الحياة كانت الحالة المعنوية التى تحيط به أكثر اتساعاً وظهوراً .

ولهذا يمكن أن نقول إن اللفظ المستعمل في الحياة هو الأداة القوية في التعبير الواضح الحى . ومن ثم كانت الألفاظ الشائعة بين الناس هى المفضلة عند من يريد الدقة ووضوح التعبير في البيان .

فإذا نحن سلمنا بهذا الأصل أمكن أن نخلص منه إلى نتيجة هامة ، وهى أن اللفظ المستعمل على ألسنة الناس إذا كان عربياً فصيحاً كان أولى الألفاظ بالاستعمال لأنه اللفظ الواضح المحدود المعنى ، ولا بد أن نعبد إليه اعتباره فلا نعهده سوقياً ولا مبتذلاً كما يفعل بعض كتابنا .

وأما إذا كان اللفظ غير فصيح كان أولى بنا أن نرده إلى صورته السايمة مع بقائه للدلالة على معناه فهو أولى من أى لفظ غير معروف للناس نستخرجه من القواميس ليحل في مكانه .

هذه هى النتيجة الأولى التى نبسطها وهذابتأتى لنا إذا نحن درسنا كل ألفاظ العامية شيئاً بعد شيء حسب نظام شامل نقصد به الاستيعاب والاستقصاء .

وهناك أصل آخر نبسطه لكى نرتب عليه نتيجة أخرى : فإن الحياة قد دعت إلى استعمال كثير من الألفاظ الجديدة بين أفعال وأسماء وحروف ، وإذا نحن مسحنا اللغة العامية ذلك المسح الشامل الذى أشرنا إليه ودرسنا ما تستعمله الأقطار العربية في شرق العالم وغربه أمكن أن نعرف الأنواع الآتية من الألفاظ :

١ - الألفاظ التى تستعملها الشعوب العربية جميعاً أو تستعملها كثرة من تلك الشعوب ولا ذكر لها في كتب اللغة . وهذه تدعو الضرورة إلى إدخالها في اللغة لأن شيوعها في الأقطار العربية قرينة على أنها عربية الأصل وإن أغفلتها كتب اللغة . واسمحوا لى أن أعرب عن معنى كثيراً ما يدور في نفسى ، وهو أننا نعتمد على قواميس اللغة اعتماداً كلياً ، فما ورد فيها آماناً به ولم نقف لحظة لنناقش فيه ، مع أن الإنسان لم يوهب العصمة ، وقد يفوت أصحاب القواميس جميعاً أن يحيطوا بما يستعمله العرب في حياتهم ويمكن أن تقطع بأن اللغات المستعملة في البلاد العربية تحتوى على كثير من الألفاظ التى لم يهتد أصحاب القواميس إليها ، فاستعمال لفظة في كثير من الأقطار العربية قرينة على عروبته أقوى من دلالة القواميس وماورد فيها .

٢ - الألفاظ التى لاتستعمل إلا في قطر واحد من الأقطار العربية . وهذه إذا كانت تعبر عن معان لا يوجد في العربية ما يحل محلها نظر في إدخالها إلى اللغة ، أما إذا وجد عنها بديل في اللغة الفصحى أحل في مكانها وأذيع على ألسنة المتكلمين وأقلام الكتاب . وقد أخذت في سبيل دراسة يسيرة للغة العامية أقصد

أن أبين بها نموذجاً لطريقة مسح اللغة العامية .
وهي وإن كانت دراسة أولية ضحلة يمكن
أن تشير إلى نوع من النهج الذى قد يوصلنا
إلى غاية محدودة. فقد بدأت بالأفعال الثلاثية
العامية وأثبت ما أعرفه منها فى اللهجة القاهرية
بحسب الطاقة فى الإثبات ، ويقدر ما وصل
إليه علمى بتلك اللهجة القاهرية . واستخلصت
من ذلك بعض نتائج سأعرض على حضراتكم
طائفة منها . فإذا نحن فحصنا هذه الأفعال
فحصاً تاماً عرضناها على البلاد العربية
الأخرى ، وقرنا بها ما هو مستعمل فى اللهجات
الأخرى فى غير القاهرة ، لعنا . فنصل من
هذه المقارنة إلى ما نبغى من النتائج التى تساعد
على السمو بالعامية وتقريب اللهجات فى شتى
البلاد العربية . وسأعرض على حضراتكم بعض
النتائج التى استخلصتها من بحث مجموعة
الأفعال الثلاثية التى سبقت الإشارة إليها :

١- أحصيت مجموع الأفعال الثلاثية
العامية التى وصل إليها جهدى فى الإثبات
فوجدتها ١٧٥٦ فعل .

وقد وازنت بين هذا العدد وبين عدد
الأفعال الثلاثية فى اللغة الفصحى فوجدت
الفرق. عظاماً ، فإن عدد الأفعال الثلاثية فى
قاموس متوسط كالحيط (بحسب طاقى فى
الإحصاء) قد بلغ ٤١٨٠ فعل .

وقد وازنت بين عدد الأفعال الثلاثية
العامية وبين الأفعال الثلاثية فى قاموس صغير
كالمصباح المنير فى البابين اللذين أولها حرفا
الهمزة والياء ، فوجدت أن عدد الأفعال

العامية المبدوءة بالهمزة ٢٣ ، فى حين أن عدد
الفصحى فى ذلك القاموس ٦٠ ، وأن عدد
المبدوءة بالياء فى العامية ٧٥ فى حين أن عدد
الفصحى منها ٩٧ .

فالأفعال الثلاثية فى العامية أقل بكثير من
الأفعال الفصحى ، ومعنى هذا أنها تقصر عن
أداء كثير من المعانى التى يمكن أن تؤدي
بالفصحى . وهذا نقص واضح يدل على أن
الضرورة تقضى بأمرين : الأول - تصحيح
كل ما يمكن تصحيحه من الأفعال العامية
وتداولها ، ثم يعمل على إذاعة استعمال كثير من
الأفعال الثلاثية الفصحى التى لا تظاير لها فى
اللغة الشائعة حتى تتداولها الألسنة فى الحياة
اليومية ، وبذلك تصحح اللغة المستعملة وتريد
ثروتها وتكون أقلر على الأداء .

٢- وجدت أن العامية قد أدخلت مجموعة
من الأفعال التى لا أصل لها فى العربية . وبعض
هذه الأفعال يمكن إرجاعه إلى أصول أجنبية
والبعض الآخر يحيط به إبهام لا يسهل استجلاؤه .

فإذا كان الفعل مستعملاً فى كثير من
الأقطار العربية كما أشرت من قبل كان من
المستحسن أن نعهده عربياً وإن لم يكن مكتوباً
فى كتب اللغة كما تقدم . وأما إذا لم يكن مستعملاً
إلا فى قطر واحد فإذا كان فى الفصحى ما يغنى
عنه ويمكن أن يسهل على الألسنة فى الاستعمال
عملنا على إحياء ذلك الفصيح وإماتة الدخيل ،
وأما إذا كان لا يوجد فى الفصحى ما يغنى عنه
أدخلناه فى اللغة ما دام قد صقل فى الاستعمال
وأصبح فى صورة عربية مستساغة .

ويلبها ما كان على وزن فعل يفعل مثل :

نصّر ينصّر - قعد يقعد - فرك يفرّك -
... الخ ، وعدد هذه الأفعال (٤٧١) .

وبلى ذلك ما كان على وزن فعل يفعل -
مثل ضرب يضرب - فتح يفتح - منع يمنع الخ .
وعدد هذه الأفعال ٣٥٣ فعلا ، وبما يلاحظ
أن أكثر هذه الأفعال حلقية العين أو اللام
كما هو الحال في باب فتح في الفصحى .
فالشبه هنا عظيم وهو ناشئ من أن فتح عين
المضارع الحلقى العين واللام أمر تقضي به الطبيعة
وليس مجرد اتفاق وسماع وبلى ذلك في الكثرة
الأبواب الآتية :

فعل يفعل : مثل ركب يركب ،
كبر يكبر ، فرح يفرح ، وعدد أفعال هذا
الباب ١٠٨ .

فعل يفعل : مثل قدم يقدم ، وتثمر
يتثمر ، قصر يقصر ... الخ . وعدد أفعال
هذا الباب (٩٥) .

ويلاحظ أن أكثر أفعال هذين البابين مما
يدل على قيام الصفة لإحداث الفعل ، وهذا
هو الشأن في أكثر أفعال بابي فرح يفرح ،
وكرم يكرم ، في الفصحى . فإن كثيراً من
الأفعال التي على وزن فرح وكرم تدل على
قيام الوصف في الفاعل مثل هرم وكبر
وصغر . وقد يكون للفعل الواحد صيغة على
وزن فعل وأخرى على وزن فعل ويكون
معنى الصيغة الأولى وهي فعل أن الفاعل أتى

ويمكن أن أعرض هذه الأمثلة من الأفعال
التي أولها حرف الباء :

بصم . بصّس . بطح . بطّط . بلص . بلف .
بهط .

ويمكن النظر في مثل هذه الأفعال بعد
المقارنة مع الأفعال المستعملة في الأقطار
الأخرى فلعلنا نجد فيها ما لانستغنى عن إدخاله
في لغتنا .

٣ - وجدت أن الفرق ضئيل بين الأفعال
العامية والفصحى . فلا تزال العامية محتفظة
في أفعالها بكثير من دلائل الفصاحة مع تحوير
قليل كما سنبين بعد هذا .

فأوزان الأفعال العامية هي الأوزان المعروفة
في الفصحى ، فالماضي في الغالب على وزن
فعل والمضارع في الغالب على أوزان يفعل
ويفعل ويفعل . مع فارق واحد هو كسر حرف
المضارعة في لهجة القاهرة وضمها في بعض
اللهجات الأخرى فنحن نقول نصر ينصر
فتح يفتح منع يمنع ... الخ .

وقد أحصيت عدد الأفعال الصحيحة التي
أولها حرف الباء فوجدتها (٤٥) من جملة
الأفعال وعددها (٧٥) وأما باقي الأفعال
فمحرقة ماعدا خمسة أفعال لا أصل لها في
الفصحى .

٤ - وأكثر الأفعال العامية على وزن فعل
يفعل وعددها (٧٣٥) فعلا مثل :

كتب يكتب - جلس يجلس - حبس
يحبس - ... الخ .

بالفعل ومعنى الصيغة الثانية (فعل وفعل) أن الفاعل متصف بالوصف فيقال مثلاً خزن الشيء ويقال خزن اللحم إذا تغير، ويقال ركن إليه إذا مال وركن الشيء إذا سكن، ويقال صرم الشيء قطعه وصرم صار قاطعاً، ويقال نذل الشيء نقله وندلت يده إذا اتسخت من أى شيء نقلته أو تناولته وهكذا.

فالشبه عظيم هنا مع فارق في ضبط حركات الأفعال بين العامية والفصحى.

وهناك أفعال قليلة من أوزان أخرى تكاد تكون في حكم الشاذة: أولاً - فعل يفعل مثل كذب يكذب، ولبس يلبس، ومسك يمسك، ومشى يمشى، وجرى يجرى، وتكاد هذه الأفعال تكون «مثله الوحيدة». ثانياً - فعل يفعل وأظنها لهجة غير شائعة فقد يقول البعض قدّم يقدم، كبر يكبر. ولا يوجد في العامية فعل يفعل كما أنه لا يوجد في الفصحى فعل يفعل.

فالأوزان في العامية هي خمسة وكلها من الأوزان المعروفة في الفصحى وليس هناك من فارق إلا باب كرم يكرم فلا نظير له في العامية القاهرية.

٥ - الفعل المضارع العامي الذي على وزن يفعل بكسر العين كثيراً ما يستعمل للتعددية وذلك أنه في الأصل مضارع الفعل المتعدى بالهمزة ولكن العامية كثيراً ما تحذف الهمزة وتعمل الماضي ثلاثياً.

فالزعل بعد يبعد في العامية هو اللازم ولكن بعد الشيء يبعده متعد وكذلك مثال تلف الشيء يتلفه وتلف الصبي الشيء يتلفه. وكثيراً ما يحل المضعف في الماضي محل المهموز، فيقال دخل

ولا يقال (أدخل) ويقال في المضارع يدخل ويقال قعد فلان الناس وخرج ولبس الخ ٦ - يوجد في العامية كثير من آثار اللهجات العربية غير القرشية. فكسر حرف المضارعة لغة الحجاز في بعض صيغ الأفعال، فيقال أبى يابى وقد جعلتها العامية قاعدة مطردة. وفي لغة طيء يقال بقا يبقى بدلا من بقى يبقى. وكذلك نسا ينسى وفنا يفنى. والعامية تتبع هذه اللهجة.

٧ - تتساهل العامية في أوزان المضارع فتجوز استعمال صيغتي يفعل ويفعل للفعل المضارع فيقال مثلاً برك يبرك وبرك يبرك ويقال برم يبرم وبرم يبرم. ويقال كتب يكتب وكتب يكتب صقل يصقل وصقل يصقل وطمر يطمر وطمر يطمر. وهذا التساهل موجود في الفصحى، فالقاعدة المتبعة في العربية أن كل فعل لم يرد له وزن سماعى على فعل يفعل أو فعل يفعل يجوز في مضارعه الرفع والخفض.

٨ - تميل العامية إلى التبسيط وجعل القواعد مطردة بغير استثناء كثير، فهي تثبت في المضارع فاء الفعل إذا كان معتلا بالواو مثل وعدته أو وعدّه ويقال وضع يوضع، وضح يوضح الخ مع أن العربية الفصحى تفرق بين أمثال وعد ووضع فتسقط منها الفاء في المضارع فيقال يعد ويضع في حين أنها تثبت الفاء المعتلة بالواو في أفعال أخرى مثل وحيت المرأة توحىم وولع يولع ووهيم يوهيم... الخ.

هذا شيء مما تيسر لي بحثه في هذه الشهور الماضية منذ ألقيت بحثي السابق على هيئة المجلس الموقر لم أقصده إلا أن أبين أننا إذا قصدنا

إلى دراسة اللغة العامية وتوفرنا على معرفة خصائصها أمكن أن نخرج من بحثنا على طائفة من النتائج لما دلالة وفائدة في إصلاح لغتنا.

فاذا نحن بدأنا مثلاً بالأفعال الثلاثية حتى فرغنا منها عمدنا إلى الأفعال الرباعية المجردة ثم الأفعال المزيدة ثم المشتقات ثم الأسماء والحروف، وكلما فرغ البحث من طائفة أخذنا في الإعداد للموازنة والمقارنة باللهجات الأخرى غير لهجة القاهرة .

وقد ينتهى بنا الأمر إلى إعداد قاموس للألفاظ العربية الصحيحة التى يحتاج إليها الناس فى كل البلاد العربية ويستعملونها فى حياتهم ، فتكون هدية للمعلمين تساعد فى تعليم الأجيال من النشء، كما أنه يكون هادياً لمن أراد الكتابة بحماير الأمة .

وقد نظرت اللجنة التى ألفها المجلس لإعداد هذا البحث فى هذا الأمر فى جلسات عدة وانتهت فى مناقشتها إلى بعض مقترحات تعرضها على هيئة المؤتمر الموقر وهى :

١ - ضرورة دراسة اللغة العامية دراسة شاملة تتدارك مافات الجهود السابقة التى بذلت فى هذا السبيل ، وذلك لمعرفة خصائصها وهذه الدراسة تعين على تقريب الشقة بين العامية والفصحى .

٢ - من عوامل التقريب بين العامية والفصحى ومن عوامل ضبط الأداء أن يفضل اللفظ الشائع المستعمل على السنة الناس فى الأقطار العربية على أى لفظ آخر من ألفاظ المعجمات غير شائع الاستعمال ، بشرط ألا يكون اللفظ المستعمل نائياً .

٣ - وترى اللجنة ألا تقف الدراسة عند قطر واحد من الأقطار الشرقية بل يجب أن تكون دراسة مقارنة مستوعبة للهجات العامية فى مختلف الأقطار الشرقية ، كي يمكن التقريب بينها جميعاً وبين اللغة الفصحى ، وحتى يكشف عن كل ما يمكن الاستفادة منه فى إنهاض اللغة العربية.

٤ - وتوصى اللجنة بأن تبدأ فى المجمع وتحت إشراف لجنة الألفاظ والأساليب بدراسة العامية القاهرية لتكون نموذجاً لما يرجى من دراسات للهجات فى الأقطار الأخرى .

٥ - والعامية كالعربية لها مفرداتها وأساليبها والدراسة يجب أن تستوعبهما معاً، ولكن اللجنة ترى أن تبدأ ببحث المفردات أولاً وإذا ما انتهت منها بحثت الأساليب .

وسبيل تنفيذ هذا ، حصر الأفعال الثلاثية فى اللهجة العامية القاهرية بطريقة ترتيب الحروف الأبجدية التى تجرى عليها بعض معجماتنا العربية كالمصباح المنير .

٦ - هذه الدراسة ممكنة ، وينبغى أن يبدأ فيها بحصر الألفاظ العامية فى مختلف الأقاليم وقد بدئت فعلاً محاولة فى بعض عامية القاهرة أظهرت أمرين :

(أ) أن فى الإمكان وضع قاموس لمفرداتها
(ب) أن أبواب الفعل الثلاثى فى العامية لا تكاد تخرج عنها فى الفصحى من حيث الوزن والاستعمال .

٧ - ولا شك أن كل هذه الأحكام مؤقتة وقابلة للتعديل كلما اتسع نطاق البحث فى الأقاليم المختلفة .

صلات اللغة العربية واللغات الإسلامية (الفارسية والتركية والأردية)

لحاضرة العضو المحترم الدكتور عبد الوهاب عزام (*)

هذا الدين علوماً لغوية ودينية لغتها العربية كذلك .

ودخل الفرس في الإسلام سراعاً وتلقوا الدين وكتابه وسننه وشاركوا العرب في الثقافة التي نشأها الإسلام ، والحضارة الإسلامية .

وقد عقلت أو كادت الفارسية التي كانت شائعة في إيران قبل الإسلام وهي المسماة بالفهلوية زهاء مائتي سنة بعد الفتح الإسلامي فلم يؤلف بها الا قليل من الكتب أكثرها ديني وكانت العربية وحدها في هذه الحقبة لغة الدواوين ولغة العلوم الدينية واللغوية والتاريخية وغيرها . أي لغة الحضارة والثقافة في ذلك العصر .

وفي أواخر القرن الثالث الهجري شرع الفرس يكتبون بلغتهم . وكان الشعراء أسبق إلى اتخاذ الفارسية . وتلاههم مؤلفون ترجموا عن العربية في التاريخ والدين كما ترجم تفسير الطبري وتاريخه في عهد الدولة السامانية (٢٦٠ - ٣٨٩ هـ) .

وكانت حاضرة هذه الدولة بخارى وأكثر ملكها في خراسان فكانت بعيدة عن مراكز الحضارة العربية في العراق وما يليها فحيث فيها الفارسية وأدبها قبل الأقطار الأخرى القريبة من العراق .

كان بين العربية واللغات الساميات عامة وبين لغات الأمم المجاورة ، ولاسيما الإيرانيون صلات عرف بعضها في النقوش الأثرية وفي ألفاظ فارسية دخلت في اللغات السامية قبل الإسلام وأخرى سامية انتقلت إلى الفارسية .

واستعرض هنا لهذه الصلات فهي ضئيلة إذا قيست بالصلات الكثيرة البينة التي ربطت اللغة العربية ولغات الأمم الإسلامية الأخرى في لغة الخطاب ولغة العلم والأدب .

وذلكم موضوع عاجلته مرات في أبحاث مختلفة . وأجل في هذا البحث القول فيه إجمالاً يعهد للتفصيل والاستقصاء لمن يشاء .

- ١ -

فتح العرب المسلمون إيران وما يليها شرقاً وشمالاً ، وانساحوا فيها واستقروا في أرجائها وكانت لهم الدولة والسلطان .

وقد دخلوا هذه الأقطار لنشر دين له كتاب وشرائع وعبادات لغتها العربية ، ونشأ

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الرابعة للمؤتمر (٢٦ من يناير سنة ١٩٤٨) .

فالدولة البويهية التي نشأت بعد الدولة السامانية ودامت بعدها (٣٢٠ - ٤٤٧ هـ) كانت في سلطان اللغة العربية ، وكان ملوكها ينظمون الشعر بها ، ولم يؤثر عنهم ميل إلى غيرها وكان وزراءهم من عظماء أدباء العربية وناهيك بابن العميد وابن عهاد والوزير المهلبى .

وقد قال أبو الطيب في مدح ابن العميد يوم النهر روز :

عربي أسانه فلسفي
رأيه فارسية أعياده

ترعرع الشعر الفارسي في خراسان وانتشر في سائر إيران ونبغ شعراء كثيرون ونظمت القصة القومية الكبرى : « الشاهنامه » في القرن الرابع الهجري . ولكن الشعر العربي بقي كذلك ذائعا مزدهرا إلى القرن السادس الهجري .

وبقيت العربية غالبية على النثر الأدبي فلم ينبغ للفرس كاتب في تلك القرون يقاس إلى كبار كتاب العربية في إيران كالصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمداني وأبي بكر الخوارزمي .

وألف الفرس في علوم شتى ولكن استمرت العربية غالبية بل كادت تستأثر بالتأليف إلى غارات التار في القرن السابع الهجري . وقل التأليف بها من بعد على مر العصور ولكنه لم ينقطع حتى عصرنا هذا .

- ٢ -

وهذه اللغة الفارسية التي كتب بها الفرس

منذ أواخر القرن الثالث الهجري قد نشأت في حضارة العربية ، وترعرعت في سلطانها فكتبت بالخط العربي واشتملت على ألفاظ عربية تزيد على الألفاظ الفارسية أحيانا إذ كانت العربية قد تسربت إلى لغة الخطاط في إيران كلها ، وغلبت عليها في الحواضر الكبرى ، وكانت قد استأثرت باصطلاحات العلوم والفنون حقبا طويلة .

فلما كتب الفرس بلغتهم حاكوا العرب في الموضوعات والأساليب ، فحاكوا العربية في الشعر والنثر ، وألفوا بلغة اصطلاحاتها كلها عربية ، وكثير من ألفاظها غير الاصطلاحية عربية كذلك .

وكان الشعر أكثر حفظا من الألفاظ الفارسية ، ويليهِ النثر الأدبي ، ثم اللغة العلمية ويكاد الناظر في الكتب يقرأ لغة عربية لولا علامات الجمع وصيغ الفعل وتركيب الجمل

واستمر هذا واضحا في الفارسية منذ صارت لغة أدب وعلم إلى عصرنا هذا .

وليك أمثلة من كتاب كتب في القرن الخامس الهجري ، ومن مجلة إيران شهر التي كانت تنشر في برلين قبل سنين :

في مقال الطب من جهاز مقالة وهو كتاب مؤلف من حكايات في موضوعات مختلفة .

« ماليخوليا عتي است كه أطبا در معالجت او فروماند . أكرچه أمراض سوداوى همه مزمن است ليكن ماليخوليا

خاصیتی دارد بدیر زائل شدن . وأبو الحسن ابن یحیی اندر کتاب معالجت بقراطی که اندر طب کس چنان کتابی نکرده است ، برشمرده آزارته و حکما و فضلا و فلاسفه که چند آزارشان بدان علت معلول گشته اند . اما حکایت کرد مرا استاد من الشیخ الإمام أبو جعفر بن محمد که یکی را آزاره آل بویه مالیخولیا بدید آمد و او را درین علت صورت بست که او کاوی است .

وفي العدد ۷ من مجلة إيران شهر ص ۳۸۷ من مقال عن التربية والتعليم :

« یکی از اسرار تفوق نرّاد آنکلو ساکسون همین است که این ملت انقلابات سیاسی و دینی و ادبی را همیشه استقبال میکند . یعنی راه تکامل را پیموده یک جریان آزاد بمقتضیات آن میدهد . و نمیکند اردکار بانقلابه بهای شدید و کسختن رشته استقلال و عظمت و تسلط خود بکشد ، ازین جهت است که در مملکت انگلستان منها درجه آزادی و محافظه کاری باهم راه میرود و اقوام مختلف باطبايع واحتیاجات و تمايلات مختلف خود ، در زیر شهر سیاست این قوم بسر میبرند ... »

— ۳ —

وما يقال في اللغة الفارسية يقال في اللغة التركية الإسلامية في فروعها الشرقية والغربية التي صارت لغة ثقافة :

كانت العربية لغة العلم في تركستان الشرقية

والغربية . ولا يتسع المقال لذكر المؤلفين فحسبي أن أشير إلى العلماء والأدباء الذين ينسبون إلى بخارى وخوارزم وسمرقند وفرغانة والشاش الخ .

وكانت العربية منذ انتشار الإسلام وتمكن في هذه البلاد لغة الثقافة وحدها . فلما اردهرت الفارسية في إيران وشاركت العربية على النحو الذي ذكرت آنفاً كان لها في تركستان شأن عظيم ولاسيما في المدن الكبيرة . وقد نشأ كثير من طلائع شعراء الفرس في تركستان فأبو جعفر الرودكي أول شاعر كبير بالفارسية ينسب إلى رودك إحدى قرى سمرقند ، وبعض شعراء ذلك العصر الأول ينسبون إلى بخارى .

وكانت الآداب والعلوم بين العربية والفارسية في تركستان على النحو الذي ذكرت في إيران أو قريباً منه . ولم يكن للتركية إذ ذاك شأن .

وحسبي هنا أن أذكر الزمخشري المتوفى سنة ۵۳۸ ، ومكانته ومؤلفاته في العربية غنية عن التبيين . ولما كتب مقدمة الأدب ليعرف أهل تلك الأقطار اللغة العربية شرح الألفاظ العربية بالفارسية ولم يتعرض للتركية .

وقد دون بالتركية الشرقية كتب قليلة منفردة منذ القرن الخامس الهجري ولكنها لم تصر لغة ثقافة إلا في قرون متأخرة . وقد نظم علي شير نوائی من أدباء القرن التاسع الهجري منظومات عدة بالتركية ، وكتب كتاباً سماه مقايسة اللغتين يعني الفارسية والتركية . حاول فيه أن يثبت أن التركية لا تنقل عن الفارسية صلاحية للأدب والعلم ، وألف كذلك معجماً عربياً جمع فيه

أمهات المعاجم العربية سماه مجمع الأبحر . ففي أواخر القرن التاسع الهجري كان هذا الأديب يمهّد الطريق للغة التركية وينظم فيها كثيراً ، ولكن لم يقتف أثره كثيرون . وبقيت منظوماته والسيرة التي كتبها لنفسه ظهير الدين بابر مقيم الدولة المغولية في الهند ، أعظم مانظم ونثر في اللغة التركية الشرقية لغة چغتای زمنا طويلا بل إلى عصرنا هذا .

وهذه اللغة التركية نشأت في سيطرة العربية والفارسية . فحكمها حكم الفارسية في وضوح تأثير العربية فيها .

وكذلك القول في اللغة التركية الغربية - اللغة العثمانية - التي هي أوسع فروع التركية علماً وأدباً .

وقد دون بها في القرن السابع الهجري وتطورت كثيراً من بعد .

- ٤ -

وفتح العرب السند في القرن الأول الهجري ودام سلطانهم هناك نحو قرنين . فانتشرت العربية هناك وأثرت في اللغة السندية .

ثم فتحت الهند في القرن الرابع الهجري فتحها السلطان محمود الغزنوي وامتد سلطان الدولة الغزنوية هناك ثم خلفها الدولة الغورية ونشأت في داخل الهند دول إسلامية كثيرة حتى جاءها في القرن العاشر فاتح داهية عبقرى هو محمد ظهير الدين بابر من سلالة تيمورلنك فأقام أعظم الدول الإسلامية في الهند . وهي الدولة التيمورية التي يسميها الأوربيون المغولية . وقد امتد سلطانها على الهند كلها حيناً . ولم

تجتمع الهند كلها لسلطان واحد إلا في حكم هذه الدولة . وقد استمرت إلى سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٧ م) .

وكانت العربية منذ استقرت الحضارة الإسلامية في الهند لغة تأليف . ولم ينقطع التأليف بها على اختلاف الأحوال إلى عصرنا هذا .

وكان للفارسية شأن كبير بين مسلمي الهند كذلك . وكانت لغة الدولة والأدب في عهد التيموريين . ولا تزال آثارهم شاهدة بما كان للعربية والفارسية من شأن ، الأولى للدين والثانية للأدب . ولا يزال أدباء الهند المسلمون يدرسون الفارسية وينظمون بها .

ثم نشأت اللغة الأردية وترعرعت شيئاً فشيئاً منذ القرن العاشر الهجري ولم ينبغ فيها كبار الشعراء ويكثر التأليف بها إلا منذ قرن ونصف .

والأردية مزيج من السنسكريتية والعربية والفارسية والتركية . وأثر الفارسية فيها ألفاظها وأساليبها وموضوعاتها قوى واضح . ويتبع هذا تأثير العربية فيها إذ كانت الفارسية متأثرة بالعربية إلى الحد الذي يذت قبلاً .

تلك صلات العربية واللغات الإسلامية ذات الشأن . والذي دعاني إلى إلقاء هذا المقال في المجمع أن الألفاظ العربية في هذه اللغات لم تبق كما أخذت من العربية في عصور سيطرة اللغة العربية ، بل صارت هذه الألفاظ من اللغات التي دخلت فيها ، وتطورت وزادت بالتجوز والاشتقاق وغيرهما .

وهي اليوم في زيادة ولها أعظم الشأن في الترجمة من اللغات الأوربية ومقابلة الاصطلاحات الحديثة . وكثير من الألفاظ العربية المستعملة اليوم في الفارسية والتركية والأردية لم تكن مستعملة في هذه اللغات ولا في اللغة العربية قط أو لم تكن مستعملة للمعاني التي تستعمل لها في هذا العصر . كما يستعمل العرب ألفاظ لغتهم في المعاني الحديثة واصطلاحات العلوم والفنون المستحدثة .

وربما ينقل أهل هذه اللغات في هذا العصر عن العرب ما يضعون أو يشتقون من ألفاظ .

ومن أمثلة استعمالهم الألفاظ العربية ابتداء في الترجمة عن لغات أوربا استعمال الأتراك كلمات «الحقوق» مقابل drolts و«بين الملل» مقابل international و«تحت البحر» مقابل sous-marin و«دارالفنون» مقابل university

ومن أمثلة الأخذ عن العرب في العصر الحاضر استعمال الترك «طيارة» واستعمال الفرس «جريدة» و«مجلة» أحياناً .

وحسبي هنا أن أذكر كتاباً وضعته أماً وأنا أكتب هذه الكلمات . وهو كتاب في علم النفس ترجمه من الفرنسية إلى التركية الأستاذ المرحوم أحمد نعيم الذي كان أستاذاً بجامعة اسطنبول وعضواً بلجنة التأليف والترجمة في تركيا . والكتاب مكتوب بلغة تغلب فيها الألفاظ العربية . وقد ذيل المترجم الكتاب بثبت لاصطلاحات علم النفس التي تضمنها الكتاب في مائة صفحة ، كلها اصطلاحات عربية قديمة أو حديثة استعملها الترك أو المترجم

وحده حين الترجمة من اللغات الأوربية . وهي أكثر من ألفي مصطلح أرجو أن تكون ذات جدوى على دارسي علم النفس باللغة العربية وأن تنال عناية المجمع ليقرأها كلها أو بعضها . وإليكم هذا المثال من متن هذا الكتاب :

«تصديقك تعريفي - تصديق وبا حكم» مفكره نك ملاحظة وتأمل حاله كي فعل خاصته اطلاق أولونور . هرته زمان تفكر ايدرسه ك وجدته unite ارجاع ايتديكمز باطنى بر اثنييت dualité حقننه براحتساس وشعور مز أولبور . مثلاً بر كوكبك كوروب بو كوكبي ملاحظة ايدنه جك أولورسه «شوكوردكم شيء بر كويكدر» ديرم . بومثالده بر اثنييتي تركيب ايدن عنصرلردن برى موضوع posé ومحكوم عليه sujet أولان «شوكوردكم شيء» مفهوميلدر . ديكرى ايسه بر موضوعه اسناد ايديلن apposé محكوم به أولان محمول attribut أولوب أوده كوكبك مفهوميلدر . محمولي موضوعه ، محكوم بهى محكوم عليه حملدن ، حكمى اسناد دن عبارات أولان فعل تركيبى به دال أولان لفظ فعللدر . نته كيم قضيه proposition نده تصديقك ، حكمك عباره . سى يعنى بيان لفظيليدر .

ويتبين من هذا أن الأمم التي تنكلم هذه اللغات تشارك الأمم العربية في عصرنا هذا في وضع كلمات عربية لاصطلاحات العلوم والفنون . وهو أمر جدير بعناية المجمع ينبغي أن ينظر فيه ليمد صلاته إن شاء إلى هذه الأمم غير العربية أيضاً .

الاصطلاحات الفقهية

لحضره العضو المحترم الشيخ عبد الوهاب خلاف (*)

كان يهمهم أن يعرفوا كيف يقومون بمسبب طلبوا به من عبادات ، وما كان يهمهم أن يعرفوا أى أجزاء العبادة ركن وأياها شرط وأياها فرض وأياها سنة . وكان يهمهم أن يعرفوا التصرف المباح لهم والتصرف المحظور عليهم ، فأما تعريف العقد وأركانه وشروط حجتيه وشروط نفاذه وشروط لزومه فاعنوا بشيء منها .

توضأ رسول الله ورأى أصحابه وضوءه فتوضأوا كما توضأ وما سألوه أى هذه الأفعال فرائض الوضوء وأياها سنة .

صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى أصحابه صلاته فصلى أصحابه كما رأوه يصلى وما سألوه أى هذه الأفعال أركان الصلاة وأياها شروطها وأياها واجباتها وأياها سننها .

وكذلك صام وزكى وحج وأدى أصحابه عباداتهم كما رأوه وكما سمعوا منه . وباع واقرض وارتن وتزوج -وباشر عقوداً وتصرفات وباشر أصحاب الرسول منها ما أحل واجتنبوا ما حظر وما سألوا عن فرض وواجب وعلة وسبب وتعريف وتكييف قانونى .

مضى القرن الهجرى الأول ولم تظهر اصطلاحات فقهية ولم تأخذ الأحكام القانونية أية صيغة علمية ، وكانت الأحاديث والآثار

وجدت في عهد رسول الله وأصحابه مجموعة من الأحكام الشرعية العملية لعدة وقائع حدثت لأفراد الناس وجماعاتهم . بعض هذه الأحكام دلت عليها آيات قرآنية وبعضها دلت عليها أقضية الرسول وفتاويه . وبعضها دلت عليها أقضية أصحابه وفتاويهم والخصومات والوقائع التى ليس فيها نص فى القرآن ولم تمض من الرسول فيها سنة .

ولكن ما كانت هذه المجموعة من الأحكام تسمى علم الفقه ، وما كان العلماء بها من الصحابة يسمون الفقهاء ، وما استعملت فى التعبير عن هذه الأحكام ألفاظ اصطلاحية خاصة ولا صيغ علمية معينة ، بل كانت عبارات هذه الأحكام على النمط العربى العام فى التعبير عن سائر الأغراض . وأهم الأسباب لهذا ما يأتى :-

أولاً- أن هذه الأحكام (مأعدا أحكام القرآن) لم تكون ولم يوجد ما يستلزمه التدوين من تحير الألفاظ أو التزام الأساليب ، بل كانت الأحكام تتناقل مشافهة كما يتناقل غيرها من كل ما يتناقله الناس . وكذلك لم يكثر الاختلاف فيها اختلافاً يلجئ إلى التزامات .

ثانياً- أن المسلمين كانوا أقرب إلى بساطة البداوة ويسرها ، وكانت وقائعهم قليلة ، والذى

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة لمؤتمر (٩ من فبراير ١٩٤٨)

في الأحكام كالأحاديث والآثار في الأخلاق والعقائد وغيرها ليس لها ألفاظ اصطلاحية خاصة .

غير أنه رؤيت من أقوال الرسول وأفعاله ظاهرة كانت أساساً لاصطلاحات فقهية جديدة ظهرت فيما بعد .

تلك الظاهرة هي أن رسول الله لما بين ما في آيات القرآن من إجمال بالسلطة التي خولها الله له بقوله جل ثناؤه « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » فسر بعض الألفاظ بغير معانيها اللغوية وبين أن المراد منها حقائق شرعية فصلها بأقواله وأفعاله .

فبين أن الصلاة في قوله تعالى : « أقيموا الصلاة » ليست بمعناها اللغوية وهو مطلق الدعاء بل معناها عبادة خاصة بينها بفعله وقال : « صلوا كما رأيتموني أصلي » .

وبين أن الحج في قوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت » ليس بمعناه اللغوي وهو مطلق القصد بل معناه قصد البيت في أشهر معلومات بإحرام وطواف ووقوف وقديده بفعله وقال : « خذوا عني مناسككم » وكذلك بين المراد من الصيام والزكاة والطلاق .

وقد اختلف العلماء في الألفاظ التي استعملت في حقائق شرعية غير معانيها اللغوية هل هذا الاستعمال بطريق نقل هذه الألفاظ من معانيها اللغوية إلى المعاني الشرعية الاصطلاحية ، أو هو بطريق تخصيص هذه الألفاظ ببعض ما وضعت له لغة .

وتوضيح هذا أن الصيام لفظ موضوع لغة للإمساك عن أي شيء فيصدق على الإمساك عن الكلام « إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسياً » وعلى الإمساك عن الطعام والشراب وعلى الإمساك عن القراءة ، فلما استعمل الشارع لفظ الصيام في قوله تعالى : « كتب عليكم الصيام » في الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس تساءلوا هل نقل اللفظ من معنى إلى معنى أو خصص اللفظ ببعض معانيه ؟ والذي يظهر لي أنه الصواب أن هذا نقل لا تخصيص ، لأن الشارع جعل للفظ الصيام حقيقة خاصة يدل عليها عند الإطلاق ولا يدل على غيرها إلا بقرينة ، وهذا آية النقل والوضع الجديد . وأما تخصيص العام فلا يخرج اللفظ العام عن دلالة على العموم ، بل هو الأصل في دلالة والتخصيص هو المحتاج إلى القرينة ، فحيث لا توجد القرينة فاللفظ العام حقيقة في العموم — فهنا نقل والذي سوغه أن المنقول إليه من أفراد المنقول عنه . وسواء أكان هذا من باب النقل أو التخصيص فالذي لا ريب فيه أن الرسول استعمل بعض ألفاظ النصوص في غير ما وضعت له لغة ، وأراد منها حقائق شرعية اصطلاحية المسلمون على فهمها منها ، بحيث هجر المعنى اللغوي للفظ وصار لا يفهم منه إلا بقرينة ، كأن اللفظ صار حقيقة في معناه العرفي الشرعي ومجازاً في معناه الوضعي اللغوي . وعلى هذا تقرر في علم أصول الفقه وفي علم أصول القانون أنه إذا ورد في النص لفظ يحمل على معناه العرفي الشرعي أو القانوني لأعلى معناه اللغوي إلا إذا دلت قرينة على إرادة معناه اللغوي ، كما في قوله تعالى : « إن الله وملائكته

يصلون على النبي يأبها الذين آمنوا صلوا عليه »
فالقريئة دالة على أن المراد من الصلاة معناها
اللغوي وهو الدعاء .

وهو يروى فيها عن أبي حنيفة مباشرة أو عن
أبي يوسف عن أبي حنيفة . وقد دونها ببغداد
وهي أصول الفقه الحنفي .

ابتدأ القرن الهجري الثاني وابتدأ فيه عهد
التدوين ، وأول ما بدئ بتدوينه السنة لأن عمر
ابن عبد العزيز كتب في خلافته إلى والي
المدينة أبي بكر محمد بن عمر بن حزم : « انظر
ما كان من حديث رسول الله فاكثبه فإنني
خفت دروس العلم وذهاب العلماء . » وكتب
بمثل هذا إلى محمد بن شهاب الزهري ، فبدأ
تدوين السنة بعد أن مضى القرن الهجري
الأول كله وليس بين أيدي المسلمين مدون
غير القرآن . وأقدم مجموعة مدونة فيها السنة
وصلت إلينا موطأ الامام مالك بن أنس دونه
بناء على طلب الخليفة المنصور حوالي سنة
١٤٠ هـ . وإنما أشرت إليه هنا لأن مالك بن
أنس دون في موطئه مع مادونه من سنن
الرسول آثار الصحابة وفتاويهم وأقضيتهم
فهو كتاب حديث وفقه معا ، وهو مرتب على
أبواب الفقه ، والقارئ فيه يقرأ الأحكام
ببساطتها الأولى حاولا لمسائل خالية من
الاصطلاحات والاختلافات والتعريفات .

ودون عبد السلام بن سعد القيرواني
الملقب سحنون « المدونة » في الفقه المالكي ، وهو
يروى فيها عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك
ابن أنس ، وهو ممن عاصروا مالكا ولكنه
ما وصل إلى المدينة إلا بعد وفاته . ومن المأثور
عنه قوله : قاتل الله الفقه ، عاصرنا مالك بن أنس
وأخذنا فقهه عن ابن القاسم .

وأمل الإمام الشافعي بمصر على أصحابه
كتابه الأم وهو أصل الفقه الشافعي .

وهذه المدونات في الأحكام في القرن
الهجري الثاني تكاد تكون على نمط الأحكام
في القرن الأول ، غير أنها ظهرت فيها ظاهرتان :
إحداهما كثرة الأسئلة عن وقائع فرضية ووضع
أحكام هي أجوبة لأرباب وألا ترى . والثانية
كثرة التعليل للأحكام وإتباع الحكم بسنده
ولكن ما ظهرت فيها اصطلاحات ولا صياغة
علمية إلا نادراً . وكذلك الحال فيما دون في القرن
الثالث مثل كتاب هلال المشهور بهلال الرأي
في الوقف وهو متوفى سنة ٢٤٥ ، وكتاب
الخصاف في الوقف وهو متوفى سنة ٢٦١ .

وكان البدء في تدوين السنة فاتحة البدء
بتدوين الأحكام القانونية ، ولهذا دونت في
القرن الهجري الثاني عدة مجموعات في الأحكام
نشير بالاجمال إلى بعض ما وصل إلينا منها :—

ومن قرأ أحكام باب معين في السنة
ثم قرأه في مبسوط الإمام محمد ثم قرأه
فيما دون بعد ذلك في القرن الرابع والخامس
أو ما بعدهما تبين أن أحكام الفقه تطورت ترتيبها
والتعبير عنها تطوراً واضحاً .

دون محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة
١٨٩ هـ صاحب أبي حنيفة كتب ظاهر الرواية
السنة : المبسوط . والزيادات . والجامعان
الكبير والصغير . والسيران الكبير والصغير .

فيه هذه الشروط وهذا بدء صياغة عبارات الأحكام بصيغة جديدة .

وفي البدائع للإمام الكسائي الملقب بملك العلماء المتوفى سنة ٥٨٧ هـ : الكلام في السلم في تعريفه وبيان ركنه وشرائط الركن وما يجوز من التصرف في المسلم فيه وما لا يجوز - « السلم والسلف لفظان معناهما واحد ، فإذا قال رب السلم اسلمت إليك في كذا أو أسلمت وقال المسلم إليه قبلت تم ركن السلم .

وأما شرائط الركن فمنها نوع يرجع إلى نفس العقد ومنها نوع يرجع إلى البدل ، فالذي يرجع إلى نفس العقد فشرط واحد وهو أن يكون العقد باتاً عارياً عن شرط الخيار للعاقدين أو لأحدهما

وأما الذي يرجع إلى البدل فأنواع ثلاثة نوع يرجع إلى رأس المال خاصة ، ونوع يرجع إلى المسلم فيه خاصة ، ونوع يرجع إليهما جميعاً وهذا بيانها

فن قابل بين صيغة الأحكام في السنة وصيغتها في أول العهد بتدوينها وصيغتها فيما دون بعد هذا في القرن الرابع وما بعده يتبين أن الأحكام الفقهية قد ظهرت فيها اصطلاحات كثيرة لم تكن معروفة من قبل في القرنين الهجريين الأول والثاني ، وأنها في ترتيبها وتبويبها وتعليقها ظهرت فيها صناعة وفن لم يكونا معهودين فيها من قبل .

اصطلحوا على تقسيم الحكم إلى تكليفي ووضعي ، وعلى تقسيم التكليفي إلى فرض وواجب

مثلاً - السِّلَم وهو نوع من البيع الثمن فيه عاجل والمبيع آجل كأن يشتري رجل مائة إردب من القمح بسعر الإردب ثلاثة جنيهاً ويسلمه ثمنها الآن على أن يسلمه القمح من حصاده ويسمونه بيع الدين بالعين أو بيع مثنى آجل بثمن عاجل .

في السنة - « نهى رسول الله عن بيع الإنسان ماله عنده ورخص في السِّلَم . قدم رسول الله المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين والثلاث ، فقال من أسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم . »

في مبسوط محمد - « إذا سلم الرجل في الطعام كيلاً معلوماً وأجلاً معلوماً وضرباً من الطعام وسطاً أو جيداً أو رديئاً واشترط المكان الذي يوفيه إياه فيه فهذا جائز وإن ترك شيئاً من هذا لم يشترطه فالسلم فاسد .

وإن كان رأس المال دراهم غير معلومة فالسلم فاسد لأنهما إن تشاركما لم يدر ما الدين الذي عليه أو وجد فيها درهماً زائفاً لم يدر ما هو من الثمن .

وإذا اشترط طعام قرية أو أرض خاصة ولا يبقى طعامها في أيدي الناس فالسلم فاسد لأنه أسلم فيما ينقطع من أيدي الناس . »

وهكذا انتظم الباب عدة جزئيات . أكثر التعبير فيها لا بأس بالسلم في كذا ولا خير في السلم في كذا . ويلمح القارئ أن العبارة فيها التصريح باشتراط شروط وفساد السلم إن لم يشترط

ومندوب ومحرم ومكروه، وعلى تقسيم الوضعى إلى سبب وشرط ومانع، ووضعوا بكل لفظ من هذه الألفاظ الحقيقية لمعان شرعية محدودة وفرقوا بين الركن والشرط والعلة والسبب وتسموا شروط العقد إلى شروط انعقاد وشروط حجة وشروط نفاذ وشروط لزوم فما فقد شرط انعقاد فهو الباطل، وما فقد شرط الصحة فهو الفاسد، وما فقد شرط النفاذ فهو الموقوف، وما فقد شرط اللزوم فهو غير اللازم أو غير البات.

وكل باب من أبواب الفقه وضعت فيه ألفاظ كثيرة لمعان اصطلاحية غير معانيها اللغوية. ففي الإرث السبب والشرط والمانع والتعصيب والحجب والعول وحجب الحرمان وحجب التقضان. وفي الدعاوى تخصيص القضاء ودفع الدعوى ويمين الاستظهار والحجر. وفي الأصول مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة وتخريج المناط وتنقيح المناط وتحقيق المناط.

وكل لفظ اصطلاحوا على وضعه للدلالة على معنى عرفي بينوا أصل وضعه في اللغة وبينوا معناه الذى نقل إليه. ولهذا يقولون في كل باب القول في اللغة الزيادة وفي الاصطلاح القهوى زيادة سهام أصحاب القروض عن أصل المسألة. الكفالة لغة الضم وفي الاصطلاح ضم ذمة إلى ذمة في المطالبة. الوقف في اللغة الحبس وفي الاصطلاح حبس العين عن أن تكون ملكاً لأحد من الناس والتصدق بمنفعها وإذا عرض لهم مسمى ولا عهد للعرب به ولا لفظ في اللغة العربية ينقل إليه استعماله بنفسه. ولذا جاء في متون الفقه: وكرهت

السفتجة، وقالوا إنه لفظ فارسي والمراد به أن تقرض إنساناً مالا ليسلمه المقرض في بلد آخر إلى إنسان يريد المقرض توصيله إليه، وغرضه من الإقراض أن يأمن خطر الطريق، ولهذا جعله قرضاً لا أمانة وجمعوا. اللفظ، قال ناظم الكنز: وكرهت سفتج الطريق وهى حوالة على التحقيق.

واستعملوا المسكة، والكردار، والكذك، والخلو، والمرصد.

ومرادهم بالمسكة ما يقوم به الزارع في الأرض من حرثها وإعداد ربيها وخدمتها للزراعة وهذا يكسبه حق الأولوية على غيره بأن يزرعها.

ومرادهم بالكردار ما يحدثه الزارع في الأرض من بناء أو غراس أو ردم حفر، وهذا أيضاً له حق الأولوية بزراعة الأرض.

ومرادهم بالكذك ما يحدثه التاجر في حانوته من بناء وغيره على وجه القرار. وهو يحمل للتاجر حق البقاء بالحنوت ويقدمه على غيره مادام يدفع أجر المثل.

ومرادهم بالخلو ما يدفعه المستأجر إلى متولى الوقف من مال ليصرفه في مصلحة الوقف.

ومرادهم بالمرصد دين للمستأجر على الوقف يصرفه في عمارته بإذن المتولى.

ومن درس الفقه تجل له أنه علماء الفقه أغنوه بالألفاظ الاصطلاحية ولم يعرض لهم

معنى إلا اصطلاحوا على الدلالة عليه بلفظ عربي ينقلونه عن معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي لأى مناسبة، وإذا لم يجدوا للمعنى لفظاً عربياً اصطلاحوا على الدلالة عليه بلفظه غير العربي وماضاقوا بأى معنى .

والذى خلص لى من هذا البحث :-

أولاً - أن الاصطلاحات الفقهية نبتت فى القرن الهجرى الأول، ووضع بدورها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقله بعض الألفاظ العربية من معانيها اللغوية إلى حقائق عرفية شرعية ولكن هذا النبات مانما ولا ترعرع وزادت فروعها إلا من القرن الثالث الهجرى . فكان الرسول كما شرع أسس الأحكام شرع أسس الاصطلاح واستعمال الألفاظ .

وثانياً - لا أستطيع أن أحدد بالضبط متى بدأ ظهور هذه الاصطلاحات ومن أول من وضعها . ولكن الذى أرجحه أن ظهورها بكثرة كان فى القرن الثالث الهجرى . والذى أجزم به أنه لم يبدأ بوضعها مجمع لغوى ولا أية جماعة وإنما بدأ الأفراد والناس تابعوا واستعملوا فتكون الاصطلاح .

وثالثاً - لعل أظهر الأسباب التى يرجع إليها نمو الاصطلاحات أولاً هو التدوين، فلأن التدوين يقتضى تحديد المعانى فى ألفاظ تدون للدلالة عليها - وثانياً صيغ الأحكام بالصيغة العلمية فإن هذا اقتضى نقلها من حلول جزئية إلى قواعد وضوابط، وهذا اقتضى جمع كل ما أمر به تحت عنوان واحد هو الواجب، وما نهى عنه

تحت عنوان واحد هو الحرم، وطبيعة الصناعة والفن تقتضى الخلق والابتكار - وثالثاً المدنية التى ازدهرت فى الدولة الإسلامية من أواخر القرن الهجرى الثانى . فهذه المدنية كان لها أثر فى كل شىء ، فالفقهاء تأثروا بها فى لبسهم وأكلهم وكل مظاهر حياتهم ، ومن المحال أن لا يتأثروا بها كذلك فى تفكيرهم وتعبيرهم، ومن المحال أن لا يتبادلوا وسائر العلماء كثيراً من الألفاظ والعبارات . وكل إنسان يعيش فى بيئة يتأثر حتماً عقله ولسانه وخلقه وقلمه بما فى بيئته سواء أشعر بها أم لم يشعر - وثالثاً كثرة الاختلاف بين فقهاء الحجاز وفقهاء العراق فإن هذا الخلاف يعينهم على إمعان النظر فى أدلة الأحكام ومصادرها، وتحديد ما يدل عليه الدليل وتمييزه عن غيره، وهذا أدى إلى وضع اصطلاحات . ولهذا نرى أنهم كما اختلفوا فى نفس الأحكام اختلفوا أيضاً فى الاصطلاحات ففقهاء العراق يفرقون بين الفرض والواجب بحسب الدليل: فما دل على طلبه حتماً دليل قطعى الورود فهو الذى يطلق عليه الفرض ، وما دل على طلبه حتماً دليل طلبى الورود فهو الذى يطلق عليه الواجب . وفقهاء الحجاز لا يفرقون بين الفرض والواجب فكل ما طلبه الشارع طلباً حتماً فهو واجب أو فرض لفظان مترادفان إلا فى الحج فيقولون ما طلبه الشارع ولا جبر له. إذا فات فهو فرض كالوقوف بعرفة وما طلبه الشارع ويجبر بدم إذا فات فهو واجب كطواف القدوم . وفقهاء العراق يفرقون بين الفاضل والفاصل فى المعاملات ويسوون بينها فى العبادات، وفقهاء الحجاز لا يفرقون بين الفاضل والفاصل لا فى المعاملات ولا فى العبادات .

من اللغة العربية للألفاظ القانونية الفرنسية ، والقواعد الرومانية الفقهية عربت بيسر إلى اللغة العربية . ولو عني العلماء في تلك القرون بالطب والهندسة والرياضة عنايتهم بالفقه تخلفوا لنا ثروة فيها أراحت المجمع وبلحانه من كثير من العناء .	ورابعاً - أن السعة التي سار فيها الفقهاء في الاصطلاحات الفقهية خلفت لنا ثروة ضخمة ظهر أثرها واضحاً جلياً في دراسة العلوم القانونية باللغة العربية، وتشريع القوانين باللغة العربية، وفي كتابة الأحكام وأسبابها، فما شعر مدرس ولا مقنن ولا قاض بأى ضيق، واللجنة القانونية في المجمع وجدت بيسر مرادفات
---	--

نقل العلوم إلى اللغة العربية

لحضرة العضو المحترم الأستاذ مصطفى نظيف(*)

سيدى الرئيس - سادى

كلفت أن أتكلم اليوم عن نقل العلوم إلى العربية . وهو موضوع عام غير محدود رأيت أن أقصر الحديث فيه على مسائل معينة لي فيها وجهة نظر ؛ بعضها عن النقل القديم وبعضها عن النقل الحديث . وتجنبت عن قصد جانباً هاماً من موضوع النقل القديم وهو الذى يتصل بأشخاص المترجمين ، والكتب التى ترجموها في فروع العلم المختلفة .

والمسائل التى يتناولها حديثى اليوم هى خمس مسائل :

أولها ملابسات النقل القديم . فجمال أثر العلوم المنقولة في غيرها من علوم النهضة في الإسلام . ثم يميل أثر ذلك في اللغة . أما عن النقل الحديث فلا بساته أيضاً ، ثم ما لعله نستطيع أن نستفيد منه في شأنه من أعمال المتقدمين أو أن نستهدى فيه بهديهم .

فأقول :

تبعث النهضة العلمية في الإسلام لونا من الثقافة يعرف بالثقافة الهلينية ، كانت مزيجاً من ثقافة يونانية تمت بصلة إلى الفلسفة اليونانية وبصلة إلى علوم العصر الإسكندري ومن نزعات ونزوات ونحلات دينية شرقية . ولكنها لم تكن مجرد اتصال أو استمرار لهذه الثقافة . ولم تكن إحياء للفلسفة اليونانية وعلوم العصر الإسكندري على صورة خالصة مما امتزج بهما من نزعات . ولم تكن أيضاً مقصورة على

فلسفة اليونان وعلوم العصر الإسكندري بل امتدت إلى ثقافة الفرس وعلوم أهل الهند . ثم هى أيضاً قد استحدثت علوماً لم يكن لها وجود من قبل . فهى نهضة علمية لها مقوماتها الذاتية الخاصة . بدأت من جديد في بيئة جديدة لدى قوم كانوا على الفطرة لم يكن لهم دراية يؤبه لها بشيء اسمه العلم بمعنى «سيانس» ولم تكن لهم تقاليد علمية موروثة . أقدموا على هذا الأمر أو هو عرض لهم هذا الأمر وليس لهم من عدة يتخذونها له ، كل ما كانوا يملكون دين يؤمنون به ولغة يحرصون عليها . وللإسلاميين المتقدمين مذاهب وآراء في تقسيم العلوم التى شملتها تلك النهضة وتبويبها وتبيان النسب والعلاقات بينها . يفيدنى ويكفينى في حديث اليوم أن أقسم تلك العلوم قسمين : أحدهما أضمنه العلوم التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة الإسلامية ومستلزماتها الدينية والدنيوية وهى علوم اللغة وعلوم الشريعة وعلم الكلام وأسمى هذه العلوم العلوم الإسلامية أو زيادة في التمييز : العلوم الإسلامية العربية .

والقسم الآخر أدرج فيه علوماً ولو أنها توطنت فيما بعد في البيئة الإسلامية العربية فقد كانت أصولها مجلوبة من الخارج . وأضمن هذا القسم الفلسفة بأقسامها المعروفة في ذلك العصر والعلوم التعليمية بفروعها المختلفة

(*) أتى هذا البحث في الجلسة الماثرة للمؤتمر

(١٦ من فبراير سنة ١٩٤٨) .

فيها أعمالاً كإنشاء المدن وعمارة المباني وشق
الترع والقنوات ومد الطرق والمسالك وجباية
الخراج ومسح الأرضين وضبط الدواوين
وإنشاء الأساطيل والتفنن في أساليب الحروب.
ثم اقتضت طبيعة الحياة الإسلامية نفسها
وتكاليف الشريعة أموراً كتوقيت المواقيت
وضبط الشهور وتعيين سمت القبلة وقسمة
الموارث وتوزيع الحصص - أعمالاً وأموراً
شأن من هذا القبيل تتصل بفروع من العلوم
المختلفة لم يكن للمسلمين دراية بها من قبل ،
اضطرتهم الحياة الجديدة إلى مباشرتها والأخذ
بتعلمها والمران عليها .

وليست النهضات العلمية عند الأمم بدايتها
كما يظن أول وهلة ، العلوم البحتة ، وإنما هي
تتدرج إلى العلوم البحتة عن طريق العلوم
التطبيقية ذات الصفة النفعية .

وأيضاً فمن جراء انتشار الإسلام واختلاط
المسلمين بغيرهم من أهل البلاد التي فتحوها
أخذ المسلمون يتعرفون بمواضع الخلاف
 وأسباب التفرقة والتباين بين المذاهب والفرق
المختلفة ، والذين دخلوا في الإسلام من أهل
البلاد نشروا عفواً أو قصداً بين المسلمين
ما تنطوى عليه ثقافتهم من أهواء ونزعات .
فأخذ يظهر بين المسلمين شبهات من نوع
الشبهات التي كان يجادل المنافقون بها النبي
نفسه وإنما على صورة أقوى وأكثر . فلو أن
كانت لهم القوة المادية على كتبها واتحد منها
فلم تكن لهم أول الأمر الملكة على معالجتها
بطريق النظر والاستدلال ودفع الشبهة بالدليل
والحجة ، فأدركوا حاجتهم أيضاً إلى الإحاطة
بما يعينهم على ذلك من علوم .

والصناعة أي الكيمياء وما سمي وقتئذ صناعة
كصناعة الطب وصناعة العقاقير وما إلى ذلك .
وهي جميعاً علوم لا ضير في أن أسميها كما قد سميت
من قبل علوم الأوائل وأسميها أيضاً « العلوم
المنقولة » بالمعنى الذي بينته لا بالمعنى المفهوم
من تقسيم العلوم إلى نقلية وعقلية . وكلا الاسمين
يدلان على هذه العلوم في إبان المرحلة التي أعني
بها في حديث اليوم .

والنهضة العلمية في الإسلام تعد بحق في
تاريخ العلم مرحلة من مرحلاته المزدهرة .
وهي قد تأصلت وسأشير إلى ذلك فيما بعد على
أسس ودعائم من العلوم المنقولة . فأسبابها
موصولة بالأسباب التي أدت إلى نقل العلوم .
وقد ذكروا لذلك أسباباً كثيرة ولكني
أرى ضرورة التمييز بين أسباب هي من قبيل
العوامل المساعدة ، ويندرج تحتها كل ما يقال عن
الظروف الشخصية والاستعداد الفطري والشغف
بالعلم وجميع الظروف المواتية الأخرى ، وبين
أسباب هي من قبيل القوة المحركة الدافعة
وهي تنجم عن حاجة ملحة أو ضرورة ملزمة
تقتضيها مطالب الحياة . فما من نهضة علمية
في عصر من العصور أو في أمة من الأمم إلا
وكان لها من مطالب الحياة ومقتضياتها في
ذلك العصر أو في تلك الأمة دافع قوى إليها .
وليس يكفي في النهضات العلمية الجماعية العوامل
المساعدة وحدها وإنما يجب أن يكون من
ورائها ضرورة تلزم بالاستعانة بالعلم في
شؤون الحياة وما يعرض من شؤون الحياة .
فما كاد الإسلام يتجاوز حلود مهده الأول
حتى قامت دولة شاسعة الأنحاء ، اقتضت
سياسة أمورها ومصالح الأفراد والجماعات

وعلى هذه الصورة وجد الدافع : الدافع إلى تعلم العلوم ذات الصفة التطبيقية النفعية التي قضت بها الأمور الدنيوية ، والدافع إلى تعلم العلوم ذات الصفة النظرية التي قضت بها الغايات الدينية .

وقد كانت الظروف مواتية .

فع أن العصر الإسكندري من تاريخ العلم كان قد قضى عليه قبل ظهور الإسلام حين قضى على متحف الإسكندرية في القرن الثالث بعد الميلاد وعلى مكتبة السيرايوم في أواخر القرن الرابع فقد كانت توجد في مدينة الإسكندرية نفسها مدارس صغيرة أو دوائر علمية ضيقة يذاكر فيها بعض فروع العلم ويلدرس فيها الطب ويعنى فيها بتلخيص بعض المؤلفات في المنطق والفلسفة والطب والتعليق عليها أو شرحها . واستمرت هذه المدارس جيلاً إثر جيل إلى أوائل العصر الإسلامي.

كذلك أدرك الإسلام مدارس من هذا القبيل كان يعنى فيها ببعض فروع العلم في بعض مدن الشرق كالرها ونصيبين وقنسرين وجنديسابور وحران . وكانت توجد في بعض الأديرة أسكولات ولو أن التعليم فيها كان دينياً فقد كان يمتد أحياناً فيشمل بعض المنطق ومبادئ الفلسفة

ومن هذه المدارس مدرسة قنسرين وقد كانت في إبان فتوح العرب للعراق أكبر موضع لتعليم علوم اليونان . وكان على رأسها وقتئذ « سويرس سييونخت » أسقف دير قنسرين وكان رجلاً ذكياً واسع الاطلاع معنياً بفلسفة أرسطو متبحراً في الفلك والجغرافيا ذا علم ودراية ببعض علوم أهل الهند وكان له أثر ولو أنه غير مباشر في النهضة العلمية في

الإسلام . أثر عنه رأييه في أن العلم لا ينبغي أن يكون حكرة في أمة دون غيرها ، وأذكر أني قرأت مرة في بعض المراجع أنه أول من أجاز للمسيحيين أن يعلموا المسلمين العلم .

ومن هذه المدارس مدرسة جنديسابور وقد أثرت بالمباشرة تأثيراً عميقاً في النهضة العلمية في الإسلام وخصوصاً في الطب بفضل من أنجبهم هذه المدرسة من أطباء آل بنختشوع وعلمائهم ، وقد خدم الطب في الإسلام منهم سبعة أجيال امتد بهم الزمن ثلاثة قرون متوالية . ولأذكر أيضاً من بين هذه الدوائر العلمية دائرة حران وكان بها فريق من عبدة الكواكب عرفوا فيما بعد بالصائبة ، عنوا بالطبع بعلم النجوم والرصد وبعض فروع العلم التعليمي .

ويرجع إلى أصحاب هذه المدارس والدوائر العلمية وأمثالها ولمن تتلمذ عليهم الفضل كله في تعريف المسلمين بعلوم الأوائل . وبهم كان المسلمون يستعينون لافى الطب وحده بل في كل أمر يعرض لهم له اتصال بفرع من فروع العلم بصفة عامة .

وعندى أن نقل العلوم إلى العربية لم يبدأ كما يظن عادة في صدر الدولة العباسية ولم يبدأ كما يظن أيضاً بترجمة الكتب .

فهو أولاً قد بدأ منذ أن اتصل العرب بأصحاب هذه المدارس ومن إليهم . ولا يعوزنا الدليل على أن نقول إن هذا الاتصال كان موجوداً حتى في عصر النبي نفسه . فالخارث بن كلدة الثقيني تعلم الطب في فارس ومارس صناعته في أيام النبي والخلفاء الأربعة ومعاوية . والنضر بن الخارث تعلم الطب عن أبيه ولكنه رحل إلى فارس وغيرها وأخذ عن اختلط بهم

من العلماء والرهبان أشياء من علوم الأوائل كان يجادل بها النبي ويقاوم بها النبوة .

وثانياً ، إن نقل العلوم إلى العربية قد بدأ بالمشافهة - بالتعليم ، التعليم بطريق الكلام المسموع لا اللفظ المقروء . فثمة قرائن تدل على وجود حركة تعليمية علمية منذ أوائل العصر الأموي ، كان نظام التعليم فيها أشبه بالدروس الخصوصية عندنا وكان القائمون بالتعليم فيها من غير المسلمين . حسبى أن أذكر من تلك القرائن ما يروى عن خالد بن يزيد بن معاوية : قيل إنه اتصل بماريانوس الراهب الرومي ليعلمه الصنعة وقيل إنه استعان باصطفن القديم (كما يسميه ابن النديم) لشرح له بالعربية بعض كتبها كذلك ما يروى عن ماسرجويه الطبيب الإسرائيلي يقول ابن أبي أصيبعة إنه تولى في الدولة المروانية تفسير كتاب أهرن إلى العربية وهو كتاب في الطب ألفه صاحبه باللغة السريانية .

ولكن لم يصلنا الكثير من أنباء الحركة التعليمية العلمية في عصر بني أمية حتى تشكل المتشككون فيما يروى عن خالد بن يزيد . ولكن الواقع الثابت أن ازدهار صدر الدولة العباسية وعلى الأخص عصر المنصور بكثير من العلماء والأطباء من المسلمين ومن غير المسلمين يدل على أنه كانت ثمة حركة تعليمية علمية سبقت العصر العباسي بجيل أو يزيد على أقل تقدير . كانت هي الوسيلة الطبيعية التي بدأت تنتشر بواسطتها علوم الأوائل في البيئة الإسلامية وكانت هي الطريق الطبيعي الذي سلكته هذه العلوم إلى اللسان العربي .

قلت لم يصلنا كثير من أنباء هذه الحركة التعليمية في ذلك العصر ، فواضع التعليم

المشهورة في الإسلام جاءت جميعاً في عصور متأخرة . وعلى قدر ما وصل إليه علمي أن تكل ما يعرف عن هذه الحركة مرده ما رواه ابن أبي أصيبعة عن الفارابي . إذ هو من كلام له عن ظهور الفلسفة وبقاء موضع التعليم في مدينة الإسكندرية عند ظهور الإسلام . قال :

« فانتقل التعليم من الإسكندرية إلى أنطاكية وبقي بها زمناً طويلاً إلى أن بقي معلم واحد فتعلم منه رجلان وخرجا ومعهما الكتب . فكان أحدهما من أهل حران والآخر من أهل مرو . فأما الذي من أهل مرو فتعلم منه رجلان أحدهما إبراهيم المروزي والآخر يوحنا بن حيلان . وتعلم من الحراني إسرائيل الأسقف وقويري . وسارا إلى بغداد . فتشاغل إبراهيم (١) بالدين وأخذ قويري في التعليم . وأما يوحنا بن حيلان فإنه تشاغل أيضاً بدينه . وانحدر إبراهيم المروزي إلى بغداد فأقام بها وتعلم من المروزي متى بن يونان الخ ... »

أما انتقال التعليم من الإسكندرية إلى أنطاكية فقد كان بحسب رواية ابن أبي أصيبعة في خلافة عمر بن عبد العزيز على يد « ابن أبحر » وكان طبيباً ماهراً من أهل الإسكندرية أسلم على يد عمر بن عبد العزيز حين وجوده في مصر قبل توليه الخلافة . فلما أفضت إليه الخلافة نقل التدريس إلى أنطاكية وحران وتفرق في البلاد . واستطاع عمر ابن أبحر هذا وجعله من المقررين عنده .

وقد حقق المغفور له ماكس مايرهوف هذه المسألة ، ويرى أنه صار بعد ذلك للتعليم

(١) كذا في الأصل . والسياق يدل على أن المقصود « إسرائيل »

مدارس كان المشتغلون بالعلم والفلسفة يلقبون أصحابها بلقب « رؤساء مدارس » .

وقد كان القائمون بالتعليم أكثرهم من النصارى، واعتمدوا في صناعة التعليم على مراجع سريانية وأخرى يونانية، ومن بين هؤلاء المعلمين من كانت كل مؤلفاته بالسريانية . ويكاد يكون من المحقق أنه كان للتعليم لغتان السريانية حيث كان يتلقى العلم النصارى من أهل هذه اللغة، والعربية حيث كان هؤلاء يعلمونه أهل العربية . وأرجح أن التعليم استمر مدة ليست بالقصيرة بهاتين اللغتين .

وكان من الطبيعي أن ترتب على هذه الحركة التعليمية وضع مختصرات ومذكرات باللغة العربية يستعان بها في أغراض التعليم .

وكان من الطبيعي أيضاً حين أخذ يتسع نطاق هذا التعليم وأخذ المتعلمون يتعمقون في تعلم العلوم أن يظهر إلى جانب هذه الحركة التعليمية رغبة في اقتناء كتب الفلسفة والعلوم والطب وجمعها من أنحاء البلاد ومن خارج حدود البلاد من بلاد الروم والهند، ونقلها إلى العربية . وقد شارك في هذه الرغبة الأفراد، وشاركت فيها الدولة ممثلة في أشخاص الخلفاء، وهي رغبة بذل في تحقيقها مجهود مشكور، ويمتاز بها بحق صدر الدولة العباسية .

واتخذت العناية بجمع الكتب وترجمتها إلى العربية مظهرها الرسمي في الدولة، في أيام المنصور والرشيد والمأمون والمتوكل .

ويروى القفطى وغيره أنه قدم على المنصور في سنة ست وخمسين ومائة رجل من الهند اسمه « مكا » قيم بالحساب المعروف بالسندهند في

حركات النجوم . وكان معه كتاب قال إنه اختصره في هذا الموضوع . فأمر المنصور بترجمته وأن يتخله العرب أصلاً في حركات الكواكب . وتولى ترجمته محمد بن إبراهيم الفزاري وعمل منه كتاباً سماه المنجمون السندهند الكبير . ولعله أول كتاب في الفلك ترجم إلى العربية . والمعروف أنه فقد . والمعروف أيضاً أن فلكي الإسلام ومنهم الخوارزمي نهجوا طريقته إلى حين، حتى ترجم كتاب المجسطى وتداولوه ووقفوا على أسرارها . ومن المرجح أن ذلك الكتاب كان وسيلة من وسائل تعريف الإسلاميين بالأرقام الهندية وبطرق الحساب الهندي .

وقد استخدم المنصور أبا يحيى البطريق في ترجمة أجزاء من كتب بقراط وجالينوس في الطب .

وفي عصر الرشيد أنشئت خزانة الحكمة، ولما فتح المسلمون في أيامه أنقره وعمورية وبعض بلاد الروم الأخرى نقلوا منها كتباً في علوم مختلفة، فجعل الرشيد يوحنا بن ماسويه أميناً على ترجمتها ورتب له كما يقول القفطى كتاباً حذاقاً يكتبون بين يديه .

وأهم ما ترجم في عصر الرشيد المجسطى لبطليموس . وقد حاول ترجمة هذا الكتاب أكثر من واحد من علماء العصر . وعنى يحيى ابن خالد البرمكي بإخراجه . ويقول ابن النديم إنه فسر له جماعة فلم يتقنوه . فندب لتفسيره أباحسان وسلماً صاحب بيت الحكمة فاستعاناً ذلك بالنقلة المجودين وأخذوا بأفصح النقل وأصحها .

أما المأمون فقد حاول أن يسلك الطرق

الدبلوماسية للحصول على الكتب من جهة وليستوفد من بلاد الروم العلماء من جهة أخرى . فأرسل إلى « ثيوفيلوس » ملك الروم يطلب إليه أن يوفد إلى بغداد « ليو » أحد علماء الرياضيات المشهورين في القسطنطينية ، فأبى ملك الروم .

ولعل المأمون قد استعان بعد ذلك بانتصاره على ملك الروم في الضغط عليه مرة أخرى ، وهذه المرة للحصول على بعض الكتب ، فابن التديم يروي أنه كانت بين المأمون وبين ملك الروم مراسلات . وقد استظهر عليه المأمون فكتب يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المدخرة عندهم فأجاب بعد امتناع . ومن طريف ما قيل في هذا الصدد مارواه القفطي في أن ملك الروم استشار أحد الرهبان في تسيير الكتب إلى المأمون فقال له الراهب « سيرها فلأنك تثاب عليه فإنها مداخلت في ملة إلا وزلزلت قواعدها » .

وقد نشأ المأمون خزانة الحكمة تنشئة جديدة لعلها أكسبتها منعة أو صفات جديدة جعلتها مؤسسة علمية عرفت ببيت الحكمة .

ويرى بعض أفاضل المحققين من المعاصرين أن بيت الحكمة قد بولغ في شأنه، وأنه لم يكن معهداً يتصل به مكتبة ويتصل به مرصد كما يقال، وأن كل ما تدل عليه النصوص التي بين أيدينا أنه كان مكتبة فحسب .

ولاني أرى أن ثمة أموراً إذا روعيت في جعلها تكنى للدلالة على ما يخالف هذا الرأي.

فخزانة الحكمة لو كان قد أريد بها منذ بدايتها أن تكون داراً لحزن الكتب فحسب لما

عنى الرشيد بأن يختار لها عالماً فلكياً نشأ في بيت اشتهر بالفلك هو أبو سهل الفضل بن نوبخت . ولما عنى المأمون من بعده بأن يختار لها أعظم علماء الرياضة والفلك في عصره وأقصد أبا عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي .

وأيضاً يكاد يكون من الثابت عقلاً أن إدارة الترجمة التي تولاهما في أيام الرشيد يوحنا بن ماسويه وتولاهما في أيام المأمون حنين بن إسحاق كانت ملحقة بخزانة الكتب ، وكانت على أقل تقدير تغذيها بما يترجم من الكتب اليونانية والسريانية .

وقد تبين لي أن صاحب الفهرست يذكر في مواضع مختلفة من كتابه ثلاثة من علماء ذلك العصر هم سلم أو سلما أو سلمان كما يسميه القفطي وسهل بن هارون وسعيد بن هارون ويتبع اسم كل واحد منهم في كل موضع يرد فيه الاسم بالعبارة « صاحب بيت الحكمة » كأن صاحب بيت الحكمة عبارة تدل على صفة أو لقب يميزهم .

كذلك تبين لي أن ابن القفطي أورد في كتابه أسماء أربعة من مشهورى علماء العصر نص صراحة على أنهم كانوا من بين أعضاء بيت الحكمة . هم يحيى بن منصور وكان من أشهر علماء الفلك في أيام المأمون ، وبنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن ، وكانوا من قادة علماء الرياضيات . فابن القفطي يقول عن بنى موسى بلفظه :

« عند موت أبيهم أوصى بهم المأمون إسحاق ابن إبراهيم المصعبي وأثبتهم مع يحيى بن منصور في بيت الحكمة » .

من قبيل الغاية الثقافية التي تبتغى في الوقت الحاضر من تعليم العلوم، وكان لهذا الأثر مظهره المحسوسة في ذلك العصر حتى في رجال الأدب.

والأثر الثاني مظهره الأخذ بطرائق النظر وأساليب البحث التي تجري عليها العلوم المنقولة والاستعانة بمسائل هذه العلوم في تنشئة العلوم الإسلامية العربية نفسها. ولست أريد الخوض فيما استفاده علم الكلام وعلم الفقه من هذه العلوم المنقولة، ولا في أثر المنطق في علم النحو وإنما أريد أن أقف قليلاً لأبين أن الظروف التي اكتنفت نشأة علم النحو وعلم اللغة لم تكن مقطوعة الصلة بالعلوم المنقولة وأصحابها مع ما بينهما من بعد وفارق.

فشمة ملازمات لها وزنها اكتنفت نشأة علم النحو العربي. فقد كان يعقوب الرهاوي من معاصري أبي الأسود الدؤلي. وهو من يعاقبة السريان تتلمذ على «سويرس سيبوخت» وبرع في الفلسفة واللاهوت والنحو والتاريخ. ألف في النحو السرياني كتاباً اقتبس فيه الحركات، والنقط ويدل في رأى الإخصائين (ومرجعي في هذا صارتون) على معرفة بالنحو اليوناني.

ومحاولة أبي الأسود واقتباس الحركات والنقط في العربية كلاهما بدأ في البصرة. وكانت البصرة في ذلك الحين موضع التقاء العرب بالفرس والسريان وأهل الهند. وكانت لغة العلم والمعرفة في ذلك العصر اللغة السريانية.

ثم إن محاولة أبي الأسود في وضع علم النحو كانت لاشك بدائية، فلم يرق علم النحو إلى

ومن الثابت أيضاً أن المأمون لما عزم على رصد الكواكب تقدم إلى يحيى بن منصور هذا كما يقول القفطي وجماعة من العلماء وأمرهم بإصلاح الآلات والقيام بالرصد في جبل قاسيون بدمشق وفي الشامية ببغداد.

فهنا جماعة من العلماء وصلتنا أسماءهم نعرف أنه تولى منهم أمر خزانة الكتب أو خزانة الحكمة اثنان، وتولى منهم رئاسة الترجمة اثنان ولقب منهم ثلاثة بلقب صاحب بيت الحكمة أحدهم وهو سلم كلف بإصلاح ترجمة المجسطي ونعرف أربعة منهم بأسمائهم قد عينهم المأمون في بيت الحكمة. ونعرف أن لأكثرهم تأليف وتصانيف في الطب وفروع العلم المختلفة، وأن واحداً منهم كان على رأس فلكي المرصد في عصر المأمون.

فلا مجال للشك في أن بيت الحكمة كان مجمعا لطائفة من العلماء العاملين غنى فريق منهم بإخراج العلوم إلى العربية، وغنى فريق منهم بالرصد واتخلوا للرصد موضعين أحدهما في بغداد والآخر في دمشق وغنى فريق منهم بالبحث والتأليف، شأنه كشأن متحف الإسكندرية ومكتبتها في حكم البطلمة.

وقد كان للنشاط العلمي لأصحاب بيت الحكمة والمثبتين فيه والمتصلين بهم ومن تتلمذ عليهم شأن كبير في نشر علوم الأوائل باللغة العربية وتأصيل النهضة العلمية في الإسلام.

ولقد كان للعلوم المنقولة إلى العربية وانتشارها لدى الإسلاميين في ذلك الحين أثران: أحدهما هو من جنس الأثر الذي يحدثه نشر العلم بمعنى «سيانس» في التفكير على الوجه العام، هو

مرتبه كعلم من العلوم إلا بعد مضي قرن أو يزيد ، بعد أن تعرف المسلمون بالمنطق اليوناني وأخلوا بتعلمونه ، وبعد أن ظهر في البصرة نفسها الخليل بن أحمد وأخذ عنه سيويه .

ثم إن هناك أيضاً ظروفًا وملابسات اكتتفت نشاط الخليل بن أحمد تلفت النظر أكيداً .

فالطريقة التي سلكها الخليل في حصر ألفاظ اللغة حصراً عددياً لم تكن على التأكيد قرينة المثال في ذلك العصر . والليث بن المظفر نفسه كما يستفاد من أقوال له رواها ابن النديم تعذر عليه فهمها على الرغم من أن الخليل شرحها له مراراً وتكراراً أياماً عدة .

والفكرة التي بنيت عليها طريقة الخليل هي الفكرة التي يبنى عليها في الجبر موضوع التبادل والتوافق . وهو موضوع بدأ دراسته في إبان النصف الأول من القرن السابع بعد الميلاد أي في إبان الفتوح الإسلامية ، العالم الهندي الرياضي « براهما جوتبا » . ثم إن الخليل اعتمد في كتاب « العين » ترتيب الخارج . فحذا في ذلك حذو الهنود في ترتيب حروف لغتهم .

وصاحب مفتاح السعادة يروى عن الخليل قوله : « أريد أن أعمل نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البقال فلا يمكن أن يظلمها » .

ولندكر مع هذا كله أن البصرة كان يلتقي فيها المسلمون بأهل الهند .

وأيضاً فإن الخليل بن أحمد كانت له معرفة

بعلم الموسيقى ، وله فيه كتاب النغم وكتاب الإيقاع ومعرفته بعلم الموسيقى يسرت له كما هو معروف ومذكور ، وضع علم العروض . فالخليل لم يكن مقطوع الصلة بالنشاط العلمي عند السريان في عصره .

تلك هي الملابسات التي لفتت نظري وهي تدل على أن الخليل كانت له معرفة بشيء قليل أو كثير من علمي الحساب والموسيقى .

فهل كان إلى جانب أثر المنطق في علم النحو العربي أثر أيضاً لبعض فروع التعليم على نحو من الأنحاء في تنشئة علوم اللغة نفسها ؟

طبيعي أن يكون للنهضة العلمية في الإسلام أثر في اللغة . وأثر النهضة العلمية في الإسلام في اللغة يرجع جله في نظري إلى العلوم المنقولة إما بالأصالة والمباشرة وإما بالتبعية والواسطة .

فالعلوم المنقولة والعلوم التي كان للعلوم المنقولة أثر في تنشئتها ووضع طرق النظر فيها ، هذه جميعاً قد تناولت معاني ومدلولات لم يكن يتسع لها أفق التفكير عند عرب الصحراء من قبل . فلم يكن مندوحة من أن توجد لها في وسائل التعبير دلالات ازدادت بها اللغة ذخراً في الألفاظ المفردة ودقة في أداء المعاني بالألفاظ المركبة .

وقد جرى تأثر اللغة بالنهضة العلمية في الإسلام على وجوه ثلاثة كما هو معروف :

أحدهما التعريب فصار في اللغة ألفاظ أعجمية عربت أكثرها لأسماء النباتات

والحيوانات والأحجار والعقاقير والأمراض
وبعض أسماء العلوم والآلات وما إلى ذلك .
والثاني التعارف على معاني جديدة لألفاظ
عربية ولمشتقاتها إما بالتخصيص وإما بالنقل .
والثالث ابتكار صيغ جديدة تركيبية
واشتقاقية ليست كما يقال عربية الأصل .

ولو أن اللغة قد تأثرت على هذا الوجه
الذي اقتضته ضرورة مسايرتها لحاجات العلوم
المختلفة في ذلك العصر فإن التأثير الذي انتابها
لم يكن تطوراً بمعنى الاستحالة والتغير .
فاللغة العربية احتفظت بكيان توافرت فيه
مشخصات ذاتية معينة .

إن قيل إن هذه لم تكن جميعاً من مقومات
لغة واحدة بالذات ، احتفظت العربية بصورتها
فليس ذلك بقادح فيما أقول مادامت العربية
قد ألبست ولو تعمدوا وقسروا منذ أول أن
بدأت تتعرض إلى هذه المؤثرات صورة معينة
أصبحت هي الصورة الطبيعية للعربية التي
نعرفها الآن .

فلغات الصحراء لو أنها كانت قد تركت
وشأنها في ظروف بيئتها الصحراوية الأولى
لكانت قد استنفدت غرضها وتحجرت من
قديم . ولو أنها تركت أيضاً من غير ضابط
وما عرض لها من عوامل أوجبت مسايرتها
لحاجات العصر لتبليت تبليلاً من المؤكد كان
قد أخرجها عن صورة العربية التي نعرفها الآن .

إنما قدر أن يفرغ للعناية بها علماء ضبطوا
على قدر ما أتاحت لهم ظروفهم وأتاح لهم
اجتهادهم أصولها . ووضعوا وضعاً لم يخل الأمر

فيه من تحكم ، قواعد وأحكاماً تراعى لا لتقييد
نموها الطبيعي بل للاحتفاظ لها بصورة
استخرجوا مثلاً على الأخص من لغة القرآن
الكريم .

وتلك القواعد والأحكام ولو أنها بدأت
بكونها أوصافاً للغة صارت قوانين مطالباً أهل
اللغة باتباعها .

إذن تناول اللغة عاملان : أحدهما طبيعي وهو
عامل النمو ، والآخر تقييدي إرادي يعمل نحو
حفظ الصورة على المثال المختار . وعندى أنه
كان من الخير العظيم ومن مظاهر عناية الله
بهذه اللغة أن تدارك أمرها منذ أول الأمر
علماء اللغة قبل أن يفلت العنان من أيديهم ،
وأن تعارف أصحاب العلوم المختلفة بل أهل
العربية عامة على تلك القواعد والأحكام
الموضوعة ، فالتزموها ولم يحاولوا الخروج
عنها أو التحرر من قيودها .

ولو أنهم فعلوا إذن لانتاب هذه اللغة
تطوراً بمعنى النمو والاتساع بل بمعنى الاستحالة
والفساد ، ولما قدر للعربية التي نعرفها الآن أن
يثبت أصلها وتتسع وتنمو فتصير لغة العلم
والمعرفة والحضارة في العالم حتمية من الدهر ،
بل ولما اتيج لها أن تبقى والحياة تنبض فيها إلى
يومنا هذا .

هذا ما أحبت أن أذكره عن النقل القديم .

أما عن النقل الحديث فنحن في موقف
يشبه إلى حد موقف الإسلاميين في صدر
الدولة الإسلامية . ولكن مع الفارق .

فالمقدمون نقلوا علوم الأوائل ونحن ننقل علوم المعاصرين .

وعلوم الأوائل كانت محدودة مدونة وجدها الإسلاميون في حالة ركود ونحود .

وعلوم المعاصرين في خلق جديد من بعد خاق . في حركة ليست مستقرة ولا متزنة نحن بوصفنا أصحاب لغة لانشارك فيها بل وقوف نرقبها عن بعد .

وأيضاً قام بنقل علوم الأوائل قوم ما كادوا يجتازون مرحلة النقل حتى أصبحوا هم أنفسهم أهل العلم . فصار لهم الحكم والقول الفصل في فرض لغتهم على العلم نفسه . ثم إن لغتهم كانت لغة القوة والسلطان فلا غرابة في أن سيطرت وسادت وصارت وحدها لغة العلم والحضارة طوال ما كان أهلها محتفظين بعلومهم إلى جانب احتفاظهم بقوتهم وسلطانهم .

ونحن أهل العربية في موقفنا اليوم لانزال في مرحلة التلمذة . نحصل ما نحصل من العلم المعاصر المتجدد بلغة أصحابه . فندرس ونفكر بغير العربية . وما نعلم بالعربية فهو القليل من المبادئ .

في حين أن المعلمين السريان كانوا يتلقون العلم بالسريانية أو اليونانية ولكنهم بحكم الظروف كانوا يعلمونه بالعربية .

والدولة وقتئذ شاركت في إخراج العلوم إلى العربية وجعلته أمراً تكفلت على قدر ما يلائم ظروف ذلك العصر برعايته وتيسير سبله .

فإخراج العلوم إلى اللغة العربية أراه في الوقت الحاضر أشبه بالهواية إن عني به بعض الأفراد فللتسلية — عملاً لم يبدأ بعد على صورة العمل القوي الذي تعني به الجماعة وتعني به الدولة .

هذه هي الملابس في الواقع ونفس الأمر حسبما تبلو لي .

ولكن لآمانع من أن نبحت عن الكيفية التي يتسنى بها إخراج علوم المعاصرين إلى العربية .

وعندي أنه لآمنوحة من ثلاثة طرق لا يغني بعضها عن الآخر ، وإنما يتطلب الأمر سلوكها جميعاً .

أحدها الاستفادة بما استطاعه المتقدمون . فليست أشك في أن العربية وقد كانت لغة العلم والمعرفة حقبة من الدهر قد استغرقت المعاني العلمية والفلسفية التي اتسع لها أفق التفكير إلى إبان عصر النهضة في أوروبا . وليست أشك في أنها زاهرة بمصطلحات تدل على كثير من المعاني والمدلولات التي تتناولها العلوم الحديثة وأراها أدل على تأديتها من ألفاظ غيرها شائعة الآن .

والطريق الثاني التعريب واستعمال اللفظ الأجنبي .

والتعريب قد أقره الجميع ولكنه اشترط فيه شرط الضرورة . وهو في نظري شرط معطل لا منجز . فن أيسر اليسير التشكيك في

قيامه ، إذ يكفي العثور على لفظ عربي يمس المعنى المقصود عن قرب أو عن بعد ، بالواسطة أو بالمباشرة ، بتكلف أو من غير تكلف ، بالحقيقة أو بالمجاز - يكفي هذا للتدليل به على انتفاء الشرط وعدم جواز التعريب . لذلك أرى أن نكون عمليين فنستبدل بشرط الضرورة شرط الحدائث ، أي أن يكون المعنى الذي يجوز فيه تعريب اللفظ الأجنبي أو إدخاله في اللغة من مستحدثات العلوم الحديثة أو أن يكون المدلول من مكشوفاتها . وهو أمر في مقدور المشتغلين بالعلوم أن يقطعوا فيه بحكم . ومن السهل أن يتحقق الجمع صدق الحكم فيه إذا أتم استقراء المعاني الفلسفية والعلمية التي تناولها الإسلاميون في كتبهم ومؤلفاتهم .

والطريق الثالث هو في نظري أوعر الطرق وله شعب منها أن يستعان للتعبير عن المعاني المؤلفة أو المدلولات المركبة متى وجدت لبسائها أو لأجزائها ألفاظ عربية أو ألفاظ معربة بقواعد تنتحى للنحت سواء أكان النحت من لفظين أم أكثر .

ومنها أن يستعان في ذلك باللفظ المركب ، وفي كلتا الحالتين يقتضى الأمر تبيان السبيل إلى الاشتقاق من اللفظ المنحوت أو المركب وإلى النسبة إليه وإلى صيغ جمعه وما إلى ذلك .

وأيضاً فإن حاجات العلوم الحديثة لاتوفى كلها بالنحت أو بالتركيب . بل لعل الأمر فيها قد يحتاج أيضاً إلى الاستعانة بصيغ عربية تخصص للدلالة على معاني معينة تخصيصاً تميزه معاني بعض الألفاظ الواردة على تلك

الصيغ . وهذه ناحية ليس من السهل التنبؤ عن أبوابها بادئ ذي بدء . وإنما يحضرني فيها مثال عرض في بعض اللجان ونبه إليه زميلنا الدكتور أحمد زكي .

ففي علم الطبيعة مثلاً مدلولات ومعان تقسم أنواعاً أو تميز أجناساً بصفة أو بمعنى يشترك فيه أفراد النوع الواحد أو أنواع الجنس الواحد . فقد تكون تلك الصفة أو المعنى المشترك الوحدة في الكتلة أو الوحدة في المكان أو في الترتيب على نسق مقرر معتمد . أو الوحدة في الجهد أو الطاقة أو الدرجة أو ما إلى ذلك .

وفي اللغة يقال عن الأشياء التي صفتها المشتركة الوحدة في الجنس إنها متجانسة وفي الشبه إنها متشابهة وفي الشكل متشاكلة وفي الوزن متوازنة وفي السمات متسامية وما إلى ذلك . فلم لانقول للدقائق المكشوفة حديثاً التي صفتها المشتركة الوحدة في الكتلة إنها متكاثلة وفي المكان إنها متماكنة وللأشياء ذات الجهد الواحد إنها متجاهدة وللذات الطاقة الواحدة متطاوقة ، فنخصص صيغة متفاعل لهذا المعنى ؟

في اعتقادي أن الحاجة إلى حلول ذات صفة عامة للمشكلات القائمة هي أشد إلحاحاً وأولى بالعناية من الحاجة إلى استكمال وضع مفردات الألفاظ لمفردات المصطلحات . أنا لا أنكر مافي هذا العمل من الفائدة . ولكنه في نظري يأتي في المرتبة الثانية من الأهمية . ولا ينبغي أن يكون غاية في ذاته بل ينبغي أن ينظر فيه

لمستلزمات صناعتهم وملابسهم أعمالهم . فها هنا طرق ثلاثة ، أحدها ينكشف به ذخر غيبه . والثاني تزداد به اللغة ذخراً جديداً ، والثالث تنفتح به في اللغة أبواب هي أشبه بالأبواب المغلقة إذا هي فتحت لا خطر منها على سلامة البنيان .	على الوجه الذي يتعرف منه بالمشكلات الكلية فيبحث عن حلولها الكلية لأعلى الوجه الذي يكتفى فيه بمجرد وضع اللفظ للمصطلح . وخصوصاً أن أمر المصطلحات المفردة موكول بطبيعة الحال إلى المشتغلين بالعلوم . وهم قوم إن لم أقل لم ذوقهم الخاص فإن لم تقديرهم
---	---

وصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء

لحضرة العضو المحترم الشيخ محمد الخضر حسين(*)

جرى اختلاف بين أدباء العصر في صحة عبارة وقعت في منشور الكتاب ، ومنظوم الشعراء ، منذ عهد بعيد وهي العبارة التي يوصف فيها الجمع بصيغة فعلاء .

وأول مناقشة جرت في هذا كانت بين الأستاذ فريتس كرنكو العرباني الجرمانى ، والأب أنستاس الكرملى حيث كان الأب أنستاس يستعمل في مجلته « لغة العرب » فعلاء وصفاً للجمع كأن يقول : الأشجار الخضراء ، بدلا من الأشجار الخضر ، فأنكر عليه الأستاذ كرنكو بدعوى أن هذا الاستعمال خطأ ، ورد عليه الأب أنستاس بأن من مزايا لغة العرب وصف المنعوت المجموع من غير العاقل بصيغة المفردة المؤنثة ، وأورد شواهد فيها وصف الجمع بصيغة فاعلة نحو الأيام الخالية ، وقطوفها دانية . وتناولت الصحف والأندية الحديث عن هذه المسألة باحثه عن وجه الحق في هذه العبارة ، فبدأ لى أن ألقى نظرة فاحصة بين نظراتهم حتى أثق بفصاحة هذا الوصف ، وتناولته من حيث القياس والسماع ، فكان ملخص البحث ونتيجته ما يأتى :-

يقول علماء العربية : يجوز وصف الجمع المكسر لغير العاقل بالمفرد المؤنث ، غير أن وصفه بالمفرد المؤنث بالتاء كثير شائع ، ووصفه بالمفرد المؤنث بالصيغة قليل . والمراد من المؤنث بالصيغة ما كانت علامة تأنيثه ألف التأنيث المقصورة أو الممدودة . فالحكم الذى

قرروه عام ، ولكنهم اقتصروا فيما رأينا على التمثيل بما فيه ألف التأنيث المقصورة ، قال أبو البقاء فى الكليات : « والجمع المكسر لغير العاقل يجوز أن يوصف بما يوصف به المؤنث ، نحو : مآرب أخرى وهو قليل » ثم قال « والجمع يوصف بالمفرد المؤنث بالتاء وهو شائع ، وقد يوصف بالمفرد المؤنث بالصيغة كما فى قوله تعالى : « من آيات ربه الكبرى » .

ومازال الناس يحملون ماقرره علماء العربية من جواز وصف جمع التكسير لغير العاقل بالمفرد المؤنث على عمومته ، دون أن يتعرض أحد لمنع وصفه بفعلاء .

وورد وصف الجمع بصيغة فعلاء فى أشعار هذا العصر كما قال الأستاذ خليل مطران فى رثاء شوقي :-

يملو نبوغك كل يوم آية
عنداء من آياته الفـراء
فقد وصف الآيات وهى جمع بفراء .
وقال أيضاً :-

النيل يجرى من عميق دافق
من حيث ينبع فى الربا الشـاء
وقال الأستاذ بشاره الخورى فى رثاء شوقي :-

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الحادية عشرة للمؤتمر (١٨ من فبراير ١٩٤٨) . انظر القرار الأول من « القرارات الملحة » فى هذه الدورة .

وقال اليازجى : « وبوده أن يكون فداء عن أيادهم البيضاء » .

وورد في أشعار المولدين فعلاء خبرا عن ضمير يعود على جمع ، كما قال أبو تمام : -

هيا حسن الرسوم وماتمشي
إليها الدهر في صور البعاد
وإذ طير الحوادث في رباها
سواكن وهي غناء المراد
فقوله غناء المراد خبر عن الضمير العائد
إلى الرسوم أو إلى رباها .

وقال ابن هاني : -
طويت لي الأيام فوق مكاييد
ما ينطوي من فوقها الأعداء
ما كان أحسن من أيادها التي
توليك إلا أنها حسناء

وقال أبو الطيب المتنبي : -
مضاب لبنان وكيف بقطعها
وهو الشتاء وصيفهن شتاء
لبس الثلوج بها على مسالكي
فكأنها ببياضها سوداء

فقوله سوداء خبر عن الضمير في قوله
(فكأنها) وهذا الضمير عائد على الثلوج أو
على المسالك .

وورد خبرا عن الضمير العائد إلى جمع بعد
الأخبار عنه بالمفرد المؤنث بالتاء كما قال
ابن هاني : -

لولامشيب بفودي للفؤاد عصا
أنضيت في مهمة التشيب لي قلصا
واستوقفت عبراتي وهي جارية
وكفاء توهم ربعا للحبيب قصا

قاموا على سرر الأعراس وانتبهوا
على صياح بكى الطرف عائره
على ماتم من طير ومن شجر
خرساء كالقبر غرقى في دياجره
فوصف الماتم وهي جمع بقوله خرساء :
وورد وصف الجمع بفعلاء في كثير من
شعار المولدين قبل هذا العصر كما قال القاضي
فاضل عبد الرحيم (١) .

متكفن بملابس
حمراء وهي تعود خضرا
وقال برهان الدين القيراطي المتوفى سنة ٧٨١ :

شرف الله أحدا سيد الخلا
ق بأسنى المواهب الحسنا
وقال :

قد تشرفت حيث صغت قريضا
في معاني صفاتك العلياء

وقال الإشبيلي (٢) : -
أفديه أن أخذ الطلا منه وقد
دعت الكرى أجفانه الوطفاء

وقال مهيار الديلمي : -
راكب العز في مفاوزها اليه
سما سار لا يركب التغيرا

فوصف المفاوز وهو جمع باليهما ، قال
صاحب الأساس : « مفازة يهما » مافيا ماء ،

(١) معاهد التنصيص ج ١ ص ١٩٧ .
(٢) كتاب تراجم بعض أعيان دمشق
لابن شاشو ص ٢٢١ .

وجرى على هذا ، المرحوم حافظ إبراهيم
فقال :-

يستنطق الآلام وهي دفينه
خرساء حتى تنطق الآلامُ

فأخبر عن الضمير العائد إلى الآلام بفعلاء
بعد أن أخبر عنه بالمفرد المؤنث بالتاء . ونسج
على هذا المنوال المرحوم مصطفى صادق الرافعي
فقال : « وترد الأمواج نقية بيضاء كأنها عمام
العلماء » .

وورد خبراً عن ضمير يعود عن
اسم جمع ، كما قال ابن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠ في طير أبابيل من سورة الفيل : ثم
اختلفوا في صفتها فقال بعضهم كانت بيضاء ،
وقال آخرون كانت سوداء ، وقال آخرون
كانت خضراء ، والطير اسم الجماعة مما يطير
والواحد طائر .

وورد فعلاء في أشعارهم حالا من الجمع
كما قال ابن الخطيب : (١)

ولك الجوارى المنشآت وقد غدت

تحتال في برد الشباب وترفل

جوفاء يحملها ومن حملت به

من يعلم الأثنى وماذا تحمل

فقوله جوفاء حال من الجوارى المنشآت
أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي أعنى
الجوارى .

وقال الطغرائي يمدح أبا الفضل أسعد بن

محمد بن موسى :- (٢)

قد قلت للمزجي قلائصه

حدباء يعرق لحمها الجذبُ

(١) تفتح الطيب ج ٤ ص ١٧٥ .

(٢) مختارات البارودي ج ١ ص ٩٢ .

فقوله حدباء حال من جمع وهو قلائصه .

ووردت وصفاً لجمع محذوف بعد وصفه
بصفة المؤنث بالتاء قال المتنبي :-

وبساتينك الجياد وما نحمـ

سل من سمهرية سمراء

وقال الأبيوردي :-

ولو استطيل على الحمام بعزة

رفعت له اليزنية السمراء

واليزنية : الرماح نسبة إلى ذى وزن .

وملخص البحث أن علماء العربية أطلقوا
في صحة وصف جمع غير العاقل بصفة المفردة
المؤنثة ، فدخل في إطلاقهم وصفه بفعلاء ،
ولم نر أحداً منهم خص هذا الحكم بصيغتي
فاعلة وفعل ، ثم إن الوصف بها ورد في كلام
العلماء والأدباء كثيراً كما ورد في عبارة ابن
جرير الطبري وورد في شعر أبي تمام والمنتبي
ما يدل على صحته ، وقد قال صاحب الكشف
اجعل مايقوله أبوتمام بمنزلة مايرويه ، وقال
الشهاب الخفاجي في شرح درة الغواص : اجعل
مايقوله المتنبي بمنزلة مايرويه . ثم إن قياس
فعلاء على فعل وفاعلة في صحة الوصف بهما
من الأقيسة التي تتلقاها اللغة العربية على الرحب
والسعة .

وبناء على هذا أقترح على مؤتمر الجمع
الموقر أن يصدر قراراً في صحة التركيب الذي
يوصف فيه جمع غير العاقل بصيغة فعلاء ،
قطعاً للمناقشة التي تدور حول هذا الأسلوب .

بين اللغة والنحو

لحضرة العضو المحترم الشيخ عبد القادر المغربي (*)

(توهم الأصالة) أخرج عليها ما ذكره علماء اللغة في تأويل بعض الكلمات المخالفة للقياس في صيغتها وأضيف إلى كلماتهم التي ظفرت بها كلمات أخرى من بابها كنت أهتدى إليها من وقت إلى آخر . وأجعل كل ذلك مقيساً بموجب قاعدة (توهم أصالة الحرف الزائد).

وعلماء اللغة وإن كانوا أنكروا على عمارة قوله (أرياح) ولم يرضوا منه اعتذاره بانجذاب طبعه إليها - فلأنهم عادوا هم أنفسهم فقدروا توهمه وانجذاب طبعه قدرهما وجعلوا يعللون ما خالف القياس في الكلمات بما اعتذر هو به أعني بتوهم أصالة الحرف الزائد . حتى أنهم سوغوا أرياح في جمع ريح وعللوه بالتوهم وقاسوا عليه (أعياد) في جمع (عيد) وإن كان القياس أن يقال (أعواد) بالواو لأن أصل (عيد) عود لكن العرب توهموا أصالة الياء فيها أي في (عيد) فجمعوها على أعياد . وهو عذر عمارة نفسه في قوله (أرياح).

وهاكم أيها السادة مثالا آخر مما خرجوه على قاعدة التوهم قولهم (تمنطق) فعلا مشتقاً من كلمة (منطقة) ومعنى تمنطق شد المنطقة على وسطه وكان القياس أن يقال تنطق من دون ميم لكنهم توهموا أصالة (الميم) الزائدة في منطقة وانجذب طبعهم إلى إقحامها (أي الميم) في صيغة الفعل فقالوا (تمنطق) على

لدى بحثان في موضوعين لغويين نحويين يتجهان في طريقة إخراجهما اتجاهات متشابهة وفيه تعاكس . أحدهما عنوانه (توهم الأصالة) أي توهم أصالة الحرف الزائد في بعض كلمات من اللغة خولف فيها القياس . والبحث الآخر عنوانه (توهم الزيادة) أي توهم زيادة الحرف الأصلي في بعض كلمات من اللغة خولف فيها القياس أيضاً . وقد بنى على كل من التوهمين حكم .

أما البحث الأول أعني (توهم الأصالة) فقد نبهني إليه خبر رواه صاحب الأغاني عن عمارة بن عقيل من شعراء البادية في القرن الثالث للهجرة .

كان عمارة هذا من بطراً على الحضرة فتؤخذ عنه اللغة : سمعه أبو حاتم السجستاني يوماً يقول في شعره : (الأرياح) بالياء في جمع ريح فقال له أبو حاتم : هذا لا يجوز إنما هو الأرواح بالواو . فقال عمارة معتذراً لقد جذبني إليها (أي إلى أرياح) طبعي . أما تسميعهم يقولون (رياح) فأجابه أبو حاتم نعم ، ولكن هذا شيء وذاك شيء آخر . أقول . والفرق بين الشئين معروف لديكم فلا حاجة إلى تفصيله . فعمارة توهم أصالة الياء في (ريح) أي ظنها أصلية لا منقلبة عن واو فقال في جمعها أرياح والقياس أرواح .

وقد استملحت ماجاء في هذه الرواية من خبر هذا الأعرابي القح فرأيت أن اقترضها وأستنبط منها قاعدة لغوية عامة أسميتها قاعدة

(*) التي هذا البحث في الجلسة الحادية عشرة لدؤتمر (١٨ من فبراير ١٩٤٨) . انظر القرار الثاني من «القرارات العلمية» في هذه الدورة .

نحو صنيع حمارة بن عقيل في توهمه وانجذاب طبعه في أرياح . ولا يخفى أن هذا التوهم لا يؤخذ به في تعليل كل كلمة خالفت القياس ويكون فيها حرف زائد، وإنما يؤخذ به في بعض الكلمات مما يكثر دورانه على الألسنة بحيث يخيل إلى الناطقين به أنه اسم جامد، ككلمات ريح وعيد ومنطقة وغيرهما مما ذكرته المعاجم، عدامالمته أنا من هنا وهناك حتى بلغ مجموعها أكثر من خمسين كلمة، وهو مقدار كاف في اعتقادي لتبني عليه قاعدة توهم أصالة الحرف الزائد وآخر تلك الكلمات ما سمعته هنا (أى في مصر) مما ينظمه بحثي هذا ويدخل في موضوعه قول بعض الكتاب (تمجمع وتمجمعوا) يريدان تختب وانتخبوا أعضاء للمجمع وقول أدبية مشهورة (مُصيف) في تصغير من اسمه (مصطفى) كل ذلك من توهم أصالة (الميم) في كلمتي (مجمع) و (مصطفى) وانجذاب طبعهم إلى إدخالها في صيغة فعلها على غير القياس والقياس (تجمع) و (صنى) .

وعلماء اللغة لم يزيلوا في تعليل مخالفة القياس في هذه الكلمات بأكثر من قولهم (توهم أصالة الحرف) من دون أن يشيروا إلى أن هذا التوهم قاعدة يصح القياس عليها. أما أنا فقد اقتحمت العقبة وجعلتها قاعدة مقبسة لكثرة الكلمات التي ظفرت بها كما أشرت آنفاً. وسأفرد لهذا البحث بحث (توهم أصالة الحرف) مقالا أسهب فيه الشرح وسرد الكلمات التي قلت إنني ظفرت بها وأتلوه عليكم في إحدى جلسات المجمع من عام قابل إن كان في العمر بقية .

أما حديثي في هذه الجلسة فهو في الموضوع

الآخر المشابه للبحث الأول من جهة والمعاكس له من جهة أخرى كما أشرت إليه في صدر المقال، وقد سمعته (توهم الزيادة) أى زيادة الحرف الأصلي في الكلمة بحيث يسوغ لنا هذا التوهم استعمال تلك الكلمة وإن كانت مخالفة للقياس في صيغتها . وقد نشأت لدى الفكرة في هذا البحث (أعني بحث توهم الزيادة) من عهد قريب ولنا لم يعلق بكفى من شواهدنا إلا كلمتان وثالثة أخرى .

(الكلمة لأولى)

قول العرب (أشياء) في جمع شيء . والإشكال في هذا الجمع أنهم منعه من الصرف مع أن صيغته وهى صيغة (أفعال) ليست من صيغ الجمع التي اعتبروها علة مانعة من الصرف : فالخليل وسيبويه قالا في تعليل منع (أشياء) من الصرف إن أصلها (شيئاء) وإن الألف والهمزة في آخرها للتأنيث وإنها أى شيئاء جمع لشيء كما أن قصباء الممنوع من الصرف جمع لقصب . لكنهم (أى العرب) قلبوا أو يقال قدموا همزة شيئاء الأولى وقالوا أشياء فبقى أشياء على رغم هذا القلب ممنوعاً من الصرف لابعلة أنه جمع بل بعله ما في آخره من ألف التأنيث الممدودة .

وقال الأخفش والفراء مثل قول الخليل وسيبويه من أن أشياء ممنوع من الصرف لمكان ألف التأنيث الممدودة في آخره لكنهما خرجا (أشياء) ليصح منعه من الصرف تخريجاً آخر فقالا : إن وزنه ليس فعلاء كقصباء كما قال الخليل وسيبويه وإنما وزنه (أفعلاء) كأنصباء في جمع نصيب فأشياء إذن أصلها شيئاء حذفت همزتها الوسطى فأصبحت أشياء وبقيت ممنوعة

هو لاء علماء اللغة رضوا لأنفسهم أن يتولوا
تمنطق بناء على توهم أصالة الميم في (منظومة)
فلماذا لا نرضى لأنفسنا أن نقول إن منع
حرف (أشياء) كان بناء على توهم زيادة
الهمزة في آخرها استثناساً بقول الكسائي ثم
نتخذ من قوله مستنداً لرأينا ؟

(الكلمة الثانية)

والكلمة الثانية المضروبة على غرار (أشياء)
في كون منعها من الصرف مبني على القاعدة
التي سميتها (توهم الزيادة) - قولهم (براء)
على وزن (غراب) في جمع (بريء) وبديهي
أن الهمزة في آخر (بريء) أصلية لأنه وصف
من البرء فيكون (براء) الذي هو أحد جموع
(بريء) منونا مصروفاً لا ممنوعاً من الصرف
لعدم وجود علة المنع فيه . لكن قوماً منوا
(براء) من الصرف لأنهم استبعدوا أن تكون
جمعاً لبريء مالم يكن أصلها (براء) بهمزتين
بينهما ألف مد : الهمزة الأولى أصلية والثانية
لإفادة الجمعية والتأنيث . فبراء إذن جمع
مضروب على غرار فقهاء في جمع فقيه وكرماء
في جمع كريم ونحوها ، وهذه الجموع ممنوعة
من الصرف لمكان ألف التأنيث فتكون (براء)
أيضاً ممنوعة ، غير أنها (أي براء) لم تبق على
حالتها وإنما تلاعبوا بها فحذفوا همزتها الأولى
وأصبحت (براء) على وزن غراب وبقيت
بعد هذا الحذف ممنوعة من الصرف كأصلها
الذي هو (براء) .

وفي هذا التخريج لمنع الصرف تعسف
صارخ كما لا يخفى . والأحجى بالتبول أن
نخرج منع (براء) من الصرف - عند من
يقول به - على قاعدة (توهم الزيادة) أي
توهم زيادة الهمزة التي في آخرها لإفادة التأنيث
وبسببها منعت من الصرف وإن كانت الهمزة

من الصرف لمكان ألف التأنيث الممدودة في آخرها .
وفي كلا القولين تعسف وفي تخريجهما إبعاد
وتكلف . وكأن الكسائي رحمه الله لاحظ هذا
منهما فرأى رأياً في منع صرف أشياء فيه
تقريب وفيه تسهيل وفيه مقابلة الواقع وجهاً
لوجه من دون مراوغة . لكن قوله جاء مدججاً
رأيت تبسيطه على هذه الصورة .

إن وزن أشياء (أفعال) وليس وزنه شيئاء
ولا أشيئاء وهو جمع لشيء . كما أن أفياء جمع لفيء
وأفياء مصروف لأن همزته الأخيرة أصلية
لا زائدة للتأنيث فيكون أشياء مثله (أي مثل
أفياء) مصروفاً . لكنهم منعه من الصرف لأمرين :
(الأمر الأول) لكثرة استعماله وتكرره في
كلام الناس فنعه ابتغاء التخفيف .

(والأمر الثاني) مشابهته (أي مشابهة أشياء)
لحمراء . هذا ما قاله الكسائي وقد أصاب .
ولا أفهم من قوله (مشابهة أشياء لحمراء)
إلا أن العرب لبس عليهم أمر همزة أشياء
الأخيرة فتوهموها زائدة كزيادة همزة حمراء
ولاسيما أن قبلها ألفاً كالف حمراء . وحمراء
ممنوعة من الصرف فتكون (أشياء) مثلها ممنوعة .

وهذا ما جعلني أقول إن منع أشياء من
الصرف إنما وقع بناء على توهم الزيادة أي
زيادة همزتها الأخيرة وإلا فهي أصلية محضة
كهزمة أفياء .

وبهذه الطريقة نكون قد وقعنا على قاعدة
جديدة في اللغة أو في النحو فيها لين وفيها سهولة
وفيها تخفيف ورحمة ونسميها (قاعدة توهم
الزيادة) بحيث يصح لنا أن نخرج عليها بعض
الألفاظ التي نحول فيها القياس .

في الواقع ونفس الأمر أصلية كأصالة همزة أشياء. وعحصل القول أن علماء اللغة خرجوا بعض الصيغ الشاذة على قاعدة توهم الأصالة كجمع أرياح وفعل تمنطق، وأنا خرجت هذين الجمعين (أشياء) و (براء) الممنوعين من الصرف على قاعدة سميتها (توهم الزيادة) محاكاة لتسمية القاعدة الأولى، وإذا قد تقرر في علم الأصول أنه لا بد في الاجتهاد الديني من سند ماثور يستند إليه المجتهد فقد جعلت مستندى في إثبات قاعدة توهم الزيادة قول الإمام الكسائي في تعليل منع صرف (أشياء) : (إنها أشبهت حمراء) وهذه المشابهة جرت إلى الاشتباه . والاشتباه والتوهم أخوان مضيعة لبان. وغرضي مما عرضته أن يكون لدينا قرار في أن منع الصرف في (أشياء) و (براء) إنما جرى على توهم زيادة الهمزة فيهما فنعا وهذا القرار يؤدي بالطبع إلى شيء من تفسير قواعد اللغة العربية . أو تفسير (عملية) الإعراب على الآتِل : فبدل أن يقول الطالب في إعراب قوله تعالى : (لاتسألوا عن أشياء) إن أشياء ممنوعة من الصرف لمكان الهمزة الزائدة في آخرها وهو قول كذب حبريت— يقول الطالب إن (أشياء) ممنوعة من الصرف لتوهم زيادة همزتها الأخيرة . وهذا التوهم حق لا ريب فيه بدليل منعها (أى منع أشياء) من الصرف . ويسهل حينئذ تغيير الضابط المشهور من قولهم (موانع الصرف تسع كلما اجتمعت) إلى قولنا (موانع الصرف عشر) .

(الكلمة الثالثة)

ويمكنني أن أعد من أمثلة (قاعدة توهم الزيادة) كلمة جرى (توهم الزيادة) فيها على تط آخر غير ما جرى عليه في (أشياء)

و (براء) وهي كلمة (الأملاك) جمعاً للملك مراداً به واحد ملائكة السماء. فإن القول المشهور في تصريح (ملك) أن أصله (مألك) مشتقاً من (الألوكة) بمعنى الرسالة . والفعل منه (ألكه) . إذا أبلغه الرسالة . فحدث في (مألك) قلب أى تقديم وتأخير وقيل مألك ثم حذفوا الهمزة تخفيفاً فقيل (ملك) . ويجوز إبقاء الهمزة مع تسهيلها ألفاً فيقال (ملاك) وقد غلب هذا التسهيل في اللهجة النصرانية : ملك الرب وبأملأكي كما غلب حذف الهمزة في اللهجة الإسلامية وفي القرآن (إن هذا إلا ملك كريم) .

ثم إن مألك وملاك يجمعان على ملائكة وهو القياس ، أما ملك المستعملة في اللهجة الإسلامية فتجمع أيضاً على ملائكة باعتبار أن الجموع ترد الأشياء إلى أصولها إذ أن أصل ملك مألك كما مر . لكن العرب كما جمعوا ملك على ملائكة جمعه أيضاً على (أملاك) . وجمعه على أملاك ليس قياساً لأن القياس أن ترد الجموع الأشياء إلى أصولها وإذا رد ملك إلى أصله قيل مألك ويكون جمعه ملائكة لا أملاك فكيف جمع على أملاك إذن ؟ جمع على أملاك بناء على أن العرب توهموا الهمزة في مألك زائدة لا أصلية وأن ميم (ملك) ولامها وكانها هي كل حروفها وما كان على وزن فَعَلَّ صحيح الحروف يجمع على أفعال كفرس على أفراس وفلك على أفلاك . وهكذا جمع (ملك) على أملاك بناء على توهم زيادة الهمزة في (مألك) ولولا هذا التوهم لوجب أن يقال في جمعه ملائكة، أما الآن فله (أى للملك) جمعان جمع جاء على الأصل المقيس وهو ملائكة وجمع غير مقيس وقد جاء على توهم زيادة الهمزة وهو أملاك.

هذا ما رأيت عرضه على الإخوان الكرام والسلام

نشأة المصطلحات الفلسفية في الإسلام

لحضرة العضو المحترم الدكتور إبراهيم بيومي مذكور(*)

والمصطلح أيضاً قيمته من الناحية التعليمية فهو يجمع المتعلمين على دلالات واضحة ، وييسر لهم استساغة الحقائق العلمية في قوالها اللفظية الثابتة . وكم يلاقى النشء وشباب المتعلمين من بلبلة واضطراب حينما يجدون أنفسهم أمام مصطلحات متناقضة أو متعارضة تتغير من كتاب إلى كتاب أو من أستاذ إلى أستاذ !

فالمصطلحات ضرورة علمية ، ووسيلة هامة من وسائل التعليم ونقل المعلومات .

ولم تتكون المصطلحات الفلسفية الإسلامية دفعة واحدة ، بل مرت بأدوار عدة ونشأت نشأة الفلسفة نفسها . فبدأت أول الأمر محدودة ضعيفة مترددة ، فكادت تقتصر على ألفاظ قليلة يؤخذ بها حيناً ثم يعدل عنها حيناً آخر ولكها ما لشت أن نمت وترعرعت وتعددت وتعقدت واختلفت مدلولاتها باختلاف الفلسفات والفلاسفة . وإذا شئنا أن نعرف مصادرها وكيفية تكوينها ، فجدد بنا أن نتجه إلى ناحيتين هامتين : المعتزلة من جانب وجماعة المرحمين من جانب آخر .

يقوم العلم على دعائم ثلاث . موضوع ينحصر فيه ، ومنهج يدور البحث على أساسه وطائفة من القوانين والقواعد يصبو إليها ويرتكز عليها . فالبحوث غير المحدودة الموضوع ليست من العلم وإن مهدت له ، والتي لا منهج لها لا تمت إلى للعلم الحقيقي بصلة . وقيمة كل علم فيما يشتمل عليه من قواعد ، وما ينتهي إليه من قوانين ونظريات ، وأسمى العلوم وأرفعها أدقها قوانين وأثبتها قواعد . ويمكن أن نلخص نشأة العلوم في جهود متلاحقة ومحاولات مستمرة ترمي إلى تحديد موضوعاتها ورسم مناهجها .

والمصطلحات والصيغ جزء من المنهج العلمي تساعد على التخصص وتعين على حسن الأداء وإذا كان للجواهر لغتها فإن العلماء يحرصون على أن يتميزوا بالفاظ خاصة بهم . خصوصاً وهذه الألفاظ ترمز لمدلولات دقيقة ومتشعبة وفي ذكرها ما يكفي لاستحضارها ، وإن لم يتفق عليها أضحى المجهود العلمي مجرد مناقشة لفظية قد لا يكون وراءها طائل فالمصطلحات العلمية تقرب المسافة بين الباحثين ، وتوفر المجهود ، وتصرفه كله إلى صميم البحث بدل أن يضيع في حواشيه ، وتزيل كثيراً من أسباب الخلاف ، وقد لاحظ لينتز - بحق - أن كثيراً من الخلافات العلمية يرجع إلى سوء فهم للمدلول اللفظي .

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر (٢١ من فبراير ١٩٤٨)

ويعتبر المعتزلة دون نزاع المؤسسين للمدرسة العقلية الأولى في الإسلام. بدءوا بدءاً دينياً ، ولكنهم - وقد حكموا عقولهم وغلبوا حرية الرأي على التسليم والتقليد - انتهوا إلى بحوث عقلية خالصة ، وأضحوا مفكرى الإسلام الأحرار . فلاءموا بين العقل والنقل ، وفلسفوا الدين قبل أن يُعرف الفلاسفة . ووضعوا دعائم علم الكلام ، أو فلسفة الإسلام الإلهية ، على أنهم لم يقفوا عند الإلهيات ، بل كانت لهم نظريات في الطبيعة والسيكولوجيا والأخلاق وقضوا نحو مائة وخمسين سنة ، من أخريات القرن الأول الهجرى إلى أوائل الربع الثانى من القرن الثالث ، يدافعون عن الدين ويردون شبه الزنادقة والملحدون ، وينهجون نهجاً عالياً في الجدل والمناظرة ، ويقدمون آيات بينات في الإقحام أو الإقناع .

وليتهم استمروا جميعاً يناضلون باسم العقل وفى سبيل الدين كما صنع معتزلة البصرة ولكن معتزلة بغداد أبوا إلا أن يخلطوا الدين بالسياسة فاقربوا من المأمون كل القرب ، وشاعوا باسمه أن يفرضوا على الناس آراءهم وتعاليمهم ، وتحولت حرية الرأي فى أيديهم إلى تحكم واستبداد . ومحنة خلق القرآن أصدق شأها . على ذلك ، وقد لاقى بعض المسلمين - وعلى رأسهم أحمد بن حنبل - مالا لاقى بسببها من عنت وإرهاق .

بيد أن السياسة لا تكاد تعطى حتى تأخذ ولا تكاد تؤيد حتى تخذل ، وما إن جاء المتوكل حتى أخذ مجد المعتزلة فى الأفول . وحل الجهمود والمحافظة محل اليسر والطلاقة . ولم يقف الأمر

عند هذا ، بل حمل الناس على آرائهم فحاربوها وعلى آثارهم فأبادوها ، وبذا قضوا على معظم مؤلفات مدرسة تعد من أكثر مدارس الإسلام إنتاجاً .

وهذا فى أغلب الظن من أهم الأسباب لنقص مادتنا أحياناً فى الاعتزال والمعتزلة : وسر ما يلحظ من قلة المصادر المباشرة فى هذه الناحية . إلا أنا نعتقد أن هناك كتابين نشرا أخيراً يمكننا أن نمددنا بهما « مقالات الإسلاميين » للأشعرى و « نهاية الإقدام » للشهرستانى . وفى ضمنهما إلى كتاب « الانتصار » للخياط وبعض كتب القرون الأخرى ما يسمع بإعطاء فكرة واضحة عن كبار المعتزلة واحداً واحداً .

وفى ضوء هذه المصادر نستطيع أن نقف على كثير من المصطلحات التى لحق إليها المعتزلة . وكان طبعياً أن يصطلحوا ، فقد بحثوا وأثاروا مشكلات عدة كان لابد لهم أن يعبروا عنها ويختاروا للدلالة عليها الألفاظ الملائمة . ولانشير هنا إلى اصطلاحاتهم الخاصة كالعدل والتوحيد والصلاح والأصلح ، والحسن والقيح العقليين والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين . وإنما نشير إلى تلك المصطلحات التى تبناها الفلاسفة من بعدهم ، وبقيت تردد فى المدارس المختلفة ، كالجزء الذى لا يتجزأ أو الجوهر الفرد والجسم والروح ، والجوهر والعرض . والحركة والسكون . ولهم تعبيرات تحمل صدى أرسطو وتردد آراءه ، كذلك الذى يعزى إلى أبى الهذيل العلاف فى قوله : « الله عالم وعلمه ذاته » .

فلدى المعزلة إذن مصطلحات فلسفية كما أن لديهم فلسفة ، وإذا كان التفكير الفلسفي الإسلامي قد نبت على أيديهم ، فليس غريباً أن تنبت معه الألفاظ والعبارات التي تؤيده. وأوضح ما يلحظ على هذه الألفاظ أنها عربية خالصة ، ذلك لأن واضعها تمكنوا من اللغة تمكننا تماماً ، فاستطاعوا أن يتخيروا لكل معنى أحسن لفظ يلائمه . وبلاغة واصل وأبي الهذيل والنظام والجاحظ كانت مضرب المثل ومبعث الإعجاب .

وأما المترجمون فقد بدموا أيضاً مهمتهم قبل أن يظهر الفلاسفة ، واستمروا يعالجونها بعد ظهورهم وعلى مقربة منهم . ولنا لندع جانباً ما حوول من ترجمات في أخريات القرن الأول الهجري على يدى خالد بن يزيد وعمر بن عبد العزيز ، وبعبارة أخرى ما ترجم في عهد بني أمية ، فقد كان محدوداً للغاية . والعباسيون هم الذين دفعوا الترجمة الإسلامية دفعة قوية وشاركهم في ذلك العظماء والوجهاء ، ومضت تسير في طريقها نحو قرنين أو يزيد . فاخترنا المترجمين الأكفاء وبدلوا جهوداً كبيرة في البحث عن الكتب القيمة ، وأنشؤا بيت الحكمة ليقم فيه المترجمون وتحفظ آثارهم .

وقد استوعبت الترجمة الإسلامية ألواناً شتى من الثقافة والمعرفة فترجمت كتب علمية وفلسفية ، وأخرى أدبية ودينية . وأفاد المسلمون من الثقافات الكبرى التي سبقتهم — شرقية كانت أو غربية — ونقلوا عن اللغات الآتية : العبرية والسريانية والفارسية ، والهندية واللاتينية ، واليونانية . ولم يكتفوا بأصل ولا

ترجمة واحدة للمؤلف الواحد ، بل حاولوا أن يجمعوا له عدة أصول وأن يترجموه غير مرة كي ينقلوا إلى العربية في أدق صورة ممكنة أفكار الأمم الأخرى .

ولسنا في حاجة أن نعرض لما نعم به هؤلاء المترجمون من حظوة لدى الخلفاء والأمراء ، فقد بعث في طلبهم إلى جهات عدة ، وأغدقت عليهم النعم من كل جانب . ويكفى أن نشير إلى أن الرشيد أعلن في حاشيته يوماً ، أن من أراد منه شيئاً فليسال جبريل بن بختيشوع الذي لا يرد له طلباً . ويحكى أن حنين بن إسحق كان يبيع مترجماته للمأمون بما يعادل وزنها ذهباً ، ولئن كان في هذه الرواية ضرب من المبالغة ، فإنها تدل قطعاً على مدى عناية الخلفاء بالمترجمات والمترجمين .

لم يقف المسلمون في البحث عن المترجمين عند جنس ولا عقيدة معينة ، فكان منهم الفرس والهنود ، والصابئة واليهود والمسيحيون . غير أن هناك جهات ثلاثاً لها شأنها ، قد غلت المسلمين بكبار المترجمين وأقوم الكتب العلمية والفلسفية وأنفعها ، ونعني بها الإسكندرية وجنديسابور وحران . ففي الإسكندرية بدت أول ترجمة في الكيمياء والطب دعا إليها خالد بن يزيد ، والكيمياء الإسلامية مستمدة في أغلبها من الإسكندرية ، والطب الإسلامي في أساسه جالينوسى أو بعبارة أخرى إسكندرية ذلك لأن الإسكندرية قد احتفظت بمعظم مخلفات جالينوس . ومدرسة الإسكندرية أو الأفلاطونية الحديثة ذات أثر واضح في مختلف المدارس العقلية الإسلامية . وباختصار نعتبر

الإسكندرية همزة الوصل بين أثينا وبغداد.

وأما جنديسابور فكانت مقر تلك المدرسة الطبية المشهورة التي أسسها كسرى الأول ، ومنها استمد المسلمون الكثير من أطبائهم ومترجميهم ، وخاصة آل بختيشوع الذين كان لهم شأن يذكر في تاريخ الترجمة والطب العربي.

وأما حران فكانت ملجأ الوثنية اليونانية بعد أن أعاق جوستينيان المدارس الفلسفية في الغرب . وقد أمدت المسلمين بطائفة من العلماء والمترجمين ، على رأسهم ثابت بن قرة ، والبناني الفلكي والرياضي ، وابن وحشية صاحب الفلاحة النبطية .

فعن هذه المدن الثلاث صدر معظم المترجمين وخاصة جماعة النساطرة واليعاقبة الذين أبقوا على الدراسات الفلسفية في الشرق . ودون أن نسترسل في الحديث عن هؤلاء المترجمين وما أكثرهم ! نخص بالذكر مدرسة لها خطرها ، وهي مدرسة حنين بن إسحق التي قضت نحو قرن في جمع المؤلفات القيمة المكتوبة باليونانية والسريانية ، وترجمتها ترجمة دقيقة . فقد ضمت حنيناً ، وابنه إسحق ، وابن أخته حبيشاً ، والحجاج بن مطر ، ويحيى بن البطريق ، وقسطا بن لوقا ، وفي هذه المدرسة كانت تُترجم الكتب القديمة ، وتعلم اللاتينية والسريانية لتلاميذ أتموا ما بدأ أساتذتهم ، فكان يترجم من اليونانية إلى العربية رأساً ، أو منها إلى السريانية ، ومن هذه إلى العربية .

وقد كان حنين وابنه إسحق يعرفان الفارسية واليونانية والسريانية والعربية ، وقد رحل حنين إلى القسطنطينية للبحث عن الكتب القديمة ، وقضى هناك عامين للتمكن من اللغة اليونانية ، ويصرح بأنه أعاد في شيخوخته ترجمة ما سبق له أن ترجمه في شبابه ، أو ما ترجمه سابقوه ومعاصروه ترجمة ناقصة ، وأنه كان يحرص الحرص كله على أن يقيم ترجمته على أصول يونانية . وإذا كان قد عني بالترجمات الطبية ومؤلفات جالينوس خاصة ، فإن ابنه إسحق قد وقف معظم جهوده على المترجمات الفلسفية وكتب أرسطو وشروحها بوجه خاص ، فترجم ما يزيد على نصف ما عرف منها في العربية وحرر ما سبق ترجمته منها . ولا أدل على هذا من أن الأب ألف الأسلوب الجالينوسي ، بحيث كان يستطيع الحكم على مخطوط طبي ما بمجرد قراءته إذا كان من وضع جالينوس أم لا . أما الابن فقد أضحي حجة في المترجمات الفلسفية ، ويشهد لذلك ما ورد في مخطوط ترجمة « الأورجانون » الموجود بالمكتبة الأهلية بباريس ، والذي أخذنا عنه صورتين فتوغرافيتين محفوظتين بمكتبة جامعة فؤاد الأول إذ يشارفيه إلى أن لإسحق ترجمة أخرى سابقة لمنطق أرسطو تسمى « الدستور » ، وهي بهذا تعتبر حجة المترجمين . ويمكننا أن نقرر بوجه عام أن إسحق وأباه هما أكبر مترجمي الإسلام .

ومادنا بصدد المترجمات الفلسفية فإنه ينبغي أن نشير إلى شخصيتين أخريين لها أيضاً شأنهما وهما أبو بشر متى ويحيى بن عدي اللذان عاصرا الفارابي ، بل لقد تتلمذ لأولهما وكان

ضموا إلى الدقة والنزاهة المقدرة العلمية واللغوية فكانوا أمناء في نقلهم دقيقين في عملهم ، يتحرون المصادر ويتثبتون منها كل التثبت ، وإذا كانوا قد أخطئوا في نسبة مؤلف إلى غير واضعه فتلك أحوال نادرة على أنهم ربما انساقوا إليها تحت تأثير من سبقوهم ، كما حدث في كتاب « الربوبية » الذي أثبت البحث أخيراً أنه إنما عزي إلى أرسطو خطأ قبل الإسلام وعلى أيدي السريان الأول

وأما كفايتهم العلمية فيشهد لها أنهم لم يكونوا مجرد نقلة ، وإنما كانوا يلمون بالنواحي التي يترجمون فيها . وقد بدأ سماهم ابن النديم العلماء المترجمين وعد الشهرستاني كثيرين منهم بين الفلاسفة . وحديثاً أطلق عليهم البارون كارا دي فور لقب الموسوعيين أو أصحاب دوائر المعارف Encyclopédistes ويظهر أنهم لم يكتفوا بهذه الثقافة الواسعة المتشعبة ، بل شاعوا أن يضيفوا إليها تخصصاً في بعض المواد وبعض الترجمات . فحنين بن اسحق طبيب تفرغ للطب وتخصص تقريباً في الترجمات الطبية ، وبوجه أخص في مؤلفات جالينوس . وابنه إسحق فيلسوف عني بالترجمات الفلسفية وكان له في ترجمة كتب أرسطو منزلة ممتازة وثابت بن قرة رياضي اتجه خاصة نحو الترجمات الرياضية . وترجمته « لعناصر » إقليدس معروفة مشهورة .

وقد ترك هؤلاء المترجمون من المؤلفات ما يبين نواحي ثقافتهم : ويبرز في وضوح مستواهم العلمي . وكان لهم شغف خاص بما سموه « المداخل » فدخل في الطب وآخر في

أستاذاً للثاني . وقد ساهم هذان العالمان مساهمة واضحة في ترجمة الكتب الفلسفية ، وإتمام ما قام به إسحق بن حنين ، وكانت لها قدم راسخة في ترجمة الكتب المنطقية ، وكثيراً ما أشير إليهما في مخطوط « الأورجانون » الذي تحدثنا عنه من قبل .

ولقد عرف المسلمون الفلاسفة السابقين لسقراط ، وأنصاف السقراطيين ، والسوفسطائيين والشكاك ، والرواقيين ، والأبيقوريين ، إلا أنهم لم يترجموا هؤلاء جميعاً شيئاً يذكر ، ولم يستوقفهم إلا مؤلفات أفلاطون وأرسطو وما عليها من شروح ، فترجم من محاورات أفلاطون بيقين الجمهورية ، والنواميس ، وطوماوس ، والسوفسط ، والسياسي ، وفيدون ، ودفاع سقراط ، وعربت كتب أرسطو كلها تقريباً . ولكي يفهم أرسطو جيداً كان لابد من ترجمة كتب شراحه ، فبدئ بثيوفرسطس ، وعنى عناية خاصة بالإسكندر الأفروديسي أو فاضل المتأخرين كما كان يسميه ابن سينا .

ولم يقف المسلمون عند مؤلفات جالينوس الطبية ، بل ضموا إليها كتبه الفلسفية لما لها من صلة بأفلاطون وأرسطو معا . وكان لشرح الإسكندرية أثر في تفهم النظريات الأرسطية ، بل ربما كانوا أقرب إلى المسلمين وأكثر قبولاً من الشراح القدامى وخاصة فورغوريوس ، وثامسطيوس ، وسيمبليقوس ، ويحيى النحوي .

وإذا ما شئنا أن نحكم على هذا المجهود العظيم ، وجدنا أن هؤلاء المترجمين قد

الرياضة وثالث في الموسيقى ، وهكذا . وكأنهم بذلك يجارون فورفوريوس في مدخله الذي شاء أن يقدم به « لمقولات » أرسطو .

ومهما يكن من أمر هذه المداحل ، فإنها مضمومة إلى مؤلفاتهم الأخرى تعتبر إحدى نقط البدء الهامة في الحركة العلمية والفلسفية في الإسلام .

وأما مقدرتهم اللغوية فتبدو فيما وصلنا من ترجماتهم ومؤلفاتهم . حقاً أنهم لم يتمكنوا من اللغة تمكن المعتزلة ولكن في أسلوبهم وضوح وبساطة تعين على فهم المعنى المراد . وعبارة مخطوط « الأورجانون » الذي أشرنا إليه من قبل سهلة مستساغة وإن لم تخل من ركافة أحيانا . والمهم أنها ترجمة صادقة لما كتبه أرسطو ، فقد قورنت بالأصل اليوناني وثبتت سلامتها ودقتها . ولقد قام برجشتراسر بدراسات مقارنة من هذا النوع فيما ترجمه حين ابن الصبغ ، وانتهى إلى أن هذا المترجم كان حريصاً كل الحرص على أن يؤدي الأصل الذي يترجمه أصدق أداء في اللغة العربية ولو أساء إلى جمال أسلوبه بعض الإساءة ، فالدقة مستوفاة بحيث تشعر القارئ بأن المترجم متمكن من ألفاظه وتعبيراته كل التمكن . وما قيل عن حين يمكن أن يقال عن مترجمين آخرين .

على أن هؤلاء المترجمين — كما أسلفنا — ما كانوا يعملون في انفراد ، بل كانوا متضافرين متعاونين ، ويمكن أن يقال أكثر من هذا إنهم كانوا متنافسين متسابقين يرمى كل واحد منهم إلى أن يسبق أقرانه ويقدم أصدق ترجمة ممكنة لما

يوكل إليه ، فإن لم يوفق أعيدت ترجمته أو صححت ونقحت . وإحصائية واحدة كافية في توضيح ذلك ، فثلاثة وعشرون شخصاً اشتركوا في ترجمة كتب أرسطو ، وكان نصفهم أو يزيد يجيد اليونانية والعربية وقد ترجموا له عشرين مؤلفاً ، وقدموا لها ٨٨ نصاً أي بمعدل أربعة نصوص أو يزيد للمؤلف الواحد ، وفي هذا مايسمح بمقارنة وموازنة كافية .

• • •

وقد ساهم هؤلاء المترجمون مساهمة فعالة في تكوين المصطلحات الفلسفية إلى حد أن قسطاً كبيراً مما تخبروه من الألفاظ لا يزال مستعملاً إلى اليوم . ومخطوط « الأورجانون » وهو من أقدم الترجمات الفلسفية التي وصلتنا يشتمل على مصطلحات منطقية لانكاد تختلف عن المصطلحات التي استعملها الفلاسفة والمناطق اللاحقون . ولقد حرص المترجمون على أن يستمدوا مصطلحاتهم من العربية أولاً ، فاستعاروا ألفاظاً ذات دلالات لغوية معروفة وشاءوا لها أن تؤدي معاني جديدة على طريق الحجار العربي . وقد يلجئون إلى مصطلحات العلوم الأسبق تكويناً فيستعملون بعضها للتعبير عن بعض المعاني الفلسفية ، فلفظة « الحكم » و « القضية » مثلاً عرفتا لدى الفقهاء قبل أن تعرفا لدى المناطق .

واشتراك مصطلحات بين علوم مختلفة أمر ملحوظ في اللغة العربية ، وقد أشار إليه الحواري قديماً في « مفاتيح العلوم » فلاحظ أن

هذه الاصطلاحات والمواضيع تؤدي معاني مختلفة على حسب العلوم التي تستعمل فيها ، فالرجعة لغة المرة من الرجوع وعند الفقهاء الرجوع في الطلاق وعند المتكلمين مايزعمه الشيعة من رجوع الإمام بعد غيبته أو موته ، ولهذا اللفظ دلالات أخرى عند الكتاب والمنجمين . وليس بلازم أن تكون هناك صلة وثيقة بين المدلول اللغوي والمدلول الاصطلاحي وإن تلمست بعض الملابسات أحيانا .

وإذا لم يجد المترجمون في العربية اللفظ الملائم مباشرة استعانوا بالنحت والاشتقاق لخلق ألفاظ تؤدي المعاني الجديدة ، وكان لهم في المصادر الصناعية فسحة كبيرة كالهوية والماهية . وقد يضمون لا النافية إلى كلمة ما ليكونوا منهما لفظاً جديداً كاللأدرية واللاهائية . وهذا تركيب غير مألوف في اللغة العربية

فإن أعوزتهم الألفاظ العربية بلحوا إلى اللغات الأجنبية فعربوا بعض كلماتها وكان نصيب الفلسفة من هذه الألفاظ غير قليل فعن اليونانية أخذ مثلاً هيولى ، اسطقس ، فنتاسيا ، ناموس . ومن السريانية استعيرت كلمة « ميمر » بمعنى باب أو فصل ، وسمع الكيان أو « شمعاً كياناً » ترجمة لعنوان كتاب الطبيعة لأرسطو . وأما الألفاظ الفارسية المعربة فقد استعمل منها قسط كبير كالمهندسة والجوهر . يقول الخوارزمي « إن أكثر هذه الأوضاع (المصطلحات) أسام وألقاب اخترعت أو ألفاظ من كلام العجم عربت » .

وهذه الألفاظ الدخيلة تحمل ولاشك تارة الأصل الذي صدرت عنه ولذلك استعين بها أحياناً على كشف بعض الحقائق وتحقيق بعض

المسائل . ومن ذلك ما حاوله بومشترك من التدليل على أن كتاب « الربوبية » قد نسب إلى أرسطو خطأ في السريانية قبل أن تعرف هذه النسبة في العربية .

ولم يكن المترجمون موفقين دائماً فيما تخيروا من ألفاظ ، لهذا عدل عن بعضها إلى ألفاظ أخرى ، والمصطلحات العلمية في حركة مستمرة تبعاً لتحرك العلوم أنفسها . ومن أمثلة ذلك لفظة « أوسيا » (Ousia) اليونانية فقد ترجمت أولاً بكلمة « عين » العربية واستمرت هذه الكلمة الأخيرة مستعملة إلى عهد الأشعرى إلا أنها من الألفاظ المشتركة التي لا تدل نصاً على معنى معين ، لذلك عدل عنها إلى كلمة « جوهر » الفارسية التي قدر لها أن تقضى على الأولى وتحل محلها نهائياً .

تلك في اختصار بعض جهود المعتزلة والمترجمين في تكوين المصطلحات الفلسفية . وإذا كنا نرجع إلى هذا الماضي لننقب عنه . فما ذاك إلا لنعرفه على وجهه ونستعين به على تجاربنا الحاضرة . وفي نشأة المصطلحات الفلسفية الإسلامية دروس ما أجدرنا أن نعيد منها ، وفي مقدمتها أمور ثلاثة :

أولها - أن للترجمة شأناً أي شأن في وضع المصطلحات الجديدة واختيارها ، فكلما كان المترجم متمكناً من اللغة التي ينقل عنها واللغة التي ينقل إليها كان أقدر على تخيل اللفظ الملائم وكلما خضعت الترجمة لإشراف ومراجعة من

أطراف عدة كانت أعون على نقل الأفكار الأجنبية نقلاً محكماً . وكذلك كان الشأن في الترجمة الإسلامية . فقد كانت وليدة تضافر وتعاون ونتيجة مجهود مشترك لم يخل من تنافس وتسابق ونقد وملاحظة . وإذا كانت ترجمتنا الحديثة في أغلبها ثمرة أعمال فردية فلان في النشر ما يضعها موضع النقد والملاحظة ، وفي استعمال مصطلحاتها في التأليف والدراسة ما يصفىها وينقيها . لهذا ينبغي أن نلاحظ هنا جهود المؤلفين والمترجمين المعاصرين قبل أن نقر مصطلحات المصطلحات الحديثة . وإذا كانت مهمة المجمع في أساسها التسجيل فواجبنا وواجب الخبراء معنا أن يتبعوا جهود المعاصرين أولاً إن في مصر أو في البلاد العربية ففي هذه الجهود ما يذلل بعض الصعاب التي تعرض لنا . ورب مصطلح مشهور يؤدي المعنى المراد منه بوجه ما ، خير من مصطلح جديد يخلق خلقاً وإن كان أدق في الدلالة على معناه .

وإذا كنا ندعو إلى تسجيل المصطلحات المعاصرة فنحن في حاجة أمس إلى حصر المصطلحات القديمة . والعلوم العربية ملأى بالمصطلحات التي لم تنشر ولم تعرف بعد على وجهها ، وهذا تراث لا يصح أن نهمله أو نضيعه ، وقد نجد فيه ما يغنينا عن نحت أو اشتقاق أو تعريب . وما أجدرنا أن نحبي هذه المصطلحات القديمة ونخرجها إلى سوق التداول العلمي الحاضر ! فعند دراسة عالم أو فيلسوف إسلامي نغني بمصطلحاته بقدر ما نغني بآرائه ونظرياته ، وعند نشر مخطوط أو إعادة طبع كتاب قديم نأخذ أنفسنا بإبراز ما فيه من ألفاظ فنية ومصطلحات . إنا إن فعلنا أحيينا معالم تراثنا القديم وكشفنا عما فيه من ثروة ، ويسرنا على المشتغلين بالعلوم الحديثة تخير ما يلائمها من اصطلاحات .

وأخيراً رسم لنا مترجمو الإسلام سنة صالحة في الأخذ بها توفير للجهد وقضاء على بعض أسباب التعارض والاضطراب . وذلك أنهم اتقوا ما استطاعوا الإسراف في وضع المصطلحات الجديدة ، فكلموا وجلدوا اللغة العادية قادرة على أداء معنى من المعاني اكتفوا بها ، ولم يبحثوا عن مصطلح خاص . وبذا وقفت اصطلاحاتهم عند النظريات الكبرى والقضايا الثابتة فقدر لها أن تحيا (ويؤخذ بها إلى اليوم) أما أن يوضع لكل فكرة لفظ جديد ولكل معنى مصطلح خاص ففي هذا ما فيه من الإثقال والبلبل خصوصاً إذا كان من اليسير أداء هذا المعنى باللغة العادية . وهذه ملاحظة لها شأنها فيما نعالجه من آراء ونظريات حديثة ، إن في الكيمياء والطبيعة أو في علم النفس مثلاً . فن بين هذه النظريات ما لم يستقر بعد ، ومن هذه الآراء ما لا يزال موضع خلاف بين الباحثين ، وقد لا يلتزم أصحاب هذه الآراء التعبير عنها بألفاظ ثابتة بل يغيرونها بتغير المواطن والكتب فن العبث إذن أن نتعجل نحن فنقف على أمثال هذه الآراء ألفاظاً خاصة مع أنه قد يقضى عليها بعد حين . وما أشبه هذا بالبحث عن الكمال في الوقت الذي لا نجد فيه السبيل إلى الضروري !

ومن الإسراف أن نأخذ عالماً أو فيلسوفاً ما ، فنحاول أن نغلب مصطلحاته على الآخرين مع أنه لا يمثل إلا حلقة واحدة من حلقات التفكير العليدة في مادة ما . وقد لا يكون رأيه المعتد به اليوم ، وفي هذا ما فيه من التعصب وضيق الأفق . فلنضع مصطلحاتنا بقدر ولتقف عند الآراء الثابتة والنظريات المستقرة خشية أن نغمس في ترف لا جدوى لنا منه الآن .

الأستاذ أنطون الجميل

وافتح الحفل حضرة الدكتور فارس نمر .
أكبر أعضاء المجمع سناً ، فأعلن أن حضرة الأستاذ
أحمد لطفي السيد رئيس المجمع لم يستطع الحضور
لانحراف ألم بصحته ، ثم ارتجل حضرته كلمة
أشاد فيها بما كان للفقيه من مكانة وماتحلى به
من خلق كريم . وعلى أثر ذلك ألقى الأستاذ
إبراهيم عبد القادر المازني عضو المجمع كلمة
التأبين ، ثم ألقى الأديب بدر الدين الحارم
قصيدة والده الأستاذ على الحارم عضو المجمع .
ثم وقف حضرة الدكتور فارس نمر فشكر
للحاضرين تليينهم للدعوة وترحم على الفقيه
الكريم .

وتلى هذا كلمة الأستاذ إبراهيم عبد القادر
المازني وقصيدة الأستاذ على الحارم :

رزى المجمع بوفاة عضو من أعضائه العاملين
وأديب من أدباء العربية الأفلاذ . المغفور له
الأستاذ أنطون الجميل ، اختطفته يد المنية في أثناء
انعقاد المؤتمر ، أوفر ما يكون نشاطاً ، وأصدق
ما يكون جهاداً في خدمة العربية وآدابها ،
فكان لفقدته صدى من الأسف العميق ،
تجاوبت به نفوس أصدقائه وزملائه إذ أعلن
حضرة الرئيس نعيه وخلو مكانه في المجمع .

وقد أقام المجمع حفلاً لتأبين الفقيه الكريم
في مساء يوم الأربعاء من وفاته ، ١٢ من
ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ هـ ، الموافق ٢٢ من
فبراير سنة ١٩٤٨ م ، بدار الجمعية الجغرافية
الملكية ، فأمه عدد من رجالات مصر والشرق
وجمهور من أهل العلم والفضل والأدب .

خطاب الأستاذ المازني

اللهفة على معرفته في شطرها الأول ، والذكريات
تزاحم على الخاطر والمرء لا يدرى أيها أولى
بالتقديم وأحقها باستيجاب التعظيم وأعوها
على رسم صورة لهذه الشخصية الجميلة التي
كأنما كان قد عناها القاتل في الشاعر الألماني
هيني : إن الله سبحانه وتعالى لما صور روحه
وتمثل له سبحانه لطفها وجمالها قبلها . وكان في
أول العهد به يصدر مجلة الزهور مع الأديب
البناني المشهور المرحوم أمين تقي الدين ، وكنت
أحرص على اقتناء مجلته فحدثني نفسي - وأنا
أذكر هذا للعبارة المستفادة منه ولإظهار جانب

أرجو أن تمهلوا لي العذر إذا قصرت -
وسأقصر لاحالة - في توفية فقيدهنا الكريم حقه
فإن من الصعب أن يحيط المرء بجوانب حياة
حافلة . ومن السهل أن يحجب الحديث المائل
ما كان في شرح الشباب وعنفوانه ، وأن يذهل
النجاح في آخر العمر المقسوم - وللأعمار
قسمة وحظوظ - عن الجهود المضنية التي
بذلت في أول العمر والتي بلغت صاحبها هذه
القاصية من التوفيق . ثم إن عهدي بالفقيه
العزيز يرجع إلى حقبة من الزمن تتجاوز ربع قرن.
حلاوة المودة في شطرها الأخير لاتعللها إلا

من أخلاق الفقيد - أقول حدثتني نفسي أن أنشر فيها شيئاً من شعري، فبعثت إليه بقصيدة ورسالة أسأله فيها عن قيمة الاشتراك، فبعث إلى برد يعتذر فيه من عدم نشر القصيدة وينبئني أنه سيرسل إلى المجلة بالمجان. أظن أن هذه الحادثة وحدها كافية في دلالتها على ما كان عليه الرجل من خلق ومن صراحة في الرأي ومروءة في القلب وأدب ليس كمثله أدب في زماننا إلا في الندرة القليلة والفلته المفردة. وأعترف أن رسالته هذه إلى كانت بعض ما تأدبت به.

وقد عطل مجلته هذه لما نشبت الحرب العالمية الأولى. واتفق بعد سنة أو سنتين من نشوبها أن أصدر كل من الأستاذ العقاد ومنى جزءاً ثانياً من ديوانه ولم نبعث بهدايا من الديوانين إلى أحد - ولا حتى إلى الصحف فيما عدا المقتطف - وإذا بأنطون الجميل يكتب صفحة كاملة في جريدة الأهرام عن الديوانين ينصفنا فيها على غير معرفة شخصية بنا. ولا تنسوا أن صفحة في ذلك الوقت كانت نصف الجريدة.

وقد ذكرت هذا لا لأنه شهادة للشاعرية للأستاذ العقاد أولى بل لأرسم خطاً في الصورة التي أرجو أن تكون صادقة التمثيل للفقيد العزيز وشخصيته.

وأذكر حادثة أخرى ترسم خطأ آخر.. لما تولى رئاسة التحرير في جريدة الأهرام دعاني إليه وقال لي «إن كاتباً مثلك لا تكفيه صحيفة واحدة لأن مطالب الحياة أكثر من أن

تتكفل بها صحيفة، فأراك في أن تكتب للأهرام مقالات متى شئت وفي أي موضوع شئت وبتوقيع أو بغير توقيع ولك ما تطلب من أجر؟ فشكرته وقبلت. وما كانت بالأهرام حاجة إلى أو إلى سوى ولكنها مروءة الرجل. واصلت الكتابة وجاءت وزارة المرحوم توفيق نسيم وألغت الدستور الذي كان يسمى «دستور صدقي» ولم تعد دستور سنة ١٩٢٣، وبقيت البلاد فترة بغير نظام حكم، فكتبت إلى الأهرام مقالين متتابعين بإمضاء «هو» خلاصتهما في بضع كلمات أن دستور صدقي صدر باطلاً فالغاؤه يعيد الدستور الذي كان قائماً قبله وأنه لا يجوز في أي حال أن تظل البلاد بغير نظام حكم. وقد كان للمقالين ضجة وتوهم كثيرون أنهما لسياسي كبير فقال لي أنطون بك - كما كان يومئذ - إن ما حدث من الضجة يكفي وقد نشرت مقالتي وأنا أعرف سلفاً ما سيكون لهما من أثر، وإلى هنا ويحسن السكوت لأسباب منها أننا قد نبهنا إلى ما يجب فلا داعي إلى الإسراف بعد ذلك ومنها أني لا أحب للأهرام أن تدخل في جدل حزبي فإنه لا يليق بها ولا يكون مقبولاً منها. وقد نشرت رأيك فاقنع بذلك والصبر طيب والاعتدال أطيب.

سـ سادتي :

كل مافي حياة هذا الراحل الكريم خطوط جميلة في صورة بدیعة جملة مايفيد متأملها الإخلاص والأمانة واستقامة النهج وإيثار السلام وحب الإنصاف.

ولد أنطون الجميل في بيروت سنة ١٨٨٧ وتعلم في كلية الآباء اليسوعيين وأنتم على

وجه الخصوص اللغتين العربية والفرنسية وليس هذا كلاماً يقال في تأيين فقيد، أى كلاماً قد يحمل على محمل المبالغة، فإن الواقع أنه عين بعد تخرجه في هذه الكلية نفسها مدرساً للبيان العربي . ولم يقتصر جهده على التعليم فقد كان يكتب أيضاً في « جريدة البشير » التي كان يصدرها الآباء اليسوعيون في ذلك الزمان، وفي سنة ١٩٠٦ نشر كتاباً اسمه « البحر المتوسط والتمدن » ولم أطلع عليه ولكني سمعت به من غير واحد ، ومعقول أن تكون طبعته محدودة في زمن كان لا يطبع فيه من خير كتاب أكثر من ألف نسخة ، ومعقول ألا يعاد طبعه فقد نزع مؤلفه إلى مصر في السنة التالية أي في عام ١٩٠٧ ثم حدث الانقلاب العثماني في سنة ١٩٠٨ كما هو معروف ، وهو الانقلاب الذي قام على أثره نظام الحكم الدستوري في الدولة العثمانية فنشر الفقيد في نفس العام كتاباً سماه « أبطال الحرية » سرد فيه قصة الانقلاب وتحدث عن رجاله ثم عمل في الجريدة الفرنسية « البيراميد » التي كانت تصدر عن دار الأهرام ، ونشر مسرحية أسماها « السموأل أو وفاء العرب » كان قد ألقاها في بيروت قبل نزوحه أو هجرته إلى مصر ، واشترك في تمثيلها هناك واشترك أيضاً في تمثيلها في مصر في حفلة خاصة مع فريق من إخوانه الأدباء اللبنانيين والسوريين.

وما بعجيب أن يعنى بالسموأل خاصة فإن فيه منه مشابه ، فما كان موقف السموأل في هذه القصة المشهورة مظهراً للوفاء فحسب بل كان فيه إلى جانب ذلك حرصه على حسن السمعة وطيب الأحذوثة وأنه ليس بالرجل الذي يؤتمن فيخون أو يفرط أو يستخف بما

دخل في ذمته . وكذلك كان أنطون الجميل فما عاهد فنقض عهداً ولا أوتمن فخان أو استهان بما حمل ولا استودع سرّاً فأذاعه أو حتى أشار إليه . ولقد صدق الأستاذ العقاد في قوله يصف حرصه على كتمان الأسرار حتى صار كل امرئ يودعه سره وينصرف مطمئناً إلى بقاءه مطوياً :

وأقدر خلق على أن يذيع
قد كان أقدرهم في اكتسام-
وأكثر ما استودعته النفوس
أودعه اليوم جوف الرغام

ولقد كان يحدثنا عن الوزراء الذين تعاقبوا على وزارة المالية ويصف لنا مزية كل واحد منهم ، وكان من أعرف الناس بهم لأنه كان سكرتير اللجنة المالية ، فلم أسمع منه إلا خيراً، ولست أذكر أنه روى لنا شيئاً مما يدخل في باب الأسرار .

وقد أسلفت أنه كانت له مجلة أدبية اسمها « الزهور » وكان يصدرها كل شهر مرة مع الأديب اللبناني المرحوم أمين تقي الدين ، وكانت مثلاً لحسن الطبع وأناقته . ولست أذكر أنني وقعت فيها على غلطة مطبعية واحدة حتى ولا في الشكل . وكان لا ينشر الشعر فيها إلا مشكولاً . أما النثر فكان يكتب فيه بما لا غنى عنه أو بما يكسب المجلة رونقاً . وكانت المجلة تمثل نزعة وما يؤثره لنفسه من نهج في الحياة فما دخلت قط في جدل ولا أثارت مسألة خلافية ولا تعرضت للمناضلة بين الأدباء والشعراء الأحياء منهم والأموات ، وكان همها التعريف ونشر المطوى وإذاعة البراعات .

ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فكف هو وصاحبه عن إصدار المجلة . وحدثني ذات ليلة قال ما معناه - فما أستطيع أن أزعم أنى أسوق كلامه بحروفه - « رأيت إعلاناً من وزارة المالية ، أو لعله قال من رئاسة الوزراء ، عن وظيفة مترجم يعقد لها امتحان ، فقلت أتقدم ففعلت فنجحت فى الامتحان وعينت » .

وكانت هذه فاتحة أعماله فى الحكومة المصرية . ولم يقل وهو يحدثنى عن ذلك إن نجاحه كان يتفوق عظيم . ولست أعرف من اللغة الفرنسية إلا ما يعرفه عامة الناس من عبارات التحية والتوديع والشكر ، ولكنى كنت مرة أزور صديقاً لى فى جريدة الأهرام وكان الصديق يترجم بياناً لبعض إخواننا العرب يراد نشره فى صحف فرنسا ، وأقبل علينا أنطون بك فسأل الصديق عما هو فيه وعرف الموضوع وتناول الأصل والترجمة فقال : « لا . هذا لا يصلح » وتناول ورقة وترجم البيان فى دقائق وهو واقف دون أن يضرب على كلمة أو يغير حرفاً . ثم دفع بالترجمة الفرنسية إلى الصديق وانصرف ، فأراها هذا لصحفى فرنسى كان عنده فدهش الرجل لاقتدار أنطون وامتلاكه ناصية هذه اللغة الأجنبية وسرعته فى الأداء مع هذا الإحكام .

وقبل أن يدخل فى خدمة الحكومة نشر فى أخريات سنة ١٩١٤ مجموعة من الشعر بعنوان « مختارات الزهور » حلاها بصور الشعراء الذين اختار لهم وقدم لكل واحد منهم بكلمة موجزة عنه .

وقد ظل يعمل فى وزارة المالية إلى سنة

١٩٣٢ ، وكان فى السنوات الأخيرة من عمله فى الحكومة سكرتيراً للجنة المالية ، وكان موضع ثقة كل وزير من كل حزب ، ولست أرى من المبالغة أن أقول إنه هو كان بلجنة المالية فقد كانت مزيتة الإخلاص فى العمل والجد فيه والمثابرة عليه . ونحن جميعاً نعرف رجال حكومتنا ومبلغ إقبالهم وعكوفهم على العمل فلماذا وجدوا رجلاً كأنطون الحميل لا بكل ولا يمل ولا يفتر وتأتى له ذمته أن يقصر فن هذا الذى لا يكسل اعتماداً عليه وثقة به ؟

وألح عليه المرحوم ثقلان بتولى منصب سكرتير تحرير « الأهرام » ، فقد كان المرحوم الأستاذ داود بركات مرهقاً وكانت صحته سيئة ، فقبل فلما توفي المرحوم داود بركات وكان من خيرة الصحفيين تولى أنطون الحميل رئاسة التحرير ومن كان أحق بها منه ؟ فصار الأمر كله إليه ولم يعد حتى لصاحب الأهرام عمل غير التفكير والتدبير .

وليس ذلك لأن أنطون الحميل كان رجلاً طاعياً أو نزاعاً إلى الاستبداد . كلا ، بل لأنه كان ذا ذمة تأتى عليه التقصير ونشاط عجيب لا يسمح له بالهدوء والراحة وحب للعمل وإقبال عليه يعز نظيرهما فى الشباب بله الكهولة وكان يشعر بأن كرامته الشخصية توجب عليه أن يتوفر على كل عمل يتولاه ، فلا عجب إذا طرح العبء عليه كل عامل معه ومن ذا الذى يرى رجلاً سلطه الله على نفسه فلا يرال يضربها بالسياط وهى مثقلة بالأعباء وهو معتط بثقل ما يحمل لا يشكو ولا يتبرم ثم لا يأتى إليه حمله ؟ ومن ذا الذى يرى مثل هذه

الأمانة والذمة وهذا الإخلاص النادر للواجب ولا يكل إليه كل شيء وينام مطمئناً قرير العين ؟

وقد كانت هذه سيرته في مجلس الشيوخ فقد كان أكثر أعضاء اللجنة المالية عملاً وأوفرهم نشاطاً، وليس في قولي هذا ما يفض من قدر أحد من زملائه لأن المسألة مسألة حيوية دافقة تدع صاحبها غير قادر على السكون .

وقد كان في وسعه أن يبدد هذا الفيض من الحيوية الزاخرة في وجوه شتى ، وأن يدعها تتدفق في مجار ومسارب أخرى كما يفعل كثيرون ممن أوتوا حظاً وافراً من النشاط ولكنه كان رجلاً حاداً همه العمل وفيه وبه وحده يستنفد ما حباه الله من قوة وحلد ونشاط .

هذا إلى الظرف واللفظ والأدب والوداعة وسعة الأفق والحلم ومروءة القلب ، مع الصراحة التامة في غير عنف أو جفوة ، مع التحرز والدقة في تخير الألفاظ واجتناب كل ما فيه مساءة والتواضع الجلم الذي لا يشوبه شائبة من كبر مضممر ، واحترام الذات احتراماً مرجعه إلى الثقة بالنفس دون اغترار ، وصحة التقدير للتبعات والمسئوليات وإيثار الإنصاف والحسنى في كل حال وتوخى ما فيه السلام والوثام حتى لقد كان يسمى رسول السلام ، والحرص على المحاسنة دون المحاشنة عن عقل وحكمة طبع لا عن ضعف أو خور أو حبن .

وقد رأيت مراراً وهو يعمل في جريدة

الأهرام التي استطاع بمجهوده وشخصيته أن يعلى مقامها ويرفع شأنها، ورأيت كيف كان يقرأ كل حرف حتى الإعلانات، وكيف كان إذا أراد أن يراجع أحد المحررين يذهب إليه في مكتبه ويناقشه ويجادله ويكلمه كلام الند للند ، ولا تأخذه عزة ولا يستكبر أن يغير رأيه أو يعدل عما بدا له لأول وهلة إذا اقتنع بغير ذلك .

ومن أدل آثاره على أدبه وإيثاره المساناة مع الدقة في توخي الحق كتابه عن شوقي الشاعر، وهو عبارة عن محاضرتين كان ألقاهما ثم جمعهما وجعل منهما كتاباً، وقد كتبت عنه وقلت فيه ما معناه إن رأيه كراي في هذا الشاعر وكل ما بيننا من اختلاف لا يتجاوز أسلوب التعبير: فأنا رجل أقول ما أريد أن أقول في صراحة - أو على بلاطة كما يقول العامة - وهو رجل لبق يحسن أن ينقد بصيغة تفيد المدح . وقد وصف الأستاذ العقاد أدب الجميل فقال إنه « أدب الصالون » يريد أنه فيما يكتب يتحرى اللفظ المصقول والعبارة المهذبة والكلمة التي تخف على النفس ولا تسك السمع، ولف التحرير على المعنى الذي يخشى أن يكون ثقيلاً أو غير سائغ .

وله كتاب آخر ليس من تأليفه ترجمه عن الفرنسية واسمه « الفتاة والبيت » وقد قررته وزارة المعارف في مدارسها ولأدري ألا يزال مقررأ أم عدل عنه .

إن هذا الرجل كان مثالا للرجل الجاد - وما أقل الجادين وأندرهم - والرجل الجاد هو الذي يكرم نفسه وقومه وينزهها وينزههم

عن العبث ، ويقدم الواجب حتى على الحق
ويدرك تبعاته وينزل على ما تقتضيه ، ويعرف
للناس حقوقهم فلا يغمطها وفضلهم فلا يمحده
ويحسن تقدير القيم الحقيقية للأشياء والحوادث
فلا يغالى بها ولا يستخف ، ويؤثر القصد
والإنصاف والحسنى فى كل حال ، ولا يجهل
مزية المروءة ولا يصدر إلا عن وحيها فى قوله
أو فعله ، ويلهو إذا لها لهواً بريئاً لا يذهله عن
واجبه وتبعاته .

على عمله يحى هذا ويلطف ذاك ، ويشارك
فى الحديث ولا يفسيه ذلك أمانة العمل التى فى
عنقه . والرجل فى ملتى هو الذى يحسن تقدير
الأمانة التى يحملها كائنة ما كانت ، ومتى رأيت
يحسن ذلك فدعه وثق به ، وكن على يقين أنه
لم يفعل إلا خيراً ولن يصدر فيما يقول أو يفعل
إلا عن شعور بالواجب وإدراك لمقتضياته .

وقد كان أنطون الجميل قدوة فى هذا . فإذا
أسينا له وعليه فلنا والله لمعلورون . ألسنا ندير
العين فنجد مكانه خالياً لافى جريدة الأهرام
وحدها بل فى الصحافة كلها وفى الجمع وفى
المجتمع ؟

مكان نده خال ، رحمه الله ولطف بنا فى
رزقنا فيه فلنا والله لمخزونون ، طيب الله ثراه
وأجزل ثوابه !

ولقد كان أنطون الجميل مثالا حسناً للرجل
الجاد - عرفته وهو شاب ، واتصلت به وهو
يدير فى مجده إلى منتهاه ، فما رأيت اختلافاً
أو تفاوتاً بين الرجلين . فأنطون الجميل الشاب
هو أنطون الجميل الكبير الذى كانت حجراته
ندوة أدبية وسياسية يلتقى فيها كثير من دوى
الشأن فى الأدب والعلم والسياسة وهو عاكف

يا صديقي !

قصيدة الأستاذ على الجارم

كم حوى من مصائف لم تتم
وأناشيد لم تعش لتغنى
وأمان زغب تطير إلى القبس -
سر ، خصاص الحشا ، فرادى ومثنى

حجب السور خلفه لى رجاء
خاناه الدهر فى صباه وأخنى
أسكته قوارع الموت لحنا
ولوته زعازع الموت غصنا

حن شعرى إلى اللقاء وأنا
أين ألقاك ليت شعرى ؟ وأنى ؟
ضربت بيننا المنون بسور
حجبته العقول عنها وعننا
تتلاقى به الدموع حيارى
وتغوص الظنون فيه فتضنى
كم حوى من ورائه زهرات
وغصوناً ربا المعاطف لنا
كم حوى من ورائه عبقرى -
ت ، ورأيا عصب الشاة وذمنا

لا تقل إن صالح الذكر يبق
كل شيء في الدهر يبق ليبقى
ما غنائى بالذكر يبق جميلاً
حين أمسى تحت الصفائح رهنا
ما رجائى والسيف أضحى حطاما
أن أرى بعده نجاداً وجفنا

...

قد فقدنا «أنطون» بالأمس، والخز
ن على فقده يجدد حزننا
أخذته فجأة الموت أخذاً
ربع من هوله الصباح وجنا
ما حنى الرأس مرة لعظيم
فأبى أن يراه للسن يُحسنى
أنجم أشرقت فأطفأها المسو
ت ، كما تطفى المصابيح وهنا
ما على الدهر لو تريت حيناً
أو على الدهر مرة لو تأنى
كل يوم نرتى ونندب حتى
صار ندب الرجال في مصر فنا
ورحاً الموت لآتى تملأ الأرو
ض ضجيجاً ، وتنثر الناس طحنا
نسى الشعر في صراع الزوايا
رنة الكأس والغزال الأغنا
شغلته مآتم ونعوش
عن هوى زينب ، وعن وعد لبنى
كم سلونا عن صاحب بحيب
فلذا بالحبيب يخلف ظننا
نتداوى من لاعج الشوق بالشو
ق ، ونطوى أسى لننشر شجنا

...

هو في البدر حيناً يسطع البس
ر ، وفي الروض حيناً يثنى
ما بكاء الأطفال أجلى عليه .
لا ولا الصبر والتجلد أغنى
فيه أسعدت كل باك بدمى
وأعرت الثكلى الحزينة جفنا
كلما مرت النوادب صباحاً
ضرب القلب بالجناح وحناً
يا شباباً فقدت فيه شبابه
أدرك الواله الشجى المعسى

...

قد وأدت الرجاء في هذه الدن
يا ، فلا أرتجى ولا أتمنى
وعبرت الستين أو ما علاها
فرأيت الميلاد موتاً ودفنا
من يعمر يحسد أخلاءه في ال
أرض أوفى ممن عليها وأحنى
يذهب الأمس بالرجال فينسو
ن ، وتمضى القرون قرناً فقرنا
ريشة في مهامه البيد طارت
أين طارت ؟ الله أعلم منا
ونخضم الماضى يعج بمن فيـ
ه ، ويغشى قوماً ، ويغمر مدنا
وظعمون المنون منذ سليل الطيب
من تطوى الصحراء ظعناً فظعنا
سفن تلتقى على شاطئ الغيـ
ب ، لتلقى هناك سفناً وسفنا
ما لنا غير أن نقول حيارى
بلسان الدموع : كانوا وكننا

مات «أنطون» وانقضت دولة الهجر
 سد ، وكانت به تعز وتغنى
 وغدا عبقر وواديه أضغفا
 ثاً ، وعادت رجاحة الرأي أفنا
 ورأينا الأقلام يشقن صدرأ
 بعده حسرة ويقرعن سنأ
 تندب الكاتب الذى يرسل القو
 ل قوى الأداء معنى ومبنى
 لا ترى لفنة به تجبه الذو
 ق ، ولا لفظة تخذش أذنا
 موجز زاده الوضوح جمالا
 والتخلى عن الفضالات وزنا
 أين ذاك الخاق السميع ؟ كأن لم
 يك بالأمس يملأ الأرض حسنا
 والبشاشات ؟ أين منى سناها ؟
 والأفاكيه من هناك وهنأ
 والسياسات ؟ والدهاء الذى كا
 ن سلاحا حينأ وحينأ مجنا ؟
 أين ذاك الصدر يحمل العـ
 سبء عظيما ، وليس يحمل ضعفنا
 كم غزته الخطوب دهم النواصي
 وهو أصنى من الصباح وأسنى

...

يا أخنى ، هل يليق أن تدخل البا
 ب أمامى وأنت أصغر سنأ ؟
 قف تأخر ، قد كنت تعلّى مكانى
 ماجرى ؟ ما الذى يبالك عنا
 كنت بالأمس كنت بالأمس روحا
 مرحأ ضاحكأ ، وصوتأ مرنا

كنت معنى من الشباب وإن شا
 خ ، وعزماً لم يعرف الدهر وهنا
 تملأ الأرض والزمان حياة
 هادئ النفس وادعا مطمئنا
 تبذل الخير لم يكدر بمن
 وكثير منا إذا من منا

...

جمع الضاد كنت للضاد فيه
 علماً يحسر العيون وركنأ
 كنت «مصباحنا المنير» إذا غمـ
 ست سبيل ، وطال ليل وجنأ
 كنت يوم الجدل بالحجة البيـ
 ضاء تمحو سمائب الشك ذكنا
 عفة فى اللسان صيرت الأيـ
 سام تشدو بمدحك اليوم لسنا
 تبلغ الغاية القصية ما أد
 ميت جرحأ ، ولا تعمدت طعنأ
 كل قرن لدى النضال يرى فيـ
 لك لمعنى الوفاء للحق قرنا

...

حسرتا للفتى إذا قارب الشو
 ط طوته المنون غدرأ وغبنأ
 كلما مد للكمال يديه
 صد عنه الكمال كبرأ وضمنا
 إن قوينأ عقلا ضعفنا جسوما
 ورأينا فى الموت برءأ وأمنأ
 وشئون الحياة شتى ولكن
 جنأ للحياة أعظم شأنأ
 لو يعيش الإنسان عمر السلحفا
 ة لأغنى هذا الوجود وأقنى

ما الذي نرتجيه والعمر طيف
 إن فتحنا العينين بأن وبننا ؟
 نحن في هذه الحياة ثمار
 كل شيء إن أدرك النضج يحنى

يا أخى هل نجيب إن هتف الشو
 ق حبيباً صدق الوفاء ونخدنا ؟
 إن أكن منك داني القلب بالأمس
 س ، فروحى لروحك اليوم أدنى

أتراني إن حان حبي قيننا
 أن أرى في ذراك ظلا وسكنا ؟
 نم قريرا ، فإن في ضجعة القلب
 سر سلاماً للعاملين ويمنا
 وجد الساهر المجد وساداً
 ورأى الطائر المخلق وكننا
 إن يكن في الحياة معنى من الصفا
 سو ، فما للحياة بمسلك معنى